Kingdom of Saudi Arabia

King Saud University

Riyadh 11495, P.O. Box 22458

No.: .... الرقم:

الرقم

٥٨٧١

٥٨٧١

٢١٩
ــــ
ش ق

الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تأليف القاضي عياض ،عياض بن موسى - ٥٤٤ هـ . كتبت في القرن الحادى عشر الهجرى .

٥٨٧١ ٢٤٢ق ١٩س ٢٥×١٧سم

نسخة حسنة ،ناقصة الآخر،خطها نسخ معتاد،طبع عدة مرات منها في بيروت سنة ١٩٨٤م.

الأعلام ٢٨٢:٥ دار الكتب المصرية ١٢٨:١

١- السيرة النبوية أ- المؤلف

ب- تاريخ النسخ


جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شئون المكتبات



اهديت هذا المصحف المبارك الجليل الي
السيدة الجليلة الحسيبة النسيبة عفت فؤاد
كريمة الأخ العزيز ابراهيم بك فؤاد دمشقي
واسأل الله سبحانه وتعالي ان يحفظها من كل
شر ويسعدها ببركات القرآن وبركة صاحب
هذا الكتاب الجليل من كل شيطان
وهامة وكل عين لامة انه سميع مجيب
رؤف رحيم

محمد
الناشر

تحريرا في ١٤ رجب ١٣٧٩ هـ ٢٤ مارس ١٩٦١ م
١٥ ابريل ١٩٦٣

ولدت السيدة عفت فؤاد ليلة الاربعاء المباركة
الموافقة ٢ مارس ١٩٦١ ٢٢ جمادي الثاني ١٣٧٩

محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم عونا على طاعتك وصلى الله على محمد واله قال
الفقيه القاضي الامام ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض
اليحصبي رحمه الله تعالى عليه الحمد لله المنفرد باسمه الاسمى المختص
بالملك الاعز الاحمى الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى
الظاهر لا تخيلا ولا وهما والباطن تقدسا لا عدما وسع كل شيء
رحمة وعلما واسبغ على اوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا
من انفسهم انفسهم عربا وعجما وازكاهم محتدا ومنما وارجحهم
عقلا وحلما واوفرهم علما وفهما واقواهم يقينا وعزما
واشدهم بهم رافة ورحمى زكاه روحا وجسما وحاشاه
عيبا ووصما واتاه حكمة وحكما وفتح به اعينا عميا وقلوبا
غلفا واذانا صما فامن به وعزروه ونصروه من جعل الله
في مغنم السعادة قسما وكذب به وصدف عن اياته من كتب الله
عليه الشقاء حتما ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى

صلى الله

صلى الله تعالى عليه وسلم صلوة تنمو وتنمى وعلى اله وصحبه وسلم
اشرق الله قلبي وقلبك بانوار اليقين ولطف به لاوليائه
المتقين الذين شرفهم بنزل قدسه واوحشهم من بين الخليقة
بانسه وخصهم من معرفته ومشاهد عجائب ملكوته واثار قدرته
بما ملا قلوبهم حبرة ووله عقولهم في عظمته حيرة فجعلوا
همهم به واحدا ولم يروا في الدارين غيره مشاهدا فهم بمشاهدة
جماله وجلاله يتنعمون وبين اثار قدرته وعجائب عظمته يترددون
وبالانقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق قوله
تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فانك كررت علي
السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه الصلوة
والسلام وما يجب له من توقير واكرام وما حكم من لم يوف واجب
عظيم ذلك القدر او قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر وان
اجمع لك ما لاسلافنا وائمتنا في ذلك من مقال وابينه بتنزيل صور
وامثال اكرمك الله انك حملتني من ذلك امرا امرا وارهقتني فيما
ندبتني اليه عسرا وارقيتني بما كلفتني مرتقا صعبا ملا قلبي رعبا
فان الكلام في ذلك يستدعي تقرير اصول وتحرير فصول والكشف
عن غوامض ودقائق من علم الحقائق مما يجب للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ويضاف اليه او يمتنع او يجوز عليه ومعرفة النبي
والرسول والرسالة والنبوة والخلة والمحبة وخصائص هذه الدرجة

العلية وههنا مهامه فيح تحار فيها القطا وتقصر فيها الخطا و
مجاهل تضل فيها الاحلام ان لم تهتد بعلم علم ونظر سديد و
مداحض تزل فيها الاقدام ان لم تعتمد على توفيق من الله وتاييد
لكنني لما رجوته لي ولك في هذا السؤال والجواب من نوال
وثواب بتعريف قدره الجسيم وخلقه العظيم وبيان خصائصه
التي لم تجتمع قبل في مخلوق وما يدان الله تعالى به من حقه الذي
هو ارفع الحقوق ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين
امنوا ايمانا ولما اخذ الله تعالى على الذين اوتوا الكتاب لتبيننه
للناس ولا يكتمونه ولما حدثنا به ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه
بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين بن محمد حدثنا ابو عمر النمري حدثنا
ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حماد
حدثنا علي ابن الحكم عن عطاء عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه
الجمه الله بلجام من نار يوم القيمة فبادرت الى نكت سافرة عن
وجه الغرض مؤديا من ذلك الحق المفترض اختلستها على استعجال
لما المرء بصدده من شغل البدن والبال بما يطوقه من مقاليد
المحنة التي ابتلي بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل وترد
بعد حسن التقويم الى اسفل سفل ولو اراد الله بالانسان خيرا
لجعل شغله وهمه كله فيما يحمد غدا او يذم محله فليس ثمة سوى نضرة

النعيم

النعيم او عذاب الجحيم ولكان عليه بخويصته واستنقاذ مهجته وعمل
صالح يستزيده جبر الله صدع قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا وجعل
جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر دواعينا فيما ينجينا ويقربنا
اليه تعالى زلفى ويحظينا بمنه ورحمته ولما نويت تقريبه
ودرجت تبويبه ومهدت تاصيله وخلصت تفصيله و
انتحيت حصره وتحصيله ترجمته بالشفاء بتعريف حقوق المصطفى
صلى الله تعالى عليه وسلم وحصرت الكلام فيه في اقسام
اربعة القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا النبي
قولا وفعلا وتوجه الكلام فيه في اربعة ابواب الباب
الاول في ثناء الله تعالى عليه واظهار عظيم قدره لديه وفيه
عشرة فصول الباب الثاني في تكميله تعالى له المحاسن خلقا
وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا
وفيه سبعة وعشرون فصلا الباب الثالث فيما ورد من
صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما
خصه به في الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا الباب
الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه من الايات والمعجزات
وشرفه به من الخصائص والكرامات وفيه ثلثون فصلا القسم
الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام ويترتب
القول فيه في اربعة ابواب الباب الاول في فرض الايمان به

ووجوب طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول الباب الثانى
فى لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول الباب الثالث فى تعظيم
امره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول الباب الرابع
فى حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة
فصول القسم الثالث فيما يستحيل فى حقه صلى الله تعالى عليه و
سلم وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الامور البشرية ان يضاف
اليه وهذا القسم اكرمك الله هو سر هذا الكتاب ولباب ثمرة هذه
الابواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما نورده
فيه من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعده والمنجز من عرض
هذا التاليف وعده وعند التقصى لموعدته والتفصى عن عهدته يشرق
صدر العدو اللعين ويشرق قلب المؤمن باليقين وتملا انواره جوانح
صدره ويقدر العاقل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حق قدره ويتحرر
الكلام فيه فى بابين الباب الاول يختص بالامور الدينية ويتشبث به
القول فى العصمة وفيه ستة عشر فصلا الباب الثانى فى احوال الدنيوية
وما يجوز طروه عليه من الاعراض البشرية وفيه تسعة فصول القسم
الرابع فى تصرف وجوه الاحكام على من تنقصه او سبه عليه افضل الصلوة
والسلام وينقسم الكلام فيه فى بابين الباب الاول فى بيان ما هو فى
حقه سب ونقص من تعريض او نص وفيه عشرة فصول الباب الثانى
فى حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته وذكر استتابته والصلوة عليه

ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة
لهذه المسئلة ووصلة للبابين اللذين قبله فى حكم من سب الله
تعالى ورسله وملئكته وكتبه وال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
وصحبه واختصر الكلام فيه فى خمسة فصول وبتمامها ينجز الكتاب
وتتم الاقسام والابواب وتلوح فى غرة الايمان لمعة منيرة وفى تاج
التراجم درة خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس وتشفى
صدور قوم مؤمنين وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله
تعالى لا اله سواه استعين القسم الاول فى تعظيم العلى الاعلى
لقدر المصطفى قولا وفعلا قال الفقيه القاضى الامام ابو الفضل
لا خفاء على من مارس شيئا من العلم او خص بادنى لمحة من فهم بتعظيم
الله تعالى قدر نبينا عليه السلام وخصوصه اياه بفضائل ومحاسن
ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه
الالسنة والاقدام فمنها ما صرح الله تعالى به فى كتابه ونبه به على جليل
نصابه واثنى عليه من اخلاقه وادابه وحض العباد على التزامه وتقلد
ايجابه فكان جل جلاله هو الذى تفضل واولى ثم طهر وزكى ثم مدح
بذلك واثنى ثم اثاب عليه الجزاء الاوفى فله الفضل بدءا وعودا والحمد
اولى واخرى ومنها ما ابرزه للعيان من خلقه على اتم وجوه الكمال
والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق الحميدة والمذاهب
والمذاهب الكريمة والفضائل العديدة وتاييده بالمعجزات الباهرة

والبراهين الواضحة والكرامات البينة التي شاهدها من عاصره
وراها من ادركه وعلمها علم يقين من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة
ذلك الينا وفاضت انواره علينا صلى الله تعا عليه وسلم تسليما
كثيرا حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ قراة مني
عليه قال حدثنا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار وابو الفضل
احمد بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي قال حدثنا ابو علي
السنجي قال حدثنا محمد بن احمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى بن سورة
الحافظ قال حدثنا اسحق بن منصور حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر
عن قتادة عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اتي بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له
جبريل عليه السلام امحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله
بلغ منه قال فارفض عرقا الباب الاول في ثناء الله العزيز عليه
واظهار عظيم قدره لديه اعلم ان كتاب الله العزيز ايات كثيرة مفصحة
بجميل ذكر المصطفى صلى الله تعا عليه وسلم وعد محاسنه وتعظيم
امره وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا
ذلك في عشرة فصول الفصل الاول فيما جاء من ذلك مجيء المدح
والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم
الاية قال السمرقندي وقرء بعضهم من انفسكم بفتح الفاء وقرء الجمهور
بالضم قال الفقيه القاضي ابو الفضل عياض رحمه الله اعلم الله تعالى

المؤمنين او العرب او اهل مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين
من المواجهة بهذا الخطاب انه بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه
ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب
وترك النصيحة لهم لكونه منهم وانه لم يكن في العرب قبيلة الا و
لها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولادة او قرابة
وكونه من اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراة الفتح وهذه نهاية
المدح ثم وصفه بعد باوصاف حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من
حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم و
يضربهم في دنياهم واخراهم وعزته عليه ورافته ورحمته بمؤمنيهم
قال بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه رؤف رحيم ومثله اية الاخرى
قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم
الاية وفي الاية الاخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم
الاية كما ارسلنا فيكم رسولا منكم وروي عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعا عليه وسلم في قوله تعالى من
انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا ليس في ابائي من لدن ادم سفاح
كلنا نكاح قال ابن الكلبي كتبت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خمس
مائة ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان عليه اهل الجاهلية
وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعا وتقلبك في الساجدين
قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا وقال جعفر بن محمد علم الله تعالى

عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكى لا يعلموا انهم لا ينالون الصفو
من خدمته فاقام بينه و بينهم مخلوقا من جنسهم فى الصورة البسه
من نعته الرأفة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل
طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال تعالى من يطع الرسول
فقد اطاع الله و قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
قال ابو بكر بن طاهر زين الله تعالى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم
بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن
اصابه شىء من رحمته فهو الناجى فى الدارين من كل مكروه والواصل
فيهما الى كل محبوب الا ترى ان الله يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
فكانت حيوته رحمة ومماته رحمة كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم حياتى
خير لكم وموتى خير لكم وكما قال صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اراد الله
رحمة بامة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا وقال السمرقندى رحمة
للعالمين يعنى للجن والانس وقيل لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة
للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر بتأخير العذاب قال ابن عباس
رضى الله عنهما هو رحمة للمؤمنين وللكافر اذ عوفوا مما اصاب غيرهم
من الامم المكذبة وحكى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لجبريل عليه
السلام هل اصابك من هذه الرحمة شىء قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت
لثناء الله تعالى على بقوله ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين وروى
عن جعفر بن محمد الصادق فى قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اى بك انما

وقعت

وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الله تعالى
الله نور السموات والارض الاية قال كعب وابن جبير المراد بالنور الثانى
ههنا محمد عليه السلام وقوله تعالى مثل نوره اى مثل نور محمد عليه السلام
وقال سهل بن عبد الله الغنى الله هادى السموات والارض ثم قال
مثل نور محمد اذ كان مستودعا فى الاصلاب كمشكوة صفتها كذا واراد
بالمصباح قلبه والزجاجة صدره اى كانه كوكب درى لما فيه من الايمان
والحكمة توقد من شجرة مباركة اى من نور ابرهيم وضرب المثل بالشجرة
المباركة وقوله تعالى يكاد زيتها يضىء اى تكاد نبوة محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد سماه الله تعالى فى
القران فى غير هذا الموضع نورا وسراجا منيرا فقال تعالى قد جاءكم من
النور وكتاب مبين وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا و
داعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ومن هذا قوله تعالى الم نشرح لك
صدرك الى اخر السورة شرح وسع والمراد بالصدر هنا القلب قال
ابن عباس رضى الله عنهما شرحه بالاسلام وقال سهل بنور الرسالة
وقال الحسن ملاءه حكما وعلما وقيل معناه الم نطهر قلبك حتى لا يؤذيك
الوسواس ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك قيل ما سلف
من ذنبك يعنى قبل النبوة وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل اراد ما اثقل
ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردى والسلمى وقيل عصمناك
ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندى ورفعنا لك ذكرك

قال يحيى بن ادم بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معي قول لا اله الا
الله محمد رسول الله وقيل في الاذان والتشهد قال الفقيه القاضي
ابو الفضل عياض رحمه الله هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه عليه
السلام على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته عليه بان
شرح قلبه بالايمان والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع عنه
ثقل امور الجاهلية عليه بظهور دينه على الدين كله وحط عنه عهده
اعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل اليهم وتنويهه بعظيم مكانه
وجليل رتبته ورفعه ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رضي الله
الله عنه رفع الله تعالى قدره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد
ولا صاحب صلوة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه و
سلم قال اتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول اتدري كيف رفعت
ذكرك قلت الله ورسوله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن
عطا جعلت تمام الايمان بذكري معك وقال ايضا جعلتك ذكرا
من ذكري فمن ذكرك ذكرني قال جعفر بن محمد الصادق رضي الله
عنه لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية واشار بعضهم في
ذلك الى الشفاعة ومن ذكره معه تعالى ان قرن طاعته بطاعته
واسمه باسمه فقال تعالى واطيعوا الله والرسول وامنوا بالله
ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشركة ولا يجوز جمع هذا الكلام

في غير حقه

في غير حقه عليه السلام حدثنا الشيخ ابو علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ
فيما اجازنيه وقراته على الثقة عنه قال حدثنا ابو عمر النمري قال حدثنا ابو محمد
بن عبد المومن قال حدثنا ابو بكر بن داسة قال حدثنا ابو داود السجزي
قال حدثنا ابو الوليد الطيالسي قال حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله
بن يسار عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال
لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم ما شاء
فلان قال الخطابي ارشدهم صلى الله عليه وسلم الى الادب في تقديم مشية
الله تعالى على مشية من سواه واختارها بثم التي هي للنسق والتراخي
بخلاف الواو التي هي للاشتراك ومثله الحديث الاخر ان خطيبا خطب
عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد
رشد ومن يعصهما فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بئس خطيب
القوم انت قم او قال اذهب قال ابو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين
بحرف من التسوية وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف على يعصهما
وقول ابو سليمان اصح لما روى في الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما
فقد غوى ولم يذكر الوقوف على يعصهما وقد اختلف المفسرون واصحاب
المعاني في قوله تعالى ان الله وملئكته يصلون على النبي هل يصلون راجعة
على الله تعالى والملئكة ام لا فاجازه بعضهم ومنعه اخرون لعلة التشريك
وخصوا الضمير بالملئكة وقدروا الاية ان الله يصلي وملئكته يصلون
وقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال من فضيلتك عند الله

ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال
الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآيتين وروى
انه لما نزلت هذه الاية قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت
النصارى عيسى عليه السلام فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول
فقرن طاعته بطاعته رغما لهم وقد اختلف المفسرون في معنى
قوله تعالى في ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم
فقال ابو العالية والحسن البصري الصراط المستقيم هو رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه حكاه عنهما ابو الحسن
الماوردي وحكى مكي عنهما نحوه وقال هو رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر وحكى ابو الليث السمرقندي
مثله عن ابي العالية في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال
فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح وحكى الماوردي
ذلك في تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد وحكى
ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك
بالعروة الوثقى الاية انه محمد عليه السلام وقيل الاسلام وقيل
شهادة التوحيد وقال سهل في قوله تعالى وان تعدوا نعمت
الله لا تحصوها قال نعمته محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال
تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون الايتين
اكثر المفسرين على ان الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله تعالى عليه

وسلم وقال بعضهم وهو الذي صدق به المؤمنون وقيل ابو بكر وقيل
علي وقيل غير هذا من الاقوال وعن مجاهد في قوله تعالى الا بذكر
الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه رضي
الله عنهم الفصل الثاني في وصفه تعالى بالشهادة وما تعلق بها من
الثناء والكرامة قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا الاية جمع الله تعالى له في هذه الاية ضروبا من رتب
الاثرة وجملة اوصاف من المدحة فجعله شاهدا على امته لنفسه
بابلاغهم الرسالة وهي من خصائصه عليه السلام ومبشرا
لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا الى توحيده وعبادته
وسراجا منيرا يهتدى به للحق حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب قال حدثنا
ابو القاسم حاتم بن محمد قال حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد
المروزي حدثنا ابو عبد الله بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا محمد
بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد
الله بن عمرو بن العاص فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم فقال اجل والله انه لموصوف في التورية
ببعض صفته في القران يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل
ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة
السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله تعالى حتى يقيم به الملة

العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا
صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله بن سلام وكعب
الاحبار وفي بعض طرقه عن ابن اسحاق ولا صخب في الاسواق
ولا متزين بالفحش ولا قوال الخنا اسدده لكل جميل واهب
له كل خلق كريم واجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى
ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو
والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى
امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدى به بعد الضلالة واعلم
به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة واكثر به
بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واؤلف به
بين قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير
امة اخرجت للناس وفي حديث اخر اخبرنا رسول الله صلى الله
تعا عليه وسلم عن صفته في التورية عبدي احمد المختار مولده بمكة
ومهاجره بالمدينة او قال طيبة امته الحمادون الله على كل حال وقال
تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الايتين وقد قال تعا فبما رحمة
من الله لنت لهم الاية قال السمرقندي ذكرهم الله تعالى منته انه جعل
رسوله رحيما بالمؤمنين رؤفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا في
القول لتفرقوا من حوله ولكن جعله الله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا
هكذا قاله الضحاك وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء

على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال ابو الحسن القابسي
ابان الله تعالى فضل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وفضل امته
بهذه الاية وفي قوله تعالى الاية الاخرى في وهو سميكم المسلمين
من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء
على الناس وكذلك قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
الاية وقوله تعالى وسطا اي عدولا خيارا ومعنى هذه الاية وكما
هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة
خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء على اممهم ويشهد لكم الرسول
بالصدق قيل ان الله جل جلاله اذا سئل الانبياء هل بلغتم
فيقولون نعم فتقول اممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد
امة محمد للانبياء ويزكيهم النبي صلى الله تعا عليه وسلم وقيل
معنى الاية انكم حجة على كل من خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه
السمرقندي وقال الله تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق
عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم قدم صدق هو محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع وعن الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم
صلى الله تعالى عليه وسلم وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه هي
شفاعة نبيهم محمد صلى الله تعا عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم
وقال سهل بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة اودعها الله تعا
في محمد صلى الله تعا عليه وسلم وقال محمد بن علي الترمذي هو امام الصادقين

والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم حكاه عنه السلمي **الفصل الثالث** فيما ورد من خطابه اياه مورد
الملاطفة والبرة فمن ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت
لهم قال ابو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله
واعزك الله وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره
بالذنب وحكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا
سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدء النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه من هيبة هذا
الكلام لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له
لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين الصادق في عذره من الكاذب
وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب ومن اكرامه
وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب قال نفطويه ذهب
ناس الى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم معاتب بهذه الاية وحاشاه
من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله تعالى انه لو لم يأذن لهم لقعدوا
لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم قال الفقيه القاضي ابو الفضل
يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه ان يتأدب
بآداب القران في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف
الحقيقية وروضة الاداب الدينية والدنيوية وليتأمل هذه الملاطفة
العجيبة في السؤال من رب الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع و

يستثير

يستثير ما فيها من الفوائد وكيف ابتداء بالاكرام قبل العتب وانس بالعفو
قبل ذكر الذنب ان كان ثمة ذنب وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد
كدت تركن اليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين عاتب الله تعالى الانبياء
بعد الزلات وعاتب نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم قبل وقوعه ليكون
بذلك اشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غاية العناية
ثم انظر كيف بدء بثباته وسلامته قبل ذكر ما عاتبه عليه وخيف ان
يركن اليه ففي اثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه تامينه وكرامته و
مثله قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك
الاية قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال ابو جهل للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم
لا يكذبونك الاية **وروى** ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما كذبه
قومه حزن فجاءه جبريل عليه السلام فقال ما يحزنك فقال كذبني قومي
فقال انهم يعلمون انك صادق فانزل الله تعالى الاية ففي هذه الاية منزع
لطيف المأخذ من تسليته تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم والطافه
له في القول بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون
بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين فدفع بهذا
التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين
ظالمين فقال ولكن الظالمين بايات الله يجحدون فحاشاه من الوصم وطوقهم
بالمعاندة بتكذيب الايات حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم

انكره كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه و
انسه بما ذكره عمن قبله ووعده النصر بقوله ولقد كذبت رسل من
قبلك فصبروا على ما كذبوا الاية فمن قرء يكذبونك بالتخفيف فمعناه
لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولون انك كاذب
وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه ومن قرء بالتشديد لا ينسبونك
الى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك وممّا ذكر من خصائصه صلى
الله تعالى عليه وسلم وبرّ الله تعالى به ان الله تعا خاطب جميع الانبياء عليهم
الصلوة والسلام باسمائهم فقال يا آدم يا نوح يا ابراهيم يا داود يا
عيسى يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو صلى الله تعالى عليه وسلم الا يا ايها
المزمل يا ايها المدثر يا ايها الرسول

الفصل الرابع في قسم تعالى

بعظيم قدره صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم
يعمهون اتفق اهل التفسير في هذا انه قسم من الله جل جلاله بمدة حيوة
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واصله بضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة
الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحيوتك وهذه
نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف قال ابن عباس رضي الله عنهما ما خلق الله
تعالى وما ذرأ وما برأ نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وما سمعت الله تعا اقسم بحيوة احد غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
لانه اكرم البرية عنده قال ابو الجوزاء ما اقسم الله تعالى بحيوة احد غير محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم وقال تعالى يس والقران الحكيم الايات اختلف

المفسرون

المفسرون في معنى يس على اقوال فحكى ابو محمد مكي انه روى عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لي عند ربي عشرة اسماء ذكر ان
منها طه ويس اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق
انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله تعا عليه وسلم وعن ابن
عباس رضي الله عنهما يس يا انسان اراد بالانسان محمدا صلى الله تعا
عليه وسلم وقال هو قسم وهو اسم من اسماء الله تعالى وقال
الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان وعن ابن
الحنفية رضي الله عنه يس يا محمد وعن كعب رضي الله عنه يس قسم
اقسم الله تعالى به قبل ان يخلق السماء والارض بالفي عام يا محمد انك
لمن المرسلين ثم قال تعا والقران الحكيم انك لمن المرسلين فان
قدر انه من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان
فيه من التعظيم ما تقدم ويؤكد فيه القسم عطف القسم الاخر عليه
وان كان بمعنى النداء فقد جاء قسم اخر فيه بعده لتحقيق رسالته و
الشهادة بهدايته صلى الله تعالى عليه وسلم اقسم الله تعالى باسمه
وكتابه انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم من
ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق وقال النقاش لم يقسم
الله تعا لاحد من انبيائه بالرسالة في كتابه الا له وفيه من تعظيمه وتمجيده
على تاويل من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال عليه الصلوة والسلام
انا سيد ولد آدم ولا فخر وقال الله تعا لا اقسم بهذا البلد وانت حل

بهذا البلد وقيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكى وقيل
لا زائدة اى اقسم به وانت به يا محمد حلال او حل لك ما فعلت فيه على
التفسيرين والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة وقال الواسطى اى نحلف لك بهذا
البلد الذى شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا يعنى المدينة والاول
اصح لان السورة مكية وما بعده يصححه **قوله** تعالى حل بهذا البلد ونحوه
قول ابن عطاء فى تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين قال امنها الله تعالى
بمقامه فيها وكونه بها فان كونه امان حيث كان ثم قال تعالى ووالد وما ولد
من قال اراد آدم عليه السلام فهو عام ومن قال هو ابرهيم وما ولد
فهى اشارة ان شاء الله تعالى الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتضمن السورة
القسم به فى موضعين وقال تعالى الم ذلك الكتاب قال ابن عباس
رضى الله عنه هذه الحروف اقسام اقسم الله تعالى بها وعنه وعن
غيره فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التسترى الف هو الله
واللام جبريل والميم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم **وحكى** هذا القول
السمرقندى ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه الله انزل جبريل على
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا القران لا ريب فيه ثم فيه من فضيلة
قران اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال عطاء فى قوله تعالى **ق** والقران المجيد
اقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حيث حمل الخطاب
والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل هو اسم الله تعالى وقيل
جبل محيط بالارض وقيل غير هذا وقال جعفر بن محمد فى تفسير قوله والنجم

اذا هوى انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال النجم قلب محمد عليه السلام
هو انشرح من الانوار وقال انقطع عن غير الله وقال ابن عطاء فى قوله
تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لان منه تفجر
الايمان **الفصل الخامس** فى قسمه تعالى جده له لتحقق مكانته عنده عليه
السلام قال الله جل اسمه والضحى والليل اذا سجى السورة اختلف فى سبب
نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قيام
الليل لعذر نزل به فتكلمت امراة فى ذلك بكلام وقيل بل تكلم به المشركون
عند فترة الوحى فنزلت السورة قال القاضى الفقيه ابو الفضل
تضمنت هذه السورة من كرامات الله له وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة
وجوه الاول القسم له عما اخبره به من حاله بقوله والضحى والليل اذا سجى
اى ورب الضحى وهذا من اعظم درجات المبرة الثانى بيان مكانته عنده
وحظوته لديه بقوله ما ودعك ربك وما قلى اى ما تركك وما ابغضك
وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك الثالث قوله تعالى وللاخرة خير لك من
الاولى قال ابن اسحاق اى ما لك فى مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك
من كرامة الدنيا وقال سهل اى ما ادخرت لك من الشفاعة والمقام
المحمود خير لك مما اعطيتك فى الدنيا الرابع قوله ولسوف يعطيك ربك
فترضى وهذه الاية جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة وشتات
الانعام فى الدارين والزيادة قال ابن اسحق يرضيه بالفلج فى الدنيا و
الثبات والثواب فى الاخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة وروى

عن بعض الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان دخل احد من امته النار
الخامس ما عدّ الله تعالى عليه من نعمه وقرره من آلائه قبله في بقية السورة
من هدايته الى ما هداه له او هداية الناس به على اختلاف التفاسير ولا مال
له فاغناه بما اتاه او بما جعله في قلبه من القناعة والغناء ويتيما فحدب
عليه عمه وآواه اليه وقيل آواه الى الله تعالى وقيل يتيما لا مثال لك
فآواك اليه وقيل المعنى الم يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا وآوى
بك يتيما ذكره بهذه المنن وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله في حال صغره
وعيلته ويتمه وقبل معرفته به تعالى ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه
واصطفائه السادس امره باظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره واشادة
ذكره بقوله واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة الحديث بها وهذا خاص
له عام لامته وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من ايات ربه
الكبرى اختلف المفسرون في قوله والنجم باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره
ومنها النجم القران وعن جعفر بن محمد انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال هو قلب
محمد عليه السلام وقد قيل في قوله والسماء والطارق وما ادريك ما الطارق
النجم الثاقب هنا ايضا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حكاه السلمي تضمنت هذه الايات
من فضله وشرفه العد ما يقف دونه العد واقسم جل اسمه على هداية المصطفى
صلى الله تعالى عليه وسلم وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلى وانه وحي يوحى اوصله
اليه عن الله جبريل وهو شديد القوى ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء
وانتهائه الى سدرة المنتهى وتصديق بصره فيما رأى من ايات ربه الكبرى وقد نبه سبحانه

وتعالى على

وتعالى على مثل هذا في اول سورة الاسراء ولما كان ما كاشفه عليه
السلام من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط به
العبارات ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى
بالايماء والكناية الدالة على التعظيم فقال فاوحى الى عبده ما اوحى
وهذا النوع من الكلام يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحي و
الاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز وقال تعالى لقد رأى من
ايات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام
وتعيين تلك الايات الكبرى قال ابو الفضل رحمه الله واشتملت
هذه الايات على اعلام الله تعالى بتزكيه جملته صلى الله تعالى عليه
وسلم وعصمتها من الافات في هذه المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه
فزكى قلبه بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى ولسانه بقوله
وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ وما طغى وقال
تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول
شيطان رجيم لا اقسم اي اقسم انه رسول كريم انه كريم
عند مرسله ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي مكين اي متمكن
المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم اي في السماء امين
على الوحي قال علي بن عيسى وغيره الرسول الكريم هنا محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم فجميع الاوصاف بعد على هذا له
وقال غيره وهو جبريل فترجع الاوصاف اليه ولقد رآه

يعني محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم قيل راى ربه وقيل راى جبريل
في صورته وما هو على الغيب بضنين اى بمتهم ومن قرءه بالضاد
فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء به والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد
صلى الله تعالى عليه وسلم باتفاق وقال تعالى ن والقلم وما
يسطرون الايات اقسم تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه على تنزيه
المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له و
انسه وبسط امله بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون
وهذه نهاية المبرة في المخاطبة واعلى درجات الاداب في المحاورة
ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا يأخذه عد
ولا يمتن به عليه فقال وان لك لاجرا غير ممنون ثم اثنا عليه بما
منحه من هباته وهداه اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد بنسبته اليه بحر
في التاكيد فقال وانك لعلى خلق عظيم قيل القران وقيل الاسلام
وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة الا الله قال الواسطي اثنى عليه بحسن
قبوله وحسن اقباله لما اسداه اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره
لانه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد
الذي يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما اغزر
نواله واوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده به من
عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث الايات ثم عطف
بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه متوليا ذلك

بفضله

بفضله ومنتصرا لنبيه عليه السلام فذكر بضع عشرة خصلة من خصال
الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين الى قوله اساطير الاولين ثم
ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله سـ
سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله له اتم من نصرته لنفسه ورده
تعالى على عدوه ابلغ من رده واثبت في ديوان مجده صلى الله تعالى
عليه وسلم **الفصل السادس فيما ورد** من قوله تعالى في جهته
عليه السلام مورد الشفقة والاكرام قال الله تعالى طه ما انزلنا
عليك القران لتشقى قيل طه اسم من اسمائه عليه السلام وقيل هو
اسم الله تعالى وقيل معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل هي حروف
مقطعة لمعان قال الواسطي اراد يا طاهر يا هادي وقيل هو امر
من الوطء والهاء كناية عن الارض اى اعتمد على الارض بقدميك
ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله ما انزلنا
عليك القران لتشقى نزلت الاية فيما كان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل **اخبرنا** القاضي ابو عبد
الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي ابي الوليد الباجي
اجازة ومن اصله نقلت **حدثنا** ابو ذر الحافظ **حدثنا** ابو محمد
الحموي **حدثنا** ابرهيم بن خزيم الشاشي **حدثنا** عبد بن حميد **حدثنا**
هاشم بن القاسم عن ابي جعفر عن الربيع بن انس **قال** كان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله

تعالى طه يعني طئ الارض يا محمد ما انزلنا عليك القران لتشقى ولا خفاء
بما في هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة وان جعلنا طه من اسمائه
عليه السلام كما قيل او جعلت قسما لحق الفصل بما قبله ومثل هذا من
نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم
يؤمنوا بهذا الحديث اسفا اى قاتل نفسك لذلك غضبا او غيظا او
جزعا ومثله قوله ايضا لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين
ثم قال ان يشاء ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين
ومن هذا الباب قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين
الى قوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون الى اخر السورة
وقوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك الاية قال مكي
سلاه تعالى بما ذكر وهون عليه ما يلقى من المشركين واعلمه ان
من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية قوله
تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا قوله
تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون
عزاه بما اخبر به عن الامم السالفة ومقالها لانبيائهم قبله ومحنتهم
بهم وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول من لقى
ذلك ثم طيب نفسه وابان عذره بقوله تعالى فتول عنهم اى اعرض
عنهم فما انت بملوم اى في اداء ما بلغت وابلاغ ما حملت ومثله قوله
تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا اى اصبر على اذاهم فانك بحيث

بحيث نراك ونحفظك سلاه الله بهذا في اى كثيرة من هذا المعنى
الفصل السابع فيما اخبر الله تعالى به في كتابه العزيز من عظيم
قدره وشريف منزلته على الانبياء وحظوة رتبته عليهم قوله
تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة
الى قوله من الشاهدين قال ابو الحسن القابسي استخص الله
تعالى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره ابانه به
وهو ما ذكره في هذه الاية قال المفسرون اخذ الله الميثاق
بالوحي فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم
ونعته واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به وقيل ان
يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله
ثم جاءكم الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله
تعالى عليه وسلم قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لم يبعث
الله نبيا من ادم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ
العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدي وقتادة في اى تضمنت
فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية وقال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى
نوح الى قوله وكيلا روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
انه قال في كلام بكى به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال بابي
وامي انت يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان
بعثك اخر الانبياء وذكرك في اولهم فقال واذ اخذنا من

النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية بابي وانت وامي يا رسول
الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا
اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله
واطعنا الرسولا قال قتادة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال
كنت اول الانبياء في الخلق واخرهم في البعث فلذلك وقع ذكره
مقدما هنا قبل نوح وغيره قال السمرقندي في هذا تفضيل نبينا
عليه الصلوة والسلام لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو اخرهم المعنى
اخذ الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر ادم كالذر وقال تعالى
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية قال اهل التفسير
اراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم لانه
بعث الى الاحمر والاسود واحلت له الغنائم وظهرت على يديه
المعجزات وليس احد من الانبياء اعطي فضيلة او كرامة الا وقد
اعطي محمد عليه الصلوة والسلام مثلها قال بعضهم ومن فضله
ان الله تعالى خاطب الانبياء باسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة
في كتابه فقال يا ايها النبي ويا ايها الرسول وحكى السمرقندي
عن الكلبي في قوله تعالى وان من شيعته لابرهيم ان الهاء عائدة
على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اي ان من شيعة محمد لابرهيم
اي على دينه ومنهاجه واجازه الفراء وحكاه عنه مكي وقيل المراد
نوح عليه السلام

الفصل الثامن في اعلام الله تعالى خلقه بصلوته عليه وولايته له ودفعه العذاب بسببه

قال الله تعالى
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اي ما كنت بمكة فلما خرج النبي صلى

الله تعالى عليه وسلم من مكة وبقي من بقي فيها من المؤمنين نزل وما
كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا مثل قوله تعالى لو تزيلوا
الاية وقوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الاية فلما هاجر
المؤمنون نزلت وما لهم الا يعذبهم الله وهذا من ابين ما يظهر مكانته
صلى الله تعالى عليه وسلم ودرأته العذاب عن اهل مكة بسبب كونه
ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم فلما خلت مكة منهم عذبهم بتسليط المؤمنين
عليهم وغلبتهم اياهم وحكم فيهم سيوفهم واورثهم ارضهم وديارهم
واموالهم وفي الاية ايضا تاويل اخر حدثنا القاضي الشهيد ابو علي
رحمه الله بقراءتي عليه حدثنا ابو الفضل ابن خيرون وابو الحسين الصيرفي
قالا حدثنا ابو يعلى ابن زوج الحرة حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن
محبوب المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا سفيان ابن وكيع حدثنا
ابن نمير عن اسماعيل بن ابرهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن ابي
بردة عن ابي موسى عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم انزل الله علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما
كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيكم الاستغفار
ونحو منه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال عليه السلام
انا امان لاصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن قال بعضهم
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت
سنته باقية فهو باق فاذا اميتت سنته فانتظروا البلاء والفتن
وقال الله تعالى ان الله وملئكته يصلون على النبي الاية ابان الله تعالى
فضل نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بصلوته عليه ثم بصلوة ملئكته

وامر عباده بالصلوة والتسليم عليه وقد حكى ابو بكر بن فورك
ان بعض العلماء تاول قوله صلى الله تعالى عليه وسلم وجعلت قرة
عيني في الصلوة على هذا اي في صلوة الله علي وملئكته وامره
الامة بذلك الى يوم القيمة والصلوة من الملئكة ومنا له دعاء
ومن الله رحمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم حين علم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة والبركة
وسنذكر حكم الصلوة عليه فذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف
كهيعص ان الكاف من كاف اي كفاية الله لنبيه قال اليس الله بكاف
عبده والهاء هدايته له قال ويهديك صراطا مستقيما والياء تاييد
قال ايدك الله بنصره والعين عصمته له قال والله يعصمك من
الناس والصاد صلوته عليه قال ان الله وملئكته يصلون على
النبي وقال تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه الاية اي
وليه وناصره وصالح المؤمنين قيل الانبياء وقيل الملئكة وقيل
ابو بكر وعمر وقيل علي وقيل المؤمنون على ظاهره الفصل
التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته قال الله تعالى انا
فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق ايديهم تضمنت هذه
الايات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله ونعمته لديه
ما يقصر الوصف عن الانتهاء اليه فابتداء جل جلاله باعلامه بما
قضاه له من القضاء البين بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته
وشريعته وانه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وبما يكون قال بعضهم
اراد غفران ما وقع وما لم يقع اي انك مغفور لك وقال مكي جعل الله

المنة

المنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا اله غيره منة بعد منة وفضلا بعد فضل
ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر لك وقيل بفتح مكة والطائف
وقيل يرفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك فاعلمه بتمام نعمته عليه
بخضوع متكبري عدوه له وفتح اهم البلاد عليه واحبها له ورفع ذكره و
هدايته الى الصراط المستقيم المبلغ الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز
ومنته على امته المؤمنين بالسكينة والطمانينة التي جعلها في قلوبهم
وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم
وهلاك عدوه في الدنيا والاخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء
منقلبهم ثم قال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية فعدد محاسنه
وخصائصه من شهادته على امته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل
شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لامته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا
عدوه بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات ليؤمن بالله ثم بي من سبقت
له من الله الحسنى ويعزروه اي يجلونه وينصرونه وقيل يبالغون
في تعظيمه وتوقروه اي يعظمونه وقرا بعضهم ويعززوه بزائين من العز
والاكثر والاظهر ان هذا في حق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال وتسبحوه
بكرة واصيلا هذا راجع الى الله تعالى قال ابن عطاء جمع للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من اعلام
الاجابة والمغفرة وهي من اعلام المحبة وتمام النعمة وهي من اعلام الاختصاص
والهداية وهي من اعلام الولاية فالمغفرة تبرئة من العيوب وتمام النعمة

ابلوغ الدرجة الكاملة والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة وقال
جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته ونسخ
به شرايع غيره وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه في المعراج حتى مازاغ
البصر وما طغى وبعثه الى الاسود والاحمر واحل له ولامته الغنايم
وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد ادم وقرن ذكره بذكره و
رضاه برضاه وجعله احد ركني التوحيد ثم قال ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله يعني بيعة الرضوان اي انما يبايعون الله ببيعتهم اياك
يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل
عقده وهذه استعارة وتجنيس في الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم اياه
وعظم شان المبايع هو صلى الله تعالى عليه وسلم وقد يكون من هذا
قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن
الله رمى وان كان الاول في باب المجاز وهذا في باب الحقيقة لان
القاتل والرامي بالحقيقة هو الله وهو خالق فعله ورميه وقدرته
عليه ومسببه ولانه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث
صلت حتى لم يبق منهم من لم تملا عينيه وكذلك قتل الملئكة لهم حقيقة
وقد قيل في هذه الاية الاخرى انها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ و
مناسبته اي ما قتلتموهم وما رميتهم انت اذ رميت وجوههم بالحصباء
والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع اي ان منفعة الرمي كانت من
فعل الله فهو القاتل والرامي بالمعنى وانت بالاسم الفصل العاشر فيما

اظهره الله في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وما
خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه
الله تعالى من قصة الاسراء في سورة سبحن والنجم وما انطوت
عليه القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهده من العجايب ومن
ذلك عصمته من الناس بقوله والله يعصمك من الناس وقوله تعالى
واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وقوله الا تنصروه فقد نصره الله
وما دفعه الله به عنه في هذه القصة من اذاهم بعد تحزبهم لهلكه
وخلوصهم نجيا في امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم و
ذهولهم عند طلبه في الغار وما اظهر في ذلك من الايات ونزول
السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك حسب ما ذكره اهل الحديث
والسير في قصة الغار وحديث الهجرة ومنه قوله انا اعطيناك
الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر اعلمه الله بما اعطاه
والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة
وقيل المعجزات الكثيرة وقيل المعرفة ثم اجاب تعالى عنه عدوه ورد
عليه قوله فقال تعالى ان شانئك هو الابتر اي عدوك ومبغضك
والابتر الحقير الذليل او المفرد الوحيد او الذي لا خير فيه وقال تعالى
ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم قيل السبع المثاني السورة
الطوال الاول والقران العظيم ام القران وقيل السبع المثاني ما في القران
من امر ونهي وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم واتيانك نباء

القران العظيم وقيل سميت ام القران مثاني لانها تثنى في كل
ركعة وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وذخر
هاله دون سائر الانبياء وسمى القران مثاني لان القصص
تثنى فيه وقيل السبع المثاني اكرمناك بسبع كرامات الهدى
والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم و
السكينة وقال وانزلنا اليك الذكر الاية وقال وما ارسلناك
الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال قل يا ايها الناس اني
رسول الله اليكم جميعا الاية قال القاضي رحمه الله فهذه من خصائصه
وقال الله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين
لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم الى الخلق
كافة كما قال عليه السلام بعثت الى الاحمر والاسود وقال تعالى
النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم قال اهل
التفسير اولى بالمؤمنين من انفسهم اى ما انفذه فيهم من امر فهو
ماض عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره اولى من
اتباع راى النفس وازواجه امهاتهم اى هن في الحرمة كالامهات
حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة وخصوصية ولانهن له ازواج في
الاخرة وقد قرئ وهو اب لهم ولا يقرء به الان لمخالفته المصحف
وقال تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية قيل فضله
العظيم بالنبوة وقيل بما سبق له في الازل واشار الواسطي

الى انها اشارة الى احتمال الرؤية التى لم يحتملها موسى صلى الله عليهما
وسلم الباب الثاني في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا بلغ
وقرانه جميع الفضائل الدنيوية والدينية فيه نسقا اعلم ايها
المحب لهذا النبي الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم الباحث عن
تفاصيل جمل قدره العظيم ان خصال الجلال والجمال والكمال
في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة
الحيوة الدنيا ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى
الله زلفى ثم هي على فنين ايضا منها ما يتخلص لاحد الوصفين
ومنها ما يتمازج ويتداخل واما الضروري المحض فما ليس للمرء
فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته
وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة
حواسه واعضائه واعتدال حركته وشرف نسبه وعزة قومه
وكرم ارضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته اليه من غذائه
ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق
هذه الخصال الاخرة بالاخروية اذا قصد بها التقوى ومعونة
البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة وقوانين
الشريعة واما المكتسبة الاخروية فسائر الاخلاق العلية والاداب
الشرعية من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل و
الزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء

والمروّة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة
واخواتها وهي التي جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه الاخلاق
ما هو في الغريزة واصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا تكون
فيه فيكتسبها ولكنه لابد ان يكون فيه من اصولها في اصل الجبلة شعبة
كما سنبينه ان شاء الله تعالى وتكون هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد
بها وجه الله والدار الاخرة ولكنها محاسن وفضائل باتفاق
اصحاب العقول تسليمه وان اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها
فصل قال القاضي رحمه الله اذا كانت خصال الكمال والجلال ما
ذكرناه ووجدنا الواحد منا يتشرف بواحدة منها او اثنتين
ان اتفقت له في كل عصر وا وان اما من نسب وجمال وقوة وعلم
او شجاعة وسماحة حتى يعظم قدره ويضرب باسمه الامثال ويتقرر
له الوصف بذلك في القلوب اثرة وعظمة وهو منذ عصور خوالد
رمم فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال الى ما لا يأخذه
عدّ ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير
المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفا
والاسراء والرؤية والقرب والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة
والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث الى
الاحمر والاسود والصلوة بالانبياء والشهادة بين الانبياء والامم
وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند

ذي العرش والطاعة ثم والامانة والهداية ورحمة للعالمين
واعطاء الرضا والسؤال والكوثر وسماع القول واتمام النعمة
والعفو عما تقدم وتاخر وشرح الصدر ووضع الوزر و
رفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتاييد بالملئكة
ايتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم وتزكية
الامة والدعاء الى الله وصلوة الله والملئكة والحكم بين الناس
بما اراه الله ووضع الاصر والاغلال عنهم والقسم باسمه و
اجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم واحياء الموتى واسماع الصم
ونبع الماء بين اصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس
وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل
الغمام وتسبيح الحصا وابراء الالام والعصمة من الناس والى ما لا يحويه
محتفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك ومفضله به لا اله غيره الى ما
اعدّ له في الدار الاخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس
ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول
ويحاورون ادانيها الوهم فصل ان قلت اكرمك الله لا خفاء
على القطع بالجملة انه صلى الله تعا عليه وسلم اعلى الناس قدراً
واعظمهم محلا واكملهم محاسنا وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل
خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني الى ان اقف عليها من اوصافه
صلى الله تعا عليه وسلم تفصيلا فاعلم نور الله قلبي وقلبك

وضاعف في هذا النبي الكريم حتى وجبك انك اذا نظرت الى
خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته عليه
السلام حائزا لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة
الاخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع اما الصورة وجمالها
وتناسب اعضائه في حسنها فقد جاءت الاثار الصحيحة المشهورة
الكثيرة بذلك من حديث علي وانس بن مالك وابي هريرة والبراء
بن عازب وعائشة ام المؤمنين وابن ابي هالة وابي جحيفة و
جابر بن سمرة وام معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب وابي
الطفيل والعداء بن خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغير
هم رضي الله عنهم من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان ازهر
اللون ادعج انجل اشكل اهدب الاشفار ابلج ازج . اقنى
افلج مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملا صدره سواء
البطن والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل
العضدين والذراعين والاسافل رحب الكفين والقدمين
سائل الاطراف انور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس
بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه
احد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله تعالى عليه وسلم رجل الشعر
اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام
اذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه احسن الناس عنقا ليس بمطهم

ولا مكلثم

ولا مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم قال البراء ما رايت من ذي
لمة في حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وقال ابو هريرة ما رايت شيئا احسن من رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه واذا ضحك يتلالا
في الجدر وقال جابر بن سمرة وقال له رجل كان وجهه صلى
الله تعالى عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر
وكان مستديرا وقالت ام معبد في بعض ما وصفته به اجمل الناس
من بعيد واحلاه واحسنه من قريب وفي حديث ابن ابي هالة يتلألأ
وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله تعالى عنه في اخر
وصفه له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته
لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله تعالى عليه وسلم والاحاديث
في بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها وقد اختصرنا في
وصفه نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية في القصد الى المطلوب
وقد ختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه هنالك
ان شاء الله تعالى فصل واما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه و
نزاهته عن الاقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله في ذلك بخصائص
لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر وقال
بني الدين على النظافة حدثنا سفيان بن العاص وغير واحد قالوا حدثنا
احمد بن عمر حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن

سفيان حدثنا مسلم حدثنا قتيبة حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت
عن انس قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا اطيب من
ريح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن جابر بن سمرة انه صلى
الله تعالى عليه وسلم مسح خده فوجدت ليده بردا او ريحا كانما اخرجها
من جونة عطار قال غيره مسها بطيب او لم يمسها يصافح المصافح فيظل
يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان
بريحها ونام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في دار انس فعرق
فجاءت امه بقارورة تجمع فيها عرقه فسئلها رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو من اطيب وذكر البخاري
في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يمر
في طريق فيتبعه احد الا عرف انه سلكه من طيبه وذكر اسحق بن راهويه
ان تلك كانت رائحته بلا طيب عليه السلام وروى المزني عن جابر رضي الله
عنه اردفني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم النبوة
بفمي فكان ينم على مسكا وقد حكى بعض المعتنين باخباره وشمائله
عليه السلام انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض فابتلعت
غائطه وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة صلى الله تعالى عليه وسلم و
استدل محمد بن سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عائشة رضي
الله عنها انها قالت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انك تأتي الخلاء
فلا نرى منك شيئا من الاذى فقال يا عائشة او ما علمت ان الارض

تبلع

تبلع ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شيء وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا
فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله تعالى عليه وسلم
وهو قول بعض اصحاب الشافعي وحكى القولين عن العلماء في ذلك
ابو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما
لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد هذا انه صلى
الله تعالى عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره ولا غير طيب ومنه حديث علي
رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون
اطيب من الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا قال وسطعت
منه ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط ومثله قال ابو بكر رضي الله عنه
حين قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته ومنه شرب مالك
ابن سنان دمه يوم احد ومصه اياه وتسويغه صلى الله تعالى عليه
وسلم ذلك له وقوله لن تصيبه النار ومثله شرب عبد الله بن زبير دم
حجامته فقال له عليه الصلوة والسلام ويل لك من الناس وويل
لهم منك ولم ينكر عليه وقد روي نحو من هذا عنه في امرأة شربت بوله
فقال لها لن تشتكي وجع بطنك ابدا ولم يأمر واحدا منهم بغسل فم
ولا نهاه عن عودة وحديث هذه المرأة التي شربت بوله صحيح الزم الدار
قطني مسلما والبخاري اخرجه في الصحيح واسم هذه المرأة بركة واختلف
في نسبها وقيل هي ام ايمن وكانت تخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه و
سلم قالت وكان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدح من عيدان

يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد
فيه شيئا فسئل بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانه فشربته وانا لا اعلم
روى حديثها ابن جريج وغيره وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد ولد مختونا
مقطوع السرة وروى عن امه آمنه انها قالت ولدته نظيفا ما به قذر وعن
عائشة رضى الله عنها قالت ما رايت فرج رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قط وعن على رضى الله عنه قال اوصانى رسول الله صلى الله
لا يغسله غيرى فانه لا يرى احد عورتى الا طمست عيناه وفى حديث
عكرمة عن ابن عباس انه صلى الله تعالى عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط
فقام فصلى ولم يتوضا قال عكرمة لانه كان صلى الله تعالى عليه وسلم
محفوظا فصل واما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة
لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية انه كان اعقل الناس
واذكاهم ومن تامل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسته
الخاصة والعامة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما افاضه من العلم
وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة
للكتب منه لم يمتر فى رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بديهة وهذا مما لا
يحتاج الى تقريره لتحقيقه وقد قال وهب بن منبه قرات فى احد وسبعين
كتابا فوجدت فى جميعها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ارجح الناس عقلا
وافضلهم رايا وفى رواية اخرى فوجدت فى جميعها ان الله تعالى لم يعط
جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله تعالى

الله تعالى عليه وسلم الا كحبة رمل من بين رمال الدنيا وقال مجاهد كان
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قام فى الصلوة يرى من خلفه كما يرى
من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين وفى الموطأ عنه
عليه السلام انى لاريكم من وراء ظهرى ونحوه عن انس فى الصحيحين وعن
عائشة رضى الله عنها قالت زيادة زاده الله اياها فى حجته وفى بعض
الروايات انى لانظر من ورائى كما انظر الى من بين يدى وفى اخرى انى لابصر
من قفاى كما ابصر من بين يدى وحكى بقى بن مخلد عن عائشة رضى الله عنها
كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يرى فى الظلمة كما يرى فى الضوء و
الاخبار كثيرة صحيحة فى رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم للملائكة والشياطين
ورفع النجاشى له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه لقريش والكعبة حين
بنى مسجده وقد حكى عنه انه كان يرى فى الثريا احد عشر نجما وهذه كلها محمولة
على رؤية العين وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها
الى العلم والظواهر تخالفه ولا احالة فى ذلك وهى من خواص الانبياء و
خصالهم كما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد العدل من كتابه حدثنا ابو الحسن
المقرئ الفرغانى حدثتنا ام القسم بنت ابى بكر عن ابيها حدثنا الشريف
ابو الحسن على بن محمد الحسنى حدثنا محمد بن محمد سعيد حدثنا محمد بن احمد
بن سليمان حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق حدثنا همام حدثنا الحسن عن
قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم قال لما تجلى الله تعالى عليه وسلم قال لما تجلى الله تعالى لموسى

عليه السلام كان يبصر النملة على الصفاء فى ليلة الظلماء مسيرة عشرة
فراسخ ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بما ذكرناه
من هذا الباب بعد الاسراء والحظوة بما راى من ايات ربه الكبرى وقد
جاءت الاخبار بانه صرع ركانة اشد اهل وقته وقد دعاه الى الاسلام
وصارع ابا ركانة فى الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات
كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابو هريرة
رضى الله عنه ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
مشيته كانما الارض يطوى انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث وفى صفته
ان ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى مشى تقلعا
كانما ينحط من صبب فصل واما فصاحة اللسان وبلاغة القول
فقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل
والموضع الذى لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع ونصاعة
لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف اوتى جوامع الكلم وعلم السنة
العرب يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها فى منزع
بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه يسئلونه فى غير موضع عن شرح كلامه و
تفسير قوله من تامل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش
والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذى المشعار الهمدانى وطهفة
النهدى وقطن بن حارثة العليمى والاشعث بن قيس ووائل بن حجر
الكندى وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه

كتابه الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها تاكلون
علافها وترعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق
والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض
والداجن والكبش الحورى وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله
لنهد اللهم بارك لهم فى محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها
فى الدثر وافجر له الثمد وبارك فى المال والولد من اقام الصلوة
كان مسلما ومن اتى الزكوة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله
كان مخلصا لكم يا بنى نهد ودايع الشرك ووضايع الملك لا تلطط
فى الزكوة ولا تلحد فى الحيوة ولا تتثاقل عن الصلوة وكتب
لهم فى الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان
الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس
دركم ما لم تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق من اقر فله الوفاء بالعهد و
الذمة ومن ابى فعليه الربوة وكتابه لوائل بن حجر الى الاقيال العباهلة
والارواع المشابيب وفيه فى التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا
ضناك وانطوا الثبجة وفى السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه
مائة واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم
ولا توصيم فى الدين ولا غمة فى فرائض الله وكل مسكر حرام
ووائل بن حجر يترفل على الاقيال اين هذا من كتابه لانس فى الصدقة
المشهور لما كان كلام هؤلاء على هذا النمط واكثر استعمالهم هذه

الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون
وكقوله في حديث عطية السعدي فان اليد العليا هي المنطية واليد
السفلى هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بلغتنا وقوله
في حديث العامري حين سئله فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم سل عم شئت
وهي لغة بني عامر واما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه
المأثورة فقد الف الناس فيها الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها
الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله المسلمون تتكافؤ
دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس كاسنان
المشط والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس
معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم
يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله اسلم تسلم يؤتك
الله اجرك مرتين وان احبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيمة احاسنكم
اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقوله لعله كان يتكلم
بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله
وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات
وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله اتق الله حيث كنت واتبع السيئة
الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور اوسطها وقوله
احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم ظلمات
يوم القيمة وقوله في بعض دعائه اللهم اني اسئلك رحمة من عندك تهدي بها

بها قلبي وتجمع بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي
وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها
من كل سوء اللهم اني اسئلك الفوز في القضا ونزل الشهداء
وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى ما دونه الكافة عن الكافة
من مقاماته ومحاضراته وخطبه وادعيته ومخاطباته وعهوده مما
لا خلاف انه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا
لا يقدر قدره وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق اليها ولا قدر احد
ان يفرغ في قالبه عليها كقوله حمي الوطيس ومات حتف انفه ولا يلدغ
المؤمن من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره في اخواتها مما يدرك الناظر
العجب في مضمنها ويذهب به الفكر في اداني حكمها وقد قال له اصحابه
ما راينا الذي هو افصح منك فقال وما يمنعني وانما انزل القران بلساني
لسان عربي مبين وقال مرة اخرى بيد اني من قريش ونشأت في بني
سعد فجمع له بذلك صلى الله تعالى عليه وسلم قوة عارضة البادية
وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التأييد
الالهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري وقالت ام معبد في
وصفها له حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كان منطقه خرزات
نظم وكان جهير الصوت حسن النغمة صلى الله تعالى عليه وسلم **فصل**
واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه فما لا يحتاج الى اقامة دليل
عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه صلى الله تعالى عليه وسلم نخبة

بني هاشم وسلالة قريش وصميمها واشرف العرب واعزهم نفرا من
قبل ابيه وامه ومن اهل مكة اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده حدثنا
قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي حدثنا القاضي ابو الوليد سليمان
بن خلف حدثنا ابو ذر عبد بن احمد حدثنا ابو محمد السرخسي وابو اسحق
وابو الهيثم حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا قتيبة
بن سعيد حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري
عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال
بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي
كنت منه وعن العباس قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان
الله خلق فجعلني من خيرهم من خير قرنهم ثم تخير القبائل فجعلني
من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم
بيتا وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسمعيل
بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم
واصطفاني من بني هاشم قال الترمذي وهذا حديث صحيح وفي
حديث عن ابن عمر رضي الله عنهما رواه الطبري انه صلى الله تعالى عليه وسلم
قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بني ادم ثم اختار بني ادم فاختار منهم
العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا فاختار منهم بني هاشم ثم اختارني
بني هاشم فاخترني فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم

ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس ان قريشا كانت نورا
بين يدي الله قبل ان يخلق ادم بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملئكة
بتسبيحه فلما خلق الله ادم القى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فاهبطني الله الارض في صلب ادم وجعلني في
صلب نوح وقذف بي في صلب ابرهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من
الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على
سفاح قط ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس في مدح النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم المشهور فصل واما ما تدعو ضرورة الحيوة اليه مما فصلناه فعلى
ثلثة ضروب ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب تختلف
الاحوال فيه فاما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة
كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لان
كثرة الاكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب
لمضار الدنيا والاخرة جالب لادواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ
وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء
الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف
وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير
نفع وقساوة القلب وغفلته وموته وشاهد على هذا ما يعلم ضرورة
ويوجد مشاهدة وينقل متواترا من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين
واشعار العرب واخبارها وصحيح الحديث واثار من سلف وخلف مما

لايحتاج الى الاستشهاد عليه اختصارا على اشتهار العلم به وكان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين بالاقل هذا مالا
يدفع من سيرته وهو الذي امر به وحض عليه لاسيما بارتباط احد
هما بالاخر حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه حدثنا ابو
الفضل الاصبهاني حدثنا ابو نعيم الحافظ حدثنا سليمن بن
احمد حدثنا بكر بن سهل حدثنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية
بن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب ان
رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم قال ما ملاء ابن ادم وعاء شرا من
بطنه حسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه فان كان لامحالة فثلث
لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولان كثرة النوم من كثرة
الشرب والاكل قال سفيان الثوري بقلة الطعام يملك سهر الليل
وقال بعض السلف لاتاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا
فتخسروا وقد روى عنه صلى الله تعا عليه وسلم انه كان احب
الطعام اليه ما كان على ضفف اى كثرة الايدي وعن عائشة رضي الله عنها
لم يمتلئ جوف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا قط وانه كان
في اهله لايسئلهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل
وما سقوه شرب ولايعترض على هذا بحديث بريرة وقوله الم ار
البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله تعا عليه وسلم
اعتقادهم انه لايحل له فاراد بيان سنته اذ راهم لم يقدموه اليه مع

مع علمه انهم لايستأثرون عليه به فصدق عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من
امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة لقمان يا بني اذا امتلأت
المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة
وقال سحنون لايصلح العلم لمن ياكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث قوله
صلى الله تعالى عليه وسلم اما انا فلا اكل متكئا والاتكاء هو التمكن
للاكل والتقعد للجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي
يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر
منه والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز
مقعيا ويقول انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وليس
معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك نومه
صلى الله تعا عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك الاثار الصحيحة
ومع ذلك فقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه على
جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهناء
لهدوء القلب وما يتعلق به من الاعضاء الباطنة حينئذ لميلها الى
الجانب الايسر فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول واذا نام
النائم على الايمن تعلق القلب وقلق فاسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق
فصل والضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح
والجاه اما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورية
ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية واما في

في الشرع فتنة ما تقررة وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما افضل
هذه الامة اكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم
تناكحوا تناسلوا فاني مباه بكم الامم ونهى عن التبتل مع ما فيه من
قمع الشهوة وغض البصر الذين نبه عليهما صلى الله تعالى عليه وسلم
بقوله من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن
حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله قد
حببن الى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة
وقد كان زهاد الصحابة كثيري الزوجات والسراري كثيري
النكاح وحكي في ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء
وقد كره غير واحد ان يلقى الله عزبا فان قلت كيف يكون النكاح
وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا عليهما السلام قد اثنى الله
عليه انه كان حصورا فكيف يثني الله عليه بالعجز عما تعد فضيلة و
هذا عيسى عليه السلام تبتل من النساء ولو كان كما قررته لنكح فالجواب
ان ثناء الله تعالى على يحيى بانه كان حصورا ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا
او لا ذكر له بل قد انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه
نقيصة وعيب ولا يليق بالانبياء وانما معناه انه معصوم من الذنوب اي
لا يأتيها كانه قد حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست
له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح
نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها اما بالمجاهدة كعيسى

كعيسى عليه السلام او بكفاية من الله تعالى كيحيى عليه السلام فضيلة
زائدة لكونها شاغلة في كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هي
في حق من اقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه
درجة علياء وهي درجة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم الذي لم
تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده لتحصينهن وقيامه بحقوقهن
واكتسابه لهن وهدايته اياهن بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه
هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال عليه السلام حبب الي
من دنياكم فدل على ان حبه لما ذكر من النساء والطيب اللذين هما من
امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه بل للاخرة للفوائد
التي ذكرناها في التزويج وللقاء الملئكة في الطيب ولانه ايضا مما
يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين
لاجل غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيق المختص بذاته في مشاهدة
جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين الحبين وفصل بين الحالين
فقال وجعلت قرة عيني في الصلوة فقد ساوى عيسى ويحيى
عليهما السلام في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان صلى
الله تعالى عليه وسلم ممن اقدر على القوة في هذا واعطي الكثير منه و
لهذا ابيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس انه صلى الله
تعالى عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار وهن
احدى عشرة قال انس وكنا نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين رجلا خرجه النسائي

وروى نحوه عن ابي رافع وعن طاوس اعطي صلى الله تعالى عليه وسلم قوة
اربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم وقال سلمى مولاته
طاف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة على نسائه التسع وتطهر من
كل واحدة قبل ان يأتي الاخرى وقال هذا اطهر واطيب وقد
قال سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسع وتسعين
وانه فعل ذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما كان في ظهر سليمان عليه
السلام ماء مائة رجل وكانت له ثلاثمائة امرأة وثلثمائة سرية وحكى
النقاش وغيره سبعمائة امرأة وثلاثمائة سرية وقد كان لداود عليه
السلام على زهده واكله من عمل يده تسع وتسعون امرأة وتمت بزوج
اوريا مائة وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله سبحانه وتعالى
ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة وفي حديث انس رضي الله عنه عليه
السلام فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع و
قوة البطش واما فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه
في القلوب وقد قال الله تعالى في صفة عيسى عليه السلام وجيها في الدنيا
والاخرة لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الاخرة فلذلك ذمه
من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض
وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب و
العظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون
اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره

امره وقضوا حاجته واخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها وقد كان
يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روي عن قيلة انها لما رأته ارعدت
من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث ابن مسعود
رضي الله عنه ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال له النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم هون عليك فاني لست بملك الحديث فاما عظيم قدره بالنبوة
وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في
الدنيا فامر هو مبلغ النهاية ثم هو في الاخرة سيد ولد آدم ولا فخر
وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم باسره فصل واما الضرب
الثالث فهو ما تختلف الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل
لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها
توصله به الى حاجاته وتمكن اغراضه بسببه والا فليس فضيلة في
نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته
ومهمات من اعتراه وامله وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي
والثناء الحسن والمنزلة في القلوب كان فضيلة في صاحبه عند اهل
الدنيا واذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبيل الخير وقصد بذلك
الله والدار الاخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه
ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثيره كالعدم وكان
منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة
البخل ومذمة النذالة فاذا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله

ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره وتصريفه فى متصرفاته فجامعه
اذا لم يصنعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير ملى بالحقيقة ولا غنى بالمعنى
ولا ممتدح عند احد من العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من
اغراضه اذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه فاشبه خازن مال
غيره ولا مال له فكانه ليس فى يده منه شىء والمنفق ملى غنى بتحصيله فوائد
المال وان لم يبق فى يده من المال شىء فانظر سيرة نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم وخلقه فى المال تجده قد اوتى خزائن الارض ومفاتيح البلاد
واحلت له الغنائم ولم تحل لنبى قبله وفتح عليه فى حياته عليه السلام بلاد
الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق
وجلبت اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه
وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما استاثر بشىء منه ولا امسك
منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال ما
يسرنى ان لى احدا ذهبا يبيت عندى منه دينار الا دينارا ارصده لدينى
واتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها ستة فدفعها لبعض نسائه فلم
ياخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الان استرحت ومات ودرعه
مرهونة فى نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما
تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس فى
الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبية
الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضره اذ المباهاة فى الملبس والتزين

والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهى من سمات النساء
المحمود منها نقاوة الثوب والتوسط فى جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط
لمروة جنسه مما لا يؤدى الى الشهرة فى الطرفين وقد ذم الشرع ذلك
وغاية الفخر فيه العادة عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود
ووفور الحال وكذلك التباهى بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير الاته
وخدمه ومركوباته ومن ملك الارض وجبى اليه ما فيها وترك ذلك
زهدا وتنزها فهو حائز لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان
كانت فضيلة زائدا عليها فى الفخر ومعرقا فى المدح باضرابه عنها وزهده
فى فائتها وبذلها فى مظانها فصل واما الخصال المكتسبة من الاخلاق
الحميدة والاداب الشريفة التى اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم
المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميع وامر بها
ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة
وهى المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال فى قوى النفس واوصافها والتوسط
فيها دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها كانت خلق صلى الله تعالى عليه و
سلم على الانتهاء فى كمالها والاعتدال الى غايتها حتى اثنى الله تعالى عليه بذلك
فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت رضى الله عنها كان خلقه القران يرضى
برضاه ويسخط بسخطه وقال عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق
قال انس كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احسن الناس خلقا و
عن على رضى الله عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها فى اصل

خلقته واول فطرته لم يحصل له باكتساب ولا رياضة الا بجود الهى و
خصوصية ربانية وهكذا سائر الانبياء ومن طالع سيرهم منذ صبا
هم الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال عيسى وموسى ويحيى و
سليمان وغيرهم عليهم السلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في
الجبلة واودعوا العلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى واتيناه الحكم
صبيا قال المفسرون اعطى يحيى عليه السلام العلم بكتاب الله في
حال صباه و قال معمر كان ابن سنتين او ثلاث فقال له الصبيان
لم لا تلعب فقال اللعب خلقت وقيل في قوله مصدقا بكلمة من
الله صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله
وروحه وقيل صدقه وهو في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم انى
اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله تعالى على كلام عيسى
لامه عند ولادتها اياه بقوله لها لا تحزني على قراءة من تحتها وعلى قول
من قال ان المنادى عيسى ونص على كلامه في مهده فقال انى عبد الله
اتاني الكتاب وجعلني نبيا وقال ففهمناها سليمان وكلا آتينا
حكما وعلما وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبى يلعب في قصة المرجومة
وفي قصة الصبى ما اقتدى به داود ابوه وحكى الطبرى ان عمره كان
اوتى الملك اثنى عشر عاما وكذلك قصة موسى عليه السلام مع فرعون
واخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون في قوله تعالى ولقد آتينا
ابرهيم رشده من قبل اى هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال

وقال ابن عطاء اصطفاه قبل ابداء خلقته وقال بعضهم لما ولد
ابرهيم بعث الله اليه ملكا يأمره عن الله تعالى ان يعرفه بقلبه
ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده وقيل
ان القاء ابرهيم عليه السلام في النار ومحنته كانت وهو ابن ست
عشرة سنة وان ابتلاء اسحق بالذبح وهو ابن سبع سنين وان
استدلال ابرهيم بالكواكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة
عشر شهرا وقيل اوحى الى يوسف وهو صبى عند ما هم اخوته بالقائه
في الجب بقوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الاية الى
غير ذلك مما ذكر من اخبارهم وقد حكى اهل التفسير ان آمنة بنت
وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ولد حين ولد
باسطا يديه الى الارض رافعا رأسه الى السماء وقال في حديثه صلى
الله تعالى عليه وسلم ولما نشأت بغضت الى الاوثان وبغض الى
الشعر ولم اهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني
الله منهما ثم لم اعد ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم
وتشرق انوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفا
الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون
ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى آتيناه
حكما وعلما وقد نجد غيرهم ممن يطبع على بعض هذه الاخلاق دون
جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى

كما تشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت او الشهامة او صدق
اللسان او السماحة وكما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل
ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها
وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا
ما قد اختلف السلف فيها هل هذا الخلق جبلة او مكتسبة فحكى الطبري
عن بعض السلف ان الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن
عبد الله ابن مسعود والحسن وبه قال هو والصواب ما اصلناه و
قد روى سعد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال كل الخلال يطبع
عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب في حديثه و
الجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء وهذه الاخلاق المحمودة
والخصال الجميلة الشريفة كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير الى جميعها
ونحقق وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم ان شاء الله تعالى فصل و
اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذى
منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الراى وجودة الفطنة
والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة ال
الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل
وقد اشرنا الى مكانه منه صلى الله تعالى عليه وسلم وبلوغه منه ومن العلم
الغاية القصوى التي لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محلة من ذلك ومما تفرع
منه محققة عند من تتبع مجارى احواله واطراد سيرة وطالع جوامع كلمه و

كلمه وحسن شمائله وبدايع سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التورية و
الانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية وايامها وضرب
الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرائع وتاصيل الاداب النفيسة
والشيم الحميدة الى فنون العلوم التي اتخذ اهلها كلامه عليه السلام
فيها قدوة واشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب والفرائض
والنسب وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته ان شاء الله دون تعليم
ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علماء هم
بل نبي لم امي لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله صدره وابان امره
وعلمه واقرأه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث من حاله ضرورة وبالبرهان
القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص واحاد القضايا
ان مجموعها ما لا ياخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله
كانت معارفه صلى الله تعالى عليه وسلم الى سائر ما علمه الله تعالى
واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته
قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت
العقول في تقدير فضله عليه وخرست الالسن دون وصف يحيط
بذلك او ينتهي اليه فصل واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة و
الصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق فان الحلم حالة توقر وثبات
عند الاسباب المحركات والاحتمال حبس النفس عند الالام والموذيات
ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة واما العفو فهو ترك المؤاخذة و

هذا كله مما ادب الله به نبيه محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فقال خذ العفو
وامر بالعرف الاية روى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه
الاية سئل جبريل عن تاويلها فقال له حتى اسئل العالم ثم ذهب فاتاه
فقال يا محمد ان الله يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو
عن من ظلمك وقال الله تعالى له واصبر على ما اصابك الاية وقال فاصبر كما
صبر اولوا العزم من الرسل وقال وليعفوا وليصفحوا الاية وقال ولمن صبر و
غفر ان ذلك لمن عزم الامور ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله وان كل
حليم قد عرفت منه وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يزيد
مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد الله
محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا حدثنا محمد بن عتاب حدثنا ابو بكر بن واقد القاضي
وغيره حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا مالك عن
ابن شهاب عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم في امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما
ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه الا ان
تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم الله بها وروي ان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد شق ذلك على اصحابه
شدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت
داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا وروى عمر بن الخطاب رضي الله
عنه انه قال في بعض كلامه بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح

نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض الاية ولو دعوت علينا مثلها
لهلكنا من عند اخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك
فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
قال القاضي ابو الفضل انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات
الاحسان وحسن الخلق وكريم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر
صلى الله تعالى عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا ثم اشفق عليهم ورحمهم
ودعا وشفع لهم فقال اللهم اغفر او اهد ثم اظهر سبب الشفقة
والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون
ولما قال له الرجل اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله لم
يرد في جوابه ان بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال
له فقال ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل
ونهى من اراد من اصحابه قتله ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك
به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا
والناس قائلون في غزوة فلم ينتبه رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم الا وهو قائم والسيف صلتا في يده فقال من يمنعك مني
فقال الله فسقط السيف من يده فاخذه النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وقال من يمنعك مني فقال كن خير اخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى
قومه فقال جئتكم من خير الناس ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن
اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وانه

لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وقد علم به واوحى اليه بشرح امره ولا عتب
عليه فضلا عن معاقبته وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن ابى واشباهه
من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم فى جهته قولا وفعلا بل قال لمن اشار بقتل
بعضهم لا يتحدث ان محمدا يقتل اصحابه وعن انس رضى الله عنه كنت مع
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه اعرابى
بردائه جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد فى صفحة عاتقه ثم قال
يا محمد احمل لى على بعيرى هذين من مال الله الذى عندك فانك لا تحملنى
من مالك ولا مال ابيك فسكت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال
المال مال الله وانا عبده ثم قال عليه السلام ويقاد منك يا اعرابى
ما فعلت بى قال لا قال لم قال لانك لا تكافى بالسيئة السيئة
فضحك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير شعير
وعلى الاخر تمر قالت عائشة رضى الله عنها ما رايت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله
وما ضرب خادما ولا امراة وجئ اليه برجل فقيل له هذا اراد ان
يقتلك فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو اردت
ذلك لم تسلط على وجاء زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه
فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال انكم يا بنى عبد
المطلب مطل فانتهره عمر بن الخطاب رضى الله عنه وشدد له فى القول
والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله تعالى

الله تعالى انا وهو كنا الى غير هذا احوج منك يا عمر تامرنى بحسن القضاء
وتامره بحسن التقاضى ثم قال لقد بقى من اجله ثلاث وامر عمر يقضيه
ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه وذلك
انه كان يقول ما بقى من علامات النبوة شئ الا وقد عرفتها فى محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم الا اثنين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله
ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما فاخبره بهذا فوجده كما وصف
والحديث عن حلمه عليه السلام وصبره وعفوه عند المقدرة اكثر من
ان تاتى عليه وحسبك ما ذكرناه مما فى الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما
بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش واذى الجاهلية و
مصابرة الشدائد الصعبة معهم الى ان ظفره الله عليهم وحكمه فيهم
ولا يشكون فى استيصال شافتهم وابادة خضرائهم فما زاد على ان
عفا وصفح وما يقولون انى فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم
فقال اقول كما قال اخى يوسف لا تثريب عليكم الاية اذهبوا فانتم الطلقاء
وقال انس رضى الله عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلوة الصبح ليقتلوا
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو الذى كف ايديهم عنكم الاية
وقال لابى سفيان وقد سيق اليه بعد ان جلب اليه الاحزاب وقتل
عمه ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه فى القول ويحك يا ابا سفيان الم
يأن لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابى انت وامى ما احلمك و

اوصلك واكمل وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابعد الناس
الناس غضبا واسرعهم رضا صلى الله تعالى عليه وسلم فصل واما
الجود والكرم والسخاء والسماحة ومعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم
بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه
وسموه ايضا حرية وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه المرء
عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الانفاق
وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير وكان صلى الله
تعالى عليه وسلم لا يوازى في هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل
من عرفه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي رحمه الله حدثنا القاضي ابو
الوليد الباجي حدثنا ابو ذر الهروي حدثنا ابو الهيثم الكشميهني وابو محمد
السرخسي وابو اسحق البلخي حدثنا ابو عبد الله الفربري حدثنا البخاري حدثنا
محمد بن كثير حدثنا سفيان عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن شيء فقال لا وعن انس وسهل
بن سعد رضي الله عنه مثله وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم اجود الناس بالخير واجود ما كان في
شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل عليه السلام اجود بالخير
من الريح المرسلة وعن انس ان رجلا سئله فاعطاه غنما بين جبلين
فرجع الى بلده وقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة
واعطى غير واحد مائة من الابل واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة و

مائة وهذه كانت حاله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان يبعث وقد قال
له ورقة انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هوزان سبايا ها
وكانت ستة الاف واعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل
اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما
رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسئله فقال ما عندي شيء ولكن
ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر رضي الله عنه ما كلفك
الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك فقال
له رجل من الانصار يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا
فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعرف البشر في وجهه و
قال بهذا امرت ذكره الترمذي وذكر عن معوذ بن عفراء قال اتيت النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بقناع من رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء
فاعطاني ملء كفه حليا وذهبا قال انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد والخبر بجوده صلى الله تعالى عليه وسلم
وكرمه كثير وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال اتى رجل النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يسئله فاستسلف له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال نصفه قضاء و
نصفه نائل فصل واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة
الغضب وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها الى الموت
حيث يحمد فعلها دون خوف فكان صلى الله تعالى عليه وسلم منهم بالمكان الذي

لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو
ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما من شجاع الا وقد احصيت له فرة
وحفظت عنه جولة سواه حدثنا ابو علي الجياني فيما كتب لي حدثنا القاضي سراج
حدثنا ابو محمد الاصيلي حدثنا ابو زيد الفقيه حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد
بن اسماعيل حدثنا ابن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن ابي اسحاق سمع البراء
وسأله رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال
نعم ولكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رايته
على بغلته البيضاء وابو سفيان اخذ بلجامها والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول
انا النبي لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد المطلب قيل فما رئي يومئذ احد كان اشد
منه وقال غيره نزل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن بغلته وذكر مسلم عن
العباس قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وانا اخذ بلجامها
اكفها ارادة الا تسرع وابو سفيان اخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث
وقيل كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب
الا لله لم يقم لغضبه شيء وقال ابن عمر ما رايت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا
ارضى من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه انا كنا
اذا حمي البأس ويروى اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه ولقد رايتني يوم بدر
ونحن نلوذ بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد

اشد الناس يومئذ باسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله
تعالى عليه وسلم اذا دنا العدو لقربه منه وعن انس قال كان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم احسن الناس واجود الناس واشجع الناس فقد فزع اهل
المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم راجعا وقد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لابي طلحة عري وفي
عنقه السيف وهو يقول لن تراعوا وقال عمران ابن حصين ما لقي صلى الله تعالى
عليه وسلم كتيبة الا كان اول من يضرب ولما راه ابي بن خلف يوم احد وهو يقول
اين محمد لا نجوت ان نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين افتدى
يوم بدر عندي فرس اعلفها كل يوم فرقا من ذرة اقتلك فقال له النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله فلما راه يوم احد شد ابي على فرسه على
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث بن
الصمة فانتفض بها انتفاضة تطاير الشعراء عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا
وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع الى قريش وهو يقول قتلني محمد وهم يقولون
لا باس بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك والله
لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم الى مكة فصل واما الحياء و
الاغضاء فالحياء رقة تعتري وجه الانسان عند فعل ما يتوقع كراهته او ما
يكون تركه خيرا من فعله والاغضاء التغافل عما يكره الانسان بطبيعته

وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اشد حياء واكثرهم عن العورات اغضاء
قال الله تعالى ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم الاية حدثنا ابو محمد بن عتاب
بقرائتي عليه حدثنا ابو القسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا
ابو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا عبدان
حدثنا عبد الله حدثنا شعبة عن قتادة سمعت عبد الله مولى انس عن ابي
سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشد
الناس حياء من العذراء في خدرها وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه وكان
صلى الله تعالى عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه احدا بما
يكرهه حياء وكرم نفس وعن عائشة قالت كان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن
يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروي
انس انه دخل عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان لا يواجه احدا
بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها قالت عائشة
رضي الله عنها في الصحيح لم يكن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا
ولا صخابا بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح و
حكي مثل هذا الكلام عن التورية من رواية عبد الله بن سلام وعبد الله بن
عمرو بن العاص وروي عنه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد و
انه كان يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن عائشة قالت ما رايت فرج
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط فصل واما حسن عشرته وادبه

وادبه وبسط خلقه مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به الاخبار الصحيحة قال علي
رضي الله عنه في وصفه عليه السلام كان اوسع الناس صدرا واصدق الناس
لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة حدثنا ابو الحسن علي بن مشرف الانماطي فيما اجازنيه
وقرأته على غيره حدثنا ابا اسحاق الحبال حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا ابن
الاعرابي حدثنا ابو داود حدثنا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى قالا حدثنا
حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي قال سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني
محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة عن قيس بن سعد قال زارنا رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر قصة في اخرها فلما اراد الانصراف قرب له
سعد حمارا وطأ عليه بقطيفة وركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم
قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اركب فابيت
فقال اما ان تركب واما ان تنصرف فانصرفت وفي رواية اخرى اركب
امامي فصاحب الدابة اولى بمقدمها وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس
منهم من غير ان يطوي عن احد منهم بشره ولا خلقه يتفقد اصحابه ويعطي كل جليس
نصيبه لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاربه لحاجة صابره
حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول
قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء بهذا
وصفه ابن ابي هالة قال وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ
ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه وقال

الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من
حولك وقال ادفع بالتي هي احسن السيئة الاية وكان يجيب من دعاه
ويقبل الهداية ولو كانت كراعا ويكافئ عليها قال انس رضي الله عنه خدمت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط وما قال
لشيء صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وعن عائشة ما كان احد احسن خلقا
من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل بيته
الا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله صلى الله تعالى عليه و
سلم منذ اسلمت ولا راني الا تبسم وكان يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم و
يلاعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والامة والمسكين ويعود
المرضى في اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر قال انس رضي الله عنه ما التقم احد
اذن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فينحي راسه حتى يكون الرجل هو الذي
ينحي راسه وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الاخر ولم ير مقدما ركبتيه
بين يدي جليس له وكان يبدا من لقيه بالسلام ويبدا اصحابه بالمصافحة لم ير
قط مادا رجليه بين اصحابه حتى يضيق بهما على احد يكرم من دخل عليه وربما بسط
له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان ابى ويكني
اصحابه ويدعوهم باحب اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوزه
فيقطعه بنهي او قيام ويروى بانتهاء او قيام وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم
كان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلاته وسئله عن حاجته فاذا
فرغ عاد الى صلوته وكان اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قران

قران او يعظ او يخطب قال عبد الله بن الحارث ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول
صلى الله تعالى عليه وسلم وعن انس قال كان خدم المدينة باتون رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى الغداة بانيتهم فيها الماء فما يؤتى
بانية الا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون
به التبرك فصل واما الشفقة والرافة والرحمة لجميع الخلق فقد قال الله
تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وقال
وما وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال بعضهم من فضله عليه السلام
اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤف رحيم وحكى نحوه الامام ابو بكر بن
فورك حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الحسني بقراءتي عليه حدثنا امام الحرمين
حدثنا ابو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا
ابرهيم بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا ابو الطاهر حدثنا ابن وهب
حدثنا يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غزوة
وذكر حنينا قال فاعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صفوان بن امية
مائة من النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان
قال والله لقد اعطاني ما اعطاني وانه لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه
لاحب الخلق الي وروى ان اعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فاعطاه ثم قال
احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار
اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وزاده
شيئا ثم قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال

صلى الله تعالى عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها
الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق
بها منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها حتى
جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم
حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروي عنه انه صلى الله
تعالى عليه وسلم قال لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني احب
ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر ومن شفقته على امته عليه السلام
تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم كقوله لولا
ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك مع كل وضوء وخبر صلوة الليل ونهيهم
عن الوصال وكراهة دخول الكعبة لئلا يعنت امته ورغبته لربه ان يجعل
سبه ولعنه لهم رحمة بهم وانه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلوته ومن
شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم ان دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل
سببته او لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة
تقربه بها اليك يوم القيمة ولما كذبه قومه اتاه جبريل عليه السلام فقال
له ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال
لتامره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت
ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بل
ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا وروى
ابن المنكدر ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان

ان الله امر السماء والارض والجبال ان تطيعك فقال اوخر عن امتي لعل الله
ان يتوب عليهم قالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما وقال ابن مسعود كان رسول الله
صلى يتخولنا مخافة السامة علينا وعن عائشة رضي الله عنها انها
ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم عليك بالرفق **فصل** واما خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم
في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فحدثنا القاضي ابو عامر محمد بن
اسمعيل بقراءتي عليه حدثنا ابو بكر محمد بن محمد حدثنا ابو اسحاق الحبال
حدثنا ابو محمد بن النحاس حدثنا ابن الاعرابي حدثنا ابو داود حدثنا محمد
بن يحيى حدثنا محمد بن سنان حدثنا ابرهيم بن طهمان عن بديل عن عبد
الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمساء قال
بايعت وبقيت له بقية فوعدته ان اتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت
بعد ثلاث فجئت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا ههنا منذ
ثلاث انتظرك وعن انس كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اتي بهدية
قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب
خديجة وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ما غرت على امراة ما غرت
على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح الشاة فيهديها الى
خلائلها واستاذنت عليه اختها فارتاح اليها ودخلت عليه امراة فهش لها و
احسن السؤال عنها فلما خرجت قال انها كانت تاتينا ايام خديجة وان احسن

العهد من الايمان و وصفه بعضهم فقال كان يصل ذوى رحمه من غير ان
يؤثرهم على من هو افضل منهم وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان آل فلان
ليسوا لى باولياء غير ان لهم رحما سابلها ببلالها وقد صلى الله تعالى
عليه وسلم بامامة ابنة زينب يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها و
اذا قام حملها وعن ابى قتادة رضى الله عنه وقد وفد للنجاشى
فقام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك
فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين وانى احب ان اكافيهم ولما جئ
باخته من الرضاعة الشيماء فى سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه
وقال لها ان احببت اقمت عندى مكرمة محببة او متعتك ورجعت الى قومك
فاختارت قومها فمتعها وقال ابو الطفيل رايت النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم وانا غلام اذ اقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فـ
جلست عليه فقلت من هذه قالوا امه التى ارضعته وعن عمر بن السائب
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه
من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها
شق ثوبه من الجانب الآخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاجلسه بين يديه وفى حديث
خديجة رضى الله تعالى عنها انها قالت له صلى الله تعالى عليه وسلم ابشر
فوالله لا يخزيك الله تعالى ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم
وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فصل واما تواضعه صلى الله

الله تعالى عليه وسلم على علو منصبه و رفعة رتبته فكان اشد الناس تواضعا
واقلهم كبرا وحسبك انه خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار
ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عند ذلك فان الله قد اعطاك بما تواضعت
له انك سيد ولد آدم يوم القيمة واول من تنشق الارض عنه و اول
شافع حدثنا ابو الوليد بن العواد الفقيه بقراءتى عليه فى منزله بقرطبة
سنة سبع وخمسماة حدثنا ابو على الحافظ حدثنا ابو عمر حدثنا ابن عبد المؤمن
حدثنا ابن داسة حدثنا ابو داود حدثنا ابو بكر بن ابى شيبة حدثنا عبد
الله بن نمير حدثنا عن مسعر عن ابى العنبس عن ابى العدبس عن ابى مرزوق عن ابى
غالب عن ابى امامة رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم متوكئا على عصا فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم
يعظم بعضها بعضا وقال انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد
وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس
الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به
المجلس جلس وفى حديث عمر رضى الله عنه لا تطرونى كما اطرت النصارى ابن مريم
انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن انس ان امرأة كان فى عقلها شئ
جاءته فقالت ان لى اليك حاجة قال اجلسى يا ام فلان فى اى طرق المدينة
شئت اجلس اليك حتى اقضى حاجتك قال فجلست فجلس صلى الله تعالى عليه
وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها قال انس رضى الله عنه كان رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم

بني قريضة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف وكان يدعا الى خبز
الشعير والاهالة السنخة فيجيب قال وحج رسول الله صلى الله
تعا عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي اربعة دراهم
فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه
الارض واهدى في حجة ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها
بجيوش المسلمين طاطا على رحله راسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا
لله تعا ومن تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم قوله لا تفضلوني
على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الانبياء ولا تخيروني على موسى و
نحن احق بالشك من ابرهيم ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن
لاجبت الداعي وقال للذي قال له يا خير البرية قال ذلك ابرهيم
وسيأتي الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شاء الله تعالى
وعن عائشة رضي الله عنها والحسن وابي سعيد الخدري وغيرهم رضي
الله عنهم في صفته وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته في مهنة اهله
يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم
البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه ويأكل مع الخادم ويعجن معها و
يحمل بضاعته من السوق وعن انس رضي الله عنه قال ان كانت الامة
من اماء اهل المدينة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم
فتنطلق به حيث شاءت حتى يقضي حاجتها ودخل عليه رجل فاصابته من
هيبته رعدة فقال له هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن امراة من

امرأة من قريش تاكل القديد وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال دخلت السوق
مع النبي صلى الله تعا عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوزان زن
وارجح وذكر القصة قال فوثب الى يد النبي صلى الله تعا عليه وسلم يقبلها
فجذب يده وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا
رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب الشيء احق
بشيئه ان يحمله فصل واما عدله صلى الله تعالى عليه وسلم وامانته
وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله تعالى عليه وسلم امن الناس
واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة منذ كان اعترف له
بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته الامين قال ابن اسحاق
كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع ثم
امين اكثر المفسرين على انه محمد صلى الله تعا عليه وسلم ولما اختلف قريش
وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي
صلى الله تعا عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا
الامين قد رضينا به وعن الربيع بن خيثم كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله
تعا عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وكان صلى الله تعا عليه وسلم
والله اني لامين في السماء وامين في الارض حدثنا ابو علي الصدفي
الحافظ بقراتي عليه حدثنا ابو الفضل بن خيرون حدثنا ابو يعلى بن زوج
الحرة حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب المروزي حدثنا ابو
عيسى الحافظ حدثنا ابو كريب حدثنا معوية بن هشام عن سفيان عن ابي

اسحاق عن ناجية بن كعب عن على ان ابا جهل قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم
انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك
الاية وروى غيره لا نكذبك وما انت فينا بمكذب وقيل ان
الاخنس بن شريق لقى ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيرى
وغيرك يسمع كلامنا تخبرنى عن محمد اصادق ام كاذب فقال ابو جهل والله ان
محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسئل هرقل عنه ابا سفيان فقال
هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال لا وقال النضر بن الحارث
لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظمكم
امانة حتى اذا رايتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر و
الله ما هو بساحر وفى الحديث على فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم
اصدق الناس لهجة وقال فى الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم اعدل
خبت وخسرت ان لم اعدل قالت عائشة رضى الله عنها ما خير رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان
كان اثما كان ابعد الناس منه قال ابو العباس المبرد قسم كسرى ايامه
فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو
ويوم الشمس للحوايج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون
ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ولكن نبينا صلى الله
تعالى عليه وسلم جزا نهاره ثلاثة اجزاء جزء لله وجزء لاهله وجزء لنفسه
ثم جزء جزءه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول

ويقول ابلغوا الحاجة من لا يستطيع ابلاغى فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع
ابلاغها امنه الله يوم الفزع الاكبر وعن الحسن كان رسول الله صلى الله تعالى
لا ياخذ احدا بقذف احد على احد وذكر ابو جعفر الطبرى عن على رضى الله
عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما هممت بشىء مما كان اهل الجاهلية
يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بينى وبين ما اريد من ذلك ثم ما
هممت بسوء حتى اكرمنى الله برسالته قلت ليلة الغلام كان يرعى معى لو
ابصرت لى غنمى حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك
حتى جئت اول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس
بعضهم فجلست انظر فضرب على اذنى فنمت فما ايقظنى الا مس الشمس فرجعت
ولم اقض شيئا ثم عرانى مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اهم بعد ذلك بسوء
فصل واما وقاره صلى الله تعالى عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروته
وحسن هديه فحدثنا ابو على الجيانى الحافظ اجازة وعارضت بكتابه حدثنا ابو
العباس الدلائى حدثنا ابو ذر الهروى حدثنا ابو عبد الله الوراق
حدثنا اللولوى حدثنا ابو داود حدثنا عبد الرحمن بن سلام حدثنا حجاج بن
محمد عن عبد الرحمن ابن ابى الزناد عن عمر بن عبد العزيز عن وهب قال
سمعت خارجة بن زيد يقول كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اوقر
الناس فى مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه وروى ابو سعيد
الخدرى رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا
جلس فى المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله تعالى عليه

وسلم محتبيا وعن جابر بن سمرة انه تربع صلى الله تعالى عليه وسلم
وربما جلس القرفصاء وهو في حديث قيلة وكان كثير السكوت
لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما و
كلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه عنده
التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة
لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه
كانما على رؤوسهم الطير وفي صفته يخطو تكفيا ويمشي هونا كانما
ينحط من صبب وفي حديث لاخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيه
انه غير غرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود
ان احسن الهدى هدى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ترتيل او ترسيل
قال ابن ابي هالة كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير و
التفكير قالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله تعالى عليه وسلم يحدث
حديثا لو عده العاد احصاه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الطيب
والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيرا ويحض عليهما ويقول حبب الي من
دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة ومن مروته
صلى الله تعالى عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والامر بالاكل
مما يلي والامر بالسواك وانقاء البراجم والرواجب واستعمال خصال
الفطرة فصل واما زهده في الدنيا فقد تقدم من الاخبار اثناء هذه السيرة
ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سبقت اليه بحذافيرها

بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها ان توفي صلى الله تعالى عليه وسلم
ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول
اللهم اجعل رزق ال محمد قوتا حدثنا سفيان بن العاص والحسين
بن محمد الحافظ والقاضي ابو عبد الله التميمي قالوا حدثنا احمد بن
عمر حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن
سفيان حدثنا ابو الحسين بن الحجاج حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة
ابو معاوية عن الاعمش عن ابرهيم عن الاسود عن عائشة رضي الله
عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة
ايام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله وفي اخرى من خبز شعير يومين
متواليين ولو شاء لاعطاه الله ما لا يخطر ببال وفي رواية اخرى
ما شبع ال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله
وقالت عائشة رضي الله عنها ما ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث عمرو بن الحارث
ما ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا سلاحه وبغلته وارضا
جعلها صدقة قالت عائشة رضي الله عنها ولقد مات وما في بيتي شيء
ياكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي وقال لي اني عرض علي ان يجعل لي
بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم
الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم اشبع فيه فاحمدك
واثني عليك وفي حديث اخر ان جبريل نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم

فقال له ان ربك يقرئك السلام ويقول لك ان احببت ان اجعل هذه الجبال ذهبا و
تكون معك حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار
من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل
عليه السلام ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وعن عائشة قالت
ان كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء وعن
عبد الرحمن بن عوف مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يشبع
هو واهل بيته من خبز الشعير وعن عائشة رضي الله تعالى عنها وابي
امامة وابن عباس نحوه قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون
عشاء وعن انس رضي الله عنه قال ما اكل رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم على خوان قط ولا سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا
قط وعن عائشة قالت انما كان فراشه الذي ينام عليه ادما حشوه ليف
وعن حفصة كان فراش رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في بيته مسحا
تثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع فلما اصبح قال ما فرشتموا
لي الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فان وطاته منعتني الليلة
صلاتي وكان ينام احيانا على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه وعن
عائشة قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا قط ولم
يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة احب اليه من الغنى وان كان ليظل
جائعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه

ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى
به وامسح بيدي على بطنه مما به من الجوع واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت
من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة ما لي وللدنيا اخواني من اولي
العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا
على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي
ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو احب الي من اللحوق باخواني و
اخلائي قالت فما اقام بعد الا شهرا حتى توفي صلى الله تعالى عليه وسلم
فصل واما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه
ولذلك قال فيما حدثناه ابو محمد بن عتاب قراءة مني عليه حدثنا ابو القاسم
الطرابلسي حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا ابو
عبد الله الفربري حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا يحيى بن بكير عن الليث
عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة رضي الله عنه
كان يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد في روايتنا عن ابي عيسى الترمذي
رفعه الى ابي ذر اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت
السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع الا وملك واضع جبهته ساجدا
لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم
بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله لوددت
اني شجرة تعضد روي هذا الكلام وددت اني شجرة تعضد من قول ابي

ذر رضي الله عنه نفسه وهو اصح وفي حديث المغيرة صلى النبي صلى تعالى
عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية كان يصلي حتى قدماه فقيل
له اتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال
افلا اكون عبدا شكورا ونحوه عن ابي سلمة وابي هريرة وقالت
عائشة رضي الله عنها كان عمل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ديمة وايكم يطيق ما كان يطيق وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر
ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وام سلمة وانس
وقال كنت لا تشاء ان تراه من الليل مصليا الا رايته مصليا ولا نائما
الا رايته نائما وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت معه فبدأ فاستفتح
البقرة فلا يمر باية رحمة الا وقف فسئل ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ
ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت و
العظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرء ال عمران ثم سورة سورة
يفعل مثل ذلك وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس
بين السجدتين نحوا منه وقال حتى قرء البقرة وآل عمران والنساء والمائدة
وعن عائشة رضي الله عنها قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
باية من القران ليلة وعن عبد الله بن الشخير قال اتيت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل قال ابن ابي هالة كان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ل

الفكرة ليست له راحة وقال عليه السلام اني لاستغفر الله في اليوم مائة
مرة وروي سبعين مرة وعن علي رضي الله عنه قال سألت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة راس مالي والعقل اصل
ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي والثقة كنزي
والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضاء غنيمتي والعجز
فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة
حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلوة وفي حديث اخر وثمرة
فؤادي في ذكره وغمي لاجل امتي وشوقي الى ربي فصل اعلم
وفقنا الله واياك ان صفات جميع الانبياء والرسل صلوات الله
عليهم اجمعين من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن
الخلق وجميع المحاسن هي هذه الصفة لانها صفات الكمال والكمال والتمام
البشري والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم اذ رتبتهم اشرف الرتب
ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال الله تعالى
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال ولقد اخترناهم على علم على
العالمين وقد قال عليه السلام ان اول زمرة يدخلون الجنة على
صورة القمر ليلة البدر ثم قال اخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة
ابيهم ادم عليه السلام طوله ستون ذراعا في السماء وفي حديث
ابي هريرة رضي الله عنه رايت موسى عليه السلام فاذا رجل ضرب رجل
الشعر كانه من رجال شنوءة ورايت عيسى فاذا هو رجل ربعة كثير

خيلان الوجه احمر كانما خرج من ديماس وفي حديث اخر مبطن مثل السيف
قال وانا اشبه ولد ابرهيم به وقال في حديث في صفة موسى كاحسن
ما انت راء من ادم الرجال وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله تعالى عليه و
سلم قال ما بعث الله تعالى من بعد لوط نبيا الا في ذروة من قومه ويروى
في ثروة اي كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني
من حديث قتادة عن انس رضي الله عنه قال ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه
حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا وفي حديث
هرقل وسئلتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك
الرسل تبعث في انساب قومها وقال الله تعالى في ايوب انا وجدناه
صابرا نعم العبد انه اواب وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله
ويوم يبعث حيا وقال تعالى ان الله يبشرك بيحيى الى الصالحين وقال
تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران الايتين وقال تعالى
في نوح انه كان عبدا شكورا وقال تعالى ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه
المسيح الى الصالحين وقال تعالى اني عبد الله اتاني الكتاب الى ما دمت حيا
وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى الاية قال
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان موسى عليه السلام رجلا حييا ستيرا ما
يرى من جسده شيء استحياء الحديث وقال في وصف جماعة منهم اني
لكم رسول امين وقال ان خير من استاجرت القوي الامين وقال فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا

كلا هدينا الى قوله فبهداهم اقتده فوصفهم باوصاف جمة من الصلاح
والهدى والاجتباء والحكم والنبوة وقال فبشرناه بغلام حليم وقال
ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم الى امين وقال ستجدني
ان شاء الله من الصابرين وقال في اسمعيل انه كان صادق الوعد
الايتين وفي موسى انه كان مخلصا وفي سليمان نعم العبد انه اواب وقال
واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار الى الاخيار
وفي داود انه اواب ثم قال وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل الخطاب
وقال عن يوسف اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وفي موسى
ستجدني ان شاء الله صابرا وقال عن شعيب ستجدني ان شاء الله
من الصالحين وقال ما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا
الاصلاح ما استطعت وقال ولوطا اتيناه حكما وعلما وقال انهم كانوا
يسارعون في الخيرات الاية قال سفيان هو الحزن الدائم في اي كثيرة ذكر
فيها من خصالهم وجاء من ذلك في الاحاديث كثير كقوله انما الكريم بن
الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم نبي بن
نبي بن نبي بن نبي وفي حديث انس رضي الله عنه وكذلك الانبياء تنام اعينهم
ولا تنام قلوبهم وروي ان سليمان كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره
الى السماء تخشعا وتواضعا لله وكان يطعم الناس لذائذ الاطعمة ويأكل
خبز الشعير واوحى اليه يا رأس العابدين وابن محجة الزاهدين وكانت العجوز
تعترضه وهو على الريح في جنوده فيأمر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي

وقيل ليوسف مالك تجوع وانت على خزائن الارض قال اخاف ان اشبع فانسى
الجائع وروى ابو هريرة رضي الله عنه قال خفف على داود القران فكان يأمر
بدوابه فتسرج فيقرأ القران قبل ان تسرج ولا ياكل الا من عمل يده قال
تعالى والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد وكان
سأل ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله وقال عليه السلام
احب الصلوة الى الله صلوة داود واحب الصيام الى الله صيام داود
كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر
يوما وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر وياكل خبز الشعير بالملح والرماد
ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره
الى السماء حياء من ربه ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل بكى حتى
نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده اخدودا
وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه فيزداد
تواضعا وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا قال انا اكرم على
الله من ان يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر وياكل الشجر ولم يكن له
بيت ايما ادركه النوم نام وكان احب الاسامي اليه ان يقال له
مسكين وقيل ان موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين كانت
ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال وقال النبي صلى الله تعالى
لقد كان الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك
احب اليهم من العطاء اليكم وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيته اذهب

بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان اعود لساني المنطق بسوء
وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله حتى اتخذ
الدمع مجرى في خده وكان ياكل مع الوحش لئلا يخالط الناس وحكى الطبري
عن وهب ان موسى عليه السلام كان يستظل بعريش ويأكل في نقرة من
حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله بما اكرمه
الله به من كلامه واخبارهم في هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكمال
وجميل الاخلاق وحسن الصور والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول
بها ولا تلتفت الى ما تجده في كتب بعض جهلة المورخين او المفسرين
مما يخالف هذا فصل قال المؤلف رحمه الله قد اتينا اكرمك الله من
ذكر الاخلاق الحميدة والفضائل المجيدة وخصال الكمال العديدة واريناك
صحتها له صلى الله تعالى عليه وسلم وجلبنا من الآثار ما فيه مقنع والامر اوسع
فمجال هذا الباب في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم ممتد تنقطع دون نفاده
الادلاء وبحر علم خصائصه زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما
اكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل من كل وغيض
من فيض ورأينا ان نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن ابي هالة
الجامع من شمائله واوصافه كثيرا وادماجه جملة كافية من سيره و
فضائله ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا القاضي
ابو علي الحسين بن محمد الحافظ بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة حدثنا
الامام ابو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي قرأت عليه اخبركم الفقيه الاديب

ابوبكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه ابو عبد
الله محمد بن احمد بن الحسن المحمدي والقاضي ابو علي الحسن بن علي بن جعفر
الوحشي قالوا حدثنا ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن الخزاعي قالوا حدثنا ابو
سعيد الهيثم بن كليب الشاشي حدثنا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة
الحافظ حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي املاءً
من كتابه قال حدثني رجل من بني تميم من ولد ابي هالة زوج خديجة
ام المؤمنين رضي الله عنها يكنى ابا عبد الله عن ابن لابي هالة عن
الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال سئلت خالي هند بن
ابي هالة قال القاضي ابو علي وقرأت على الشيخ ابي طاهر احمد بن
الحسن بن احمد بن خذاداد الكرخي الباقلاني قالوا اجازلنا الشيخ
الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون قالا حدثنا ابو علي
الحسن بن احمد بن ابرهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن
مهران الفارسي قراءة عليه فاقربه قال حدثنا ابو محمد الحسن
بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي
بن ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر العلوي حدثنا اسمعيل بن
محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
قال حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن اخيه موسى بن
جعفر عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال
الحسن بن علي واللفظ لهذا السند سئلت خالي هند بن ابي هالة

هالة عن حلية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان وصافا وانا ارجوا
ان يصف لي منها شيئا اتعلق به قال كان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فخما مفخما يتلألؤ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر اطول
من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان انفرقت
عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره ازهر
اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق
يدره الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه ويحسبه من لم يتامله اشم
كث اللحية ادعج سهل الخدين ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان دقيق
المسربة كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادنا
متماسكا سواء البطن والصدر مشيح الصدر بعيد ما بين المنكبين
ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري
كالخط عاري الثديين مما سوى ذلك اشعر الذراعين والمنكبين
واعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة ششن الكفين والقدمين
سائل الاطراف سبط العصب خمصان الاخمصين مسيح القدمين
ينبو عنهما الماء اذا زال زال تقلعا ويخطو تكفؤا ويمشي هونا ذريع
المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا خافض
الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة
يسوق اصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام قلت لي منطقه قال كان رسول
الله تعالى عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة ولا

يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه باشداقه ويتكلم
بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين
يعظم النعمة وان دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا
يقام لغضبه اذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه
ولا ينتصر لها اذا اشار اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث
اتصل بها فضرب بابهام اليمنى راحته اليسرى واذا غضب اعرض و
اشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام
قال الحسن فكتمتها عن الحسين بن علي زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني
اليه فسئل اباه عن مدخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومخرجه
ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئا قال الحسين سئلت ابي عن دخول
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه ماذونا
له في ذلك فكان اذا اوى الى منزله جزا دخوله ثلاثة اجزاء جزء لله و
جزء لاهله وجزء لنفسه ثم جزا جزئه بينه وبين الناس فيرد ذلك
على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته في جزء
الامة ايثار اهل الفضل باذنه وقسمته على قدر فضلهم في الدين
منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم
فيما اصلحهم والامة من مسئلته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول
ليبلغ الشاهد منكم الغائب وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته
فانه من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة

يوم القيمة لا يذكر عنده الا عنده ذلك ولا يقبل من احد غيره قال في
حديث سفيان بن وكيع يدخلون روادا ولا يتفرقون الا عن ذواق
ويخرجون ادلة يعني فقهاء قلت فاخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع
فيه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخزن لسانه الا مما
يعنيهم ويولفهم ولا ينفرهم يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس
ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد بشره وخلقه ويتفقد اصحابه ويسئل
عما في الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر
غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا او يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر
عن الحق ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده
اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة وموازرة فسئلت عن
مجلسه عما كان يصنع فيه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كان رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى
عن ايطانها واذا انتهى الى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك و
يعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من
جالسه او قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سئله حاجة
لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار
لهم ابا وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية
الاخرى صاروا عنده في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وامانة
لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تثنى فلتاته وهذه الكلمة من غير

الروايتين يتعاطفون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون
فيه الصغير ويرفدون اذا الحاجة ويرحمون الغريب فسئلته عن سيرته
صلى الله تعالى عليه وسلم في جلسائه فقال كان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ
ولا صخاب ولا فحاش ولا عتاب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهى
ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلوث المرآء والاكثار وما لا
يعنيه وترك الناس من ثلوث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب
عورته ولا يتكلم الا فيما يرجوا ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما
على رؤسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث
من تكلم عنده انصتوا حتى يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك مما
يضحكون منه ويعجب مما يعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة
في المنطق ويقول اذا رايتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب
الثناء الا من مكافئ ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوزه فيقطعه
بانتهاء او قيام هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد الاخر قلت
كيف كان سكوته صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان سكوته على اربع على
الحلم والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع
بين الناس واما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله تعالى
عليه وسلم في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه وجمع له في
الحذر اربع اخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاد

الرأى بما اصلح امته والقيام لهم بما جمع لهم امر الدنيا والاخرة
انتهى الوصف بحمد الله وعونه فصل في تفسير غريب هذا الحديث
وشكله قوله المشذب اى البائن الطويل في نحافة وهو مثل قوله
في الحديث الاخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل الذى كانه
مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الرأس
اراد ان انفرقت من ذات نفسها فرقها والا تركها معقوصة ويروى
عقيصته وازهر اللون نيره وقيل ازهر حسن ومنه قوله زهرة الحيوة
الدنيا اى زينتها وهذا كما قال في الحديث الاخر ليس بالابيض الامهق
ولا بالآدم والامهق ولا بالادم والامهق هو الناصع البياض و
الادم اسمر اللون ومثله في الحديث الاخر ابيض مشرب اى فيه حمرة و
الحاجب الازج هو المقوس الطويل الوافر الشعر والاقنى السائل
الانف المرتفع وسطه والاشم الطويل قصبة الانف والقرن اتصال
شعر الحاجبين وضده البلج ووقع في حديث ام معبد وصفه بالقرن
والادعج الشديد سواد الحدقة وفي الحديث الاخر اشكل العينين
واسجر العين وهو الذى في بياضها حمرة والضليع الواسع والشنب
رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزير فيها كما يوجد في اسنان
الشباب والفلج فرق بين الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر الذى
بين الصدر والسرة بادن ذو لحم ومتماسك معتدل الخلق يمسك
بعضه بعضا مثل قوله في الحديث الاخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اى

ليس بمسترخي اللحم والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن والصدر
اى مستويهما ومشيح الصدر ان صحت هذه اللفظة فتكون من الاقبال
وهو احد معاني اشاح اى انه كان بادي الصدر ولم يكن في صدره
وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر اى
ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن ولعل اللفظ مسيح بالسين
وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع في الرواية الاخرى وحكاه ابن دريد
والكراديس رؤس العظام وهو مثل قوله في الحديث الاخر جليل
المشاش رؤس المناكب والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين و
القدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين وسائل الاطراف
اى طويل الاصابع وذكر ابن الانباري انه روى سائل الاطراف او
قال سائن بالنون قال وهما بمعنى واحد تبدل اللام من النون ان صحت
الرواية بها واما على الرواية الاخرى وسائر الاطراف فاشارة الى
فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة في الحديث ورحب الراحة اى
واسعها وقيل كنى به عن سعة العطاء والجود خمصان الاخمصين
اى متجافي اخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله الارض من وسط
القدم ومسيح القدمين اى املسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء وفي
حديث ابي هريرة رضي الله عنه خلاف هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه
وطئ بكلها ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين
وبه قالوا سمي المسيح بن مريم اى لم يكن له اخمص وقيل مسيح

وقيل مسيح لا لحم عليها وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين والتقلع
رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل سنن المشي وقصده والهون الرفق والوقار
والذريع الواسع الخطو اى ان مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد
خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون
عجلة كما قال كانما ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه
اى لسعة فمه والعرب تمادح بهذا وتذم بصغر الفم واشاح مال وانقبض
وحب الغمام البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة اى جعل من جزء
نفسه ما يوصل الخاصة اليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة
ثم يبدلها في جزء اخر بالعامة ويدخلون روادا اى محتاجين اليه وطالبين
لما عنده ولا ينصرفون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه ان يكون
على ظاهره اى في الغالب والاكثر والعتاد العدة والشيء الحاضر المعد
والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن الاماكن اى لا يتخذ لمصلاه موضعا
معلوما وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا في غير هذا الحديث وصابره اى
حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم اى لا يذكرون بسوء
ولا تنثى فلتاته اى يتحدث بها اى لم تكن له فيه فلتة وكانت من احد سترت
ويرفدون يعينون والسخاب الكثير الصياح وقوله ولا يقبل الثناء من
مكافئ وقيل مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل الا من مكافئ
على يد سبقت من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له ويستفزه ويستخفه و
في حديث اخر في وصفه له صلى الله تعالى عليه وسلم منهوس العقب اى

بلغ قليل لحمها واهدب الاشفار اى طويل شعرها الباب الثالث فيما ورد
من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به
فى الدارين من كرامته صلى الله تعالى عليه وسلم لا خلاف انه اكرم البشر
وسيد ولد آدم وافضل الناس منزلة عند الله واعلاهم درجة واقربهم
زلفى واعلم ان الاحاديث الواردة فى ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها
على صحيحها ومنتشرها وحصرنا معانى ما ورد منها فى اثنى عشر فصلا الله
الفصل الاول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء ورفعة
الذكر والتفضيل وسيادة ولد ادم وما خصه به فى الدنيا من مزايا الر
الرتب وبركة اسمه الطيب اخبرنا الشيخ ابو محمد عن عبد الله بن احمد
العدل اذنا بلفظه حدثنا ابو الحسن الفرغانى حدثتنا ام القاسم بنت
ابى بكر بن يعقوب عن ابيها حدثنا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى هو ابن اسمعيل
عن يحيى الحمانى حدثنا قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعى عن ابن عباس رضى
الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله قسم
الخلق قسمين فجعلنى من خيرهم قسما فذلك قوله اصحاب اليمين واصحاب
الشمال فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين
اثلاثا فجعلنى فى خيرها ثلثا وذلك قوله واصحاب الميمنة واصحاب المشئمة
والسابقون السابقون فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم
جعل الاثلاث قبائل فجعلنى من خيرها قبيلة وذلك قوله وجعلناكم
شعوبا وقبائل الاية فانا اتقى ولد ادم واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل

جعل القبائل بيوتا فجعلنى فى خيرها بيتا فذلك قوله انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وعن ابى سلمة عن ابى هريرة
رضى الله عنه قال قالوا يا رسول متى وجبت لك النبوة قال وادم
بين الروح والجسد وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى
الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسماعيل
واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من
قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم ومن حديث انس رضى الله عنه
انا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن عائشة رضى الله عنها عنه عليه
السلام واتانى جبريل عليه السلام فقال قلبت مشارق الارض و
مغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد صلى الله عليه وسلم ولم ار بنى اب
افضل من بنى هاشم وعن انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم اتى بالبراق ليلة اسرى به فاستصعب عليه فقال له
جبريل ا بمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا
وعن ابن عباس رضى الله عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما خلق
الله ادم عليه السلام اهبطنى فى صلبه الى الارض وجعلنى فى صلب
نوح عليه السلام فى السفينة وقذف بى فى النار فى صلب ابرهيم
ثم لم يزل ينقلنى فى الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى اخرجنى
بين ابوى لم يلتقيا على سفاح قط والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب
فيه بقوله من قبلها طبت فى الظلال وفى مستودع حيث يخصف الورق

ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق بل نطفة تركب السفين
وقد الجم نسرا واهله الغرق تنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا
طبق حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق وانت لما ولدت
اشرقت الارض وضاءت بنورك الافق ونحن في ذلك الضياء وفي النور
وسبل الرشاد نخترق وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ابو ذر وابن
عباس وابن عمر وابو هريرة وجابر بن عبد الله رضوان الله تعالى عليهم
اجمعين انه قال اعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت
بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وايما رجل من امتي
ادركته الصلوة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت الى الناس
كافة واعطيت الشفاعة وفي رواية بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه
وفي رواية اخرى وعرض على امتي فلم يخف على التابع من المتبوع وفي رواية
بعثت الى الاحمر والاسود قيل السود العرب لان الغالب على الوانهم الادمة
فهم من السود والاحمر العجم وقيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر
الانس والسود الجن وفي الحديث الاخر عن ابي هريرة نصرت بالرعب
واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ جيء بمفاتيح خزائن الارض فوضعت
في يدي وفي رواية اخرى عنه وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر
رضي الله عنه انه قال صلى الله تعالى عليه وسلم اني فرط لكم وانا شهيد
عليكم واني والله لانظر الى حوضي الان واني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض
واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا

تنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم قال انا محمد النبي الامي لا نبي بعدي اوتيت جوامع الكلم وخواتمه
وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال
بعثت بين يدي الساعة ومن رواية ابن وهب انه عليه السلام قال قال
الله تعالى سل يا محمد فقلت ما اسال يا رب اتخذت ابرهيم خليلا
وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي
لاحد من بعده فقال الله تعالى ما اعطيتك خير من ذلك اعطيتك الكوثر
وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت الارض
طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فانت
تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد من الناس قبلك
وجعلت قلوب امتك مصاحفها وخبأت لك شفاعتك ولم اخبأها
لنبي غيرك وفي حديث اخر رواه حذيفه بشرني يعني ربه اول من يدخل
الجنة معي من امتي سبعون الفا مع كل الف سبعون الفا ليس
عليهم حساب واعطاني ان لا تجوع امتي ولا تغلب واعطاني
النصر والعزة والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا وطيب لي ولامتي المغانم
واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج و
عن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما من نبي من
الانبياء الا وقد اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي
اوتيت وحيا اوحى الله الي فارجوا ان اكون اكثرهم تبعا يوم القيمة معي

هذا عند المحققين ببقاء معجزته ما بقيت الدنيا وسائر معجزات الانبياء
ذهبت للحين ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة القران يقف عليها قرن
بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيمة وفيه كلام يطول هذا نخبته و
قد بسطنا القول فيه وفيما ذكرنا فيه سوى في اخر باب المعجزات وعن
علي رضي الله عنه كل نبي اعطي سبعة نجباء من امته واعطي نبيكم صلى
الله تعالى عليه وسلم اربعة عشر نجباء منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود
وعمار وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله قد حبس
عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وانها لم تحل لاحد
بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار وعن العرباض بن سارية سمعت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اني عبد الله وخاتم النبيين وان
ادم عليه السلام لمنجدل في طينته وعدة ابي ابرهيم وبشارة عيسى بن مريم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان الله فضل محمدا صلى الله تعالى عليه
وسلم على اهل السماء وعلى الانبياء صلوات الله عليهم قالوا فما فضله
على اهل السماء قال ان الله تعالى قال لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من
دونه فذلك نجزيه جهنم الاية وقال تعالى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم انا
فتحنا لك فتحا مبينا الاية قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله وما ارسلنا
من رسول الا بلسان قومه الاية وقال لمحمد وما ارسلناك الا كافة للناس
وعن خالد بن معدان ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك وقد روى نحوه عن ابي ذر وشداد

وشداد بن اوس وانس بن مالك رضي الله عنهم فقال نعم انا دعوة
ابي ابرهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى عيسى ورايت
امي حين حملت بي انه خرج منها نور اضاء له قصور بصرى من ارض الشام و
استرضعت في بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا
اذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث اخر ثلاثة رجال بطست
من ذهب مملوءة ثلجا فاخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من
نحري الى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة
سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى انقياه قال
في حديث اخر ثم تناول احدهما شيئا فاذا بخاتم في يده من نور يحار
الناظر دونه فختم به قلبي فامتلاء ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه وامر
الاخر يده على مفرق صدري فالتام وفي رواية ان جبريل قال قلب
وكيع اي شديد فيه عينان تبصران واذنان سميعتان ثم قال احدهما
لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من
امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها
قال في الحديث الاخر ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني
ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك
وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما اكرمك على الله ان الله معك و
ملئكته قال في حديث ابي ذر رضي الله عنه فما هو الا ان وليا عني
فكانما ارى الامر معاينة وحكى ابو محمد مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما

ان ادم عليه السلام عند مصيبته قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى
تقبل توبتي فقال له الله تعالى من اين عرفت محمدا قال رايت في كل موضع
من الجنة مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي
ورسولي فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له
وهذا عند قائله تاويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه و
في رواية الاجرى فقال ادم عليه السلام لما خلقتني رفعت راسي الى عرشك فاذا
فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك
ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي انه لآخر النبيين
من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان ادم يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر
وروى عن سريج بن يونس انه قال ان لله ملائكة سياحين عبادتها زيارة
كل دار فيها احمد او محمد اكراما منهم لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وروى ابن
قانع القاضي عن ابي الحمراء قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما
اسري بي الى السماء اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله
ايدته بعلي وفي التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وكان
تحته كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر
كيف ينصب عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها
باهلها كيف تطمئن اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وعن
ابن عباس رضي الله عنهما على باب الجنة مكتوب انني انا الله لا اله الا انا محمد
رسول الله لا اعذب من قالها وذكر انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب لا اله

لا اله الا الله محمد تقي مصلح وسيد امين وذكر السمنطاري
انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا ولد على احد جنبيه مكتوب
لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون
ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوبا عليه بالابيض لا اله الا الله محمد
رسول الله وروى عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان يوم القيمة
نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه عليه
السلام وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن
مالك قال سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد
الا نما ورزق وعنه عليه السلام ما ضر احدكم ان يكون في بيته
محمد ومحمدان وثلاثة وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان
الله نظر الى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد عليه السلام فاصطفاه
لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش ان النبي صلى الله تعالى عليه و
لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ابدا الاية قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله
فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث
فصل في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة والرؤية
وامامة الانبياء والعروج به الى سدرة المنتهى وما رأى من آيات
ربه الكبرى ومن خصائصه عليه السلام قصة الاسراء وما انطوت
عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته
صحاح الاخبار قال الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من
المسجد الحرام الاية وقال والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه

الكبرى فلا خلاف بين المسلمين في صحة الاسراء به عليه السلام اذ
هو نص القران وجاءت بتفصيله وشرح عجايبه وخواص نبينا محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم فيه احاديث كثيرة منتشرة راينا ان نقدم
اكملها ونشير الى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد
ابو علي والفقيه ابو بكر بسماعي عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي
وغير واحد من شيوخنا قالوا حدثنا ابو العباس العذري حدثنا ابو
العباس الرازي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم
بن الحجاج حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت
البناني عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم قال اوتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون
البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس
فربطته بالحلقة التي يربط الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت
فيه ركعتين ثم خرجت فجاء جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن
فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل
فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد عليه السلام قيل
وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادم صلى الله
عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية و
فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد
عليه السلام وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بـ
ابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله عليهم فرحبا بي
ودعوا لي ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا

لنا فاذا انا بيوسف عليه السلام واذا هو اعطي شطر الحسن فرحب لي
ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس
عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا
ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون فرحب
بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السادسة فذكر مثله فاذا انا
بموسى عليه السلام فرحب لي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء
السابعة فذكر مثله فاذا انا بابرهيم عليه السلام مسندا ظهره
الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك
لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كاذان
الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشي
تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها
فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلوة في كل يوم
وليلة فنزلت الى موسى عليه السلام فقال ما فرض ربك
على امتك قلت خمسين صلوة قال ارجع الى ربك فسئله التخفيف
فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم
قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا
فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان امتك لا يطيقون
فارجع الى ربك فسئله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي تعالى
وبين موسى عليه السلام حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات
كل يوم وليلة لكل صلوة عشر فتلك خمسون صلوة ومن هم
بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن

هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة
قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك
فسئله التخفيف فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت
قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه قال القاضي رحمه الله جود
ثابت رحمه الله هذا الحديث عن انس ما شاء ولم يأت احد عنه
باصوب من هذا وقد خلط فيه غيره عن انس تخليطا كثيرا
لا سيما من رواية شريك ابن ابي نمر فقد ذكر في اوله مجئ الملك
له وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا انما كان وهو صبي وقبل
الوحي وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر
قصة الاسراء ولا خلاف انها كانت بعد الوحي وقد قال غير
واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقبل هذا وقد روى
ثابت عن انس من رواية حماد بن سلمة ايضا مجئ جبريل الى
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند
ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة من حديث الاسراء
كما رواه الناس فجوّد في القصتين وفي ان الاسراء الى بيت
المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه وصل الى بيت
المقدس ثم عرج به من هناك فازاح كل اشكال اوهمه غيره وقد
روى يونس عن ابن شهاب عن انس قال كان ابو ذر رضي الله عنه
يحدث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فرج
سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم
جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في صدري ثم

ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بنا السماء فذكر القصة وروى قتادة
الحديث بمثله عن انس عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم وتأخير وزيادة
ونقص وخلاف في ترتيب الانبياء في السموات وحديث ثابت عن
انس اتقن واجود وقد وقعت في حديث الاسراء زيادات نذكر منها
نكتا مفيدة في غرضنا منها في حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبا
بالنبي الصالح والاخ الصالح الا آدم وابرهيم فقالا له والابن الصالح وفيه
من طريق ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه الاقلام و
عن انس ثم انطلق بي حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري
ماهي قال ثم ادخلت الجنة وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته
يعني موسى بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي
يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي وفي حديث ابي هريرة رضي
الله عنه وقد رايتني في جماعة من الانبياء فحانت الصلوة فاممتهم
فقال قائل يا محمد هذا خازن النار فسلم عليه فالتفت فبدأني بالسلام
وفي حديث ابي هريرة ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه
الى صخرة فصلى مع الملئكة فلما قضيت الصلوة قالوا يا جبريل من هذا
معك قال هذا محمد رسول الله وخاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه
قال نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم
لقوا ارواح الانبياء فاثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم
ابرهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبي صلى الله

تعا عليه وسلم فقال وان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم اثنى على ربه
فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة
للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل الفرقان فيه تبيان
كل شيء وجعل امتي خير امة وجعل امتي امة وسطا وجعل امتي
هم الاولون وهم الاخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع ذكري
وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابرهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به الى
الى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود
رضي الله عنه وانتهى بي الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة
اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها
فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي
رواية الجهرية من طريق الربيع بن انس فقيل لي هذه السدرة المنتهى
ينتهي اليها كل احد من امتك خلا على سبيلك وهي السدرة المنتهى
يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار
من خمرة لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير
الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة الخلق
فغشيها الملائكة قال فهو قوله اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال تبارك
وتعالى له سل فقال انك اتخذت ابرهيم خليلا واعطيته ملكا
عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له
الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له

له الجن والانس والشياطين والرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد
من بعده وعلمت عيسى التورية والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص
واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال
له ربه تعالى قد اتخذتك خليلا وحبيبا فهو مكتوب في التورية
محمد حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس كافة وجعلت امتك هم
الاولون وهم الاخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا
انك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا واخرهم بعثا و
اعطيتك سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم
سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا
وخاتما وفي الرواية الاخرى قال فاعطي رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم
ثلاثا اعطي الصلوات الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن
لا يشرك بالله شيئا من امته المقحمات وقال ما كذب الفؤاد ما راى
الايتين راى جبريل في صورته له ستمائة جناح وفي حديث شريك انه
راى موسى في السابعة قال بتفضيل كلام الله قال ثم علا به فوق ذلك
بما لا يعلمه الا الله فقال موسى لم اظن ان يرفع احد علي وقد روى عن
انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم
صلى بالانبياء ببيت المقدس وعن انس رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل
جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي فقمت الى شجرة فيها مثل وكري الطائر

فقعد فى واحدة وقعدت فى الاخرى فنمت حتى سدت الخافقين
ولو شئت لمسست السماء وانا اقلب طرفى ونظرت جبريل كانه جلس
لاطى فعرفت فضل علمه بالله علىّ وفتح لى باب السماء ورايت النور
الاعظم ولطّ دون الحجاب وفرجه الدر والياقوت ثم اوحى الله الىّ
ما شاء ان يوحى وذكر البزار عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال لما اراد
الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان جاء جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب
يركبها فاستصعب عليه فقال لها جبريل اسكنى فوالله ما ركبك عبد
اكرم على الله تعالى من محمد عليه السلام فركبها اتى بها الى الحجاب الذى يلى
الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذى بعثك بالحق انى
لاقرب الخلق مكانا وان الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتى هذه
فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق انا
اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل له من وراء
الحجاب صدق عبدى انا الله لا اله الا انا وذكر مثل هذا فى بقية الاذان
الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حى على الصلوة حى على الفلاح على الفلاح
وقال ثم الملك بيد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فقدمه فام اهل السماء
فيهم آدم ونوح وقال ابو جعفر محمد بن على بن الحسين راويه اكمل الله لمحمد
صلى الله تعالى عليه وسلم الشرف على اهل السموات والارض قال القاضى
رضى الله ما فى الحديث من ذكر الحجاب فهو فى حق المخلوق لا فى حق الخالق فهم

فهم المحجوبون والبارى جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس
ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصائرهم وادراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء
كقوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله فى هذا الحديث الحجاب واذ خرج
ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه من ملئكته عن الاطلاع على
ما دونه من سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث
قول جبريل عن الملك الذى خرج من وراءه ان هذا الملك ما رايته منذ
خلقت قبل ساعتى هذه فدل على ان هذا الحجاب لم يختص بالذات ويدل
عليه قول كعب فى تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهى علم الملئكة وعند
ها يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم واما قوله الذى يلى الرحمن فيحمل
على حذف المضاف اى يلى الرحمن او امرا ما عظيم اياته او مبادى
حقايق معارفه مما هو اعلم به كما قال تعالى واسئل القرية اى اهلها
وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى انا اكبر فظاهره انه
سمع فى هذا المواطن كلام الله ولكن من وراء حجاب كما قال وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب وهو لا يراه حجب بصره
عن رؤيته فان صح القول فان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم راى
ربه فيحتمل انه فى غير هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب عن
بصره حتى راه والله اعلم فصل ثم اختلف السلف والعلماء هل
كان الاسراء بروحه او بجسده على ثلاث مقالات فذهبت طائفة
الى انه اسراء بالروح وانه رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء حق

ووحى وإلى هذا ذهب معاوية وحكى عن الحسن والمشهور عنه خلافه
واشار اليه محمد بن اسحق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا
التي اريناك الا فتنة للناس وما حكوا عن عائشة رضي الله عنها ما فقدت
جسد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله بينا انا نائم
وقول انس رضي الله عنه وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة
ثم قال في اخرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف
والمسلمين الى انه اسراء بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق وهو
قول ابن عباس رضي الله عنهما وجابر وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة
ومالك بن صعصعة وابي حبة البدري وابن مسعود والضحاك
وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد و
الحسن وابرهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج رضوان الله
تعالى عليهم اجمعين وهو قول عائشة رضي الله عنها وهو قول الطبري
وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهذا قول اكثر المتأخرين
من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة
كان الاسراء بالجسد يقظة من المسجد الحرام الى بيت المقدس والى
السماء بالروح واحتجوا بقوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من
المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسراء
الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم به واظهار الكرامة له بالاسراء اليه قال هؤلاء ولو كان

ولو كان الاسراء بجسده الى زائد على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ في
المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس ام لا ففي حديث
انس رضي الله عنه وغيره ما يقتضي صلاته فيه وانكر ذلك حذيفة
بن اليمان وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا قال القاضي رضي
الله عنه والحق من هذا والصحيح ان شاء الله انه اسراء بالجسد والروح في
القصة كلها وعليه تدل الآية وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل عن
الظاهر والحقيقة الى التأويل الا عند الاستحالة وليس في الاسراء بجسده
وحال يقظته استحالة اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله
ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه اية ولا معجزة ولما استبعده
الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد ضعفاء من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا
من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره انما كان عن
جسمه وحال يقظته الى ما ذكر في الحديث عن ذكر صلاته بالانبياء ببيت
المقدس في رواية انس او في السماء على ما روى غيره وذكر مجيء جبريل له بالبراق
وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن معك فيقول له بالبراق محمد و
لقائه الانبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشانه في فرض الصلاة ومراجعته
مع موسى في ذلك وفي بعض هذه الاخبار فاخذ يعني جبريل بيدي فعرج بي
الى السماء الى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وانه
وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل الجنة وراى فيها ما ذكر قال ابن عباس
هي رؤيا عين راها النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام وعن الحسن

فيه بينا انا جالس في الحجر جاءني جبريل فهمزني بعقبه فقمت فجلست
فلم ارى شيئا فعدت لمضجعي ذكر ذلك ذكر ذلك ثلاثا فقال في الثالثة
فاخذ بعضدي فجرني الى باب المسجد فاذا بدابة وذكر خبر البراق
وعن ام هانئ ما اسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو
في بيتي تلك الليلة صلى العشاء الاخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر
اهبنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلى الصبح وصلينا قال
قال يا ام هانئ لقد صليت معكم العشاء الاخرة كما رايت بهذا الوادي
ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الان كما
ترون وهذا بين في انه جسمه وعن ابي بكر من رواية شداد بن اوس
عنه انه قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة اسرى به طلبتك
يا رسول الله البارحة في مكانك فلم اجدك فاجابه ان جبريل
حمله الى المسجد الاقصى وعن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم صليت ليلة اسري بي في مقدم المسجد
ثم دخلت الصخرة فاذا بملك قائم معه آنية ثلاث وذكر الحديث
وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن
ابي ذر رضي الله عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فرج سقف
بيتي وانا بمكة فنزل جبريل فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم الى
القصة ثم اخذ بيدي فعرج بي وعن انس عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قال اتيت فانطلقوا بي الى زمزم فشرح عن صدري

عن صدري وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قال لقد رايتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي
فسألتني عن اشياء لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه
الله الي انظر اليه ونحوه عن جابر وقد روى عمر بن الخطاب رضي
الله عنه في حديث الاسراء عنه عليه السلام انه قال ثم رجعت
الى خديجة وما تحولت عن جانبها فصل في ابطال حجج من قال انها
نوم احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس
فسماها رؤيا قلنا قوله سبحان الذي اسرى بعبده يرده لانه لا يقال في النوم
اسرى وقوله فتنة للناس يؤيد انها رؤيا عين واسراء بشخص اذ ليس
في الحلم فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد يرى مثل ذلك في منامه من
الكون في ساعة واحدة في اقطار متباينة على ان المفسرين قد اختلفوا
في هذه الاية فذهب بعضهم الى انها نزلت في قضية الحديبية وما وقع
في نفوس الناس من ذلك وقيل غير هذا واما قولهم انه قد سماها في الحديث
مناما وقوله في حديث اخر بين النائم واليقظان وقوله ايضا وهو نائم
وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه كان
وهو نائم او اول حمله والاسراء به وهو نائم وليس في الحديث انه كان نائما
في القصة كلها الا ما يدل عليه ثم استيقظت وانا بالمسجد الحرام فلعل قوله
استيقظت بمعنى اصبحت او استيقظ من نوم اخر بعد وصوله بيته ويدل عليه
ان مسراه لم يكن طول ليلة وانما كان في بعضه وقد يكون قوله استيقظت

وانا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجايب ما طالع من ملكوت السموات و
الارض وخامر باطنه من مشاهدة الملاء الاعلى وما راى من ايات ربه الكبرى
فلم يستفق ويرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام و وجه ثالث
ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه اسرى بجسده
وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال
بعض اصحاب الاشارات الى نحو من هذا قال تغيض عينيه لئلا يشغله شئ
من المحسوسات عن الله ولا يصح هذا ان يكون في وقت صلاته بالانبياء ولعله
كانت له في هذا الاسراء حالات و وجه رابع وهو ان يعبر بالنوم ههنا
عن هيئة النائم من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد بن حميد عن همام بينا
انا نائم وربما قال مضطجع وفي رواية هدبة عنه بينا انا في الحطيم وربما قال
في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الاخرى بين النائم واليقظان فيكون سمى
هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات
من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث انما هي من
روايته اذ شق البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره عليه السلام
وقبل النبوة ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث والاسراء كان باجماع بعد
المبعث فهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس رضي الله عنه مع ان انسا
قد بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه من النبي عليه السلام
فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على
الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث واما قول عائشة رضي الله عنها ما فقد جسده

جسده فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ زوجة ولا
في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسراء متى
كان فان الاسراء كان في اول الاسلام على قول الزهري ومن وافقه بعد
المبعث بعام ونصف وكانت عايشة رضي الله عنها في الهجرة بنت نحو ثمانية
اعوام وقيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه
انه لخمس والحجة لذلك تطول وليست من غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك
عائشة رضي الله عنها دل انها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها
على خبر غيرها بقول خلافه مما وقع نصا في حديث ام هانئ وغيرها وايضا
فليس حديث عائشة رضي الله عنها بالثابت والاحاديث الاخر اثبت
لسنا نعني حديث ام هانئ وما ذكرت فيه خديجة رضي الله عنها وايضا
فقد روي في حديث عائشة رضي الله عنها فقدت جسده ولم يدخل
بها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل
الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده لانكارها ان تكون رؤيا
لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره فان قيل فقد قال
تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فقد جعل ما رآه للقلب وهذا يدل
على انه رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله
تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد اضاف الامر للبصر وقد قال اهل التفسير
في قوله ما كذب الفؤاد ما راى اي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل
صدق رؤيتها وقيل ما انكر قلبه ما راته عينه فصل واما رؤيته

صلى الله تعالى عليه وسلم لربه عز وجل فاختلف السلف فيها فانكرته
عائشة رضي الله عنها حدثنا ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ
بقرائتي عليه قال حدثني ابي الحسن وابو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا
حدثنا القاضي يونس بن مغيث حدثنا ابو الفضل الصقلي حدثنا ثابت
بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا حدثنا عبد الله بن علي حدثنا محمود بن
آدم حدثنا وكيع عن ابن خالد عن عامر عن مسروق انه قال لعايشة
يا ام المؤمنين هل راى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث
من حدثك بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرأت
لا تدركه الابصار الاية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عائشة وهو
المشهور عن ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة انه انما راى جبريل
واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة
من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس انه راه بعينيه و
روى عطاء عنه راه بقلبه وعن ابي العالية عنه راه بفؤاده مرتين
وذكر ابن اسحق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يسئله هل راى محمد ربه
فقال نعم والاشهر عنه انه راى ربه بعينيه روى عنه ذلك عنه من طرق
وقال ان الله اختص موسى بالكلام وابرهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية و
حجته قوله ما كذب الفؤاد ما راى افتمارونه على ما يرى ولقد راه نزلة
اخرى قال الماوردي قيل ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى و
محمد فراه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى ابو الفتح الرازي وابو الليث

ابو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحارث قال
اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا
قد راى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال ان الله قسم رؤيته
وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى وراه محمد بقلبه وروى شريك
عن ابي ذر رضي الله عنه في تفسير الاية قال راى النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم ربه وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن انس ان
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سئل هل رايت ربك قال رأيته بفؤادي
ولم اره بعيني وروى مالك بن يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قال رايت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملاء الاعلى الحديث وحكى
عبد الرزاق ان الحسن كان يحلف بالله لقد راى محمد ربه وحكاه ابو عمر
الطلمنكي عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود
وحكى ابن اسحاق ان مروان سئل ابا هريرة هل راى محمد ربه فقال نعم
وحكى النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس بعينه
راه راه راه حتى انقطع نفسه يعني نفس احمد وقال ابو عمر قال احمد بن
حنبل راه بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالابصار وقال
سعد بن جبير لا اقول راه ولا لم يره وقد اختلف في تاويل الاية عن ابن
عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود رضي الله عنهم فحكي عن ابن عباس
وعكرمة راه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود راى جبريل وحكى عبد الله
بن احمد بن حنبل عن ابيه انه قال راه وعن ابن عطاء في قوله تعالى الم نشرح لك

صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدرك للكلام وقال ابو الحسن
علي بن اسمعيل الاشعري رضي الله عنه وجماعة من اصحابه انه راى الله
ببصره وعيني راسه وقال كل اية اوتيها نبي من الانبياء عليهم السلام
فقد اوتي مثلها نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وخص من بينهم بتفضيل الرؤية
ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ان يكون
قال القاضي ابو الفضل المصنف رضي الله عنه والحق الذي لا امتراء فيه
ان رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل
على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها ومحال ان يجهل نبي
ما يجوز عليه بل لم يسأل الا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من
من الغيب الذي لا يعلمه الا من علمه الله فقال لن تراني اي لن تطيق ولا
يحتمل رؤيتي ثم ضرب له مثلا مما هو اقوى من بنية موسى واثبت
وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على
الجملة وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود
فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله لا تدركه
الابصار لاختلاف التاويلات في الاية واذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا
الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الاية نفسها على جواز الرؤية وعدم اس
استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار وقيل لا تدركه الابصار
لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد قيل لا تدركه الابصار وانما يدركه
المبصرون وكل هذه التاويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك

وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني الاية وقوله تبت اليك لما قدمناه ولانها ليست
على العموم ولان من قال معناها لن تراني في الدنيا انما هو تاويل وايضا فليس
فيه نص الامتناع وانما جاءت في حق موسى وحيث تتطرق التاويلات
وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل وقوله تبت اليك اي من سؤالي
ما لم تقدره لي وقد قال ابو بكر الهذلي في قوله تعالى لن تراني اي ليس لبشر ان يطيق
ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي مات وقد رايت لبعض السلف والمتا
والمتاخرين ما معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا
وقواهم وكونها متغيرة عرضا للآفات والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية
فاذا كان في الاخرة وركبوا تركيبا اخر ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم انوار
ابصارهم وقووا بها على الرؤية وقد رايت نحو هذا لمالك بن انس رضي
الله عنه قال لم يرى في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان
في الاخرة ورزقوا ابصارا باقية رئي الباقي بالباقي وهذا كلام حسن
مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة فاذا
قوى الله تعالى من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء الرؤية لم تمتنع في
حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما ونفوذ ادراكهما
بقوة الهية منحاها لادراك ما ادركاه ورؤية ما رأياه والله اعلم و
قد ذكر القاضي ابو بكر في اثناء اجوبته عن الايتين ما معناه ان موسى
عليه السلام راى الله فلذلك خر صعقا وان الجبل راى ربه فصار
دكا بادراك خلقه له واستنبط ذلك والله اعلم من قوله ولكن انظر

الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا
وخر موسى صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى راه على هذا القول
وقال جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقة
وقوله هذا يدل على ان موسى راه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل
انه راه وبروية الجبل له استدل من قال بروية محمد نبينا صلى الله
تعالى عليه وسلم له اذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز اذ ليس في
الايات نص بالمنع واما وجوبه لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم والقول
بانه راه بعينه فليس بقاطع ايضا ولا نص اذ المعول فيه على آيتي النجم
والتنازع فيهما ماثور والاحتمال لهما ممكن ولا اثر قاطع متواتر عن
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس رضي الله عنه
خبر عن اعتقاده لم يسنده الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيجب
العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث ابي ذر رضي الله عنه في تفسير
الاية وحديث معاذ محتمل للتاويل وهو مضطرب الاسناد والمتن
وحديث ابي ذر رضي الله عنه الاخر مختلف محتمل مشكل فروي نوراني اراه
وحكى بعض شيوخنا انه روي نور اني اراه وفي حديثه الاخر سألته فقال
رايت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منهما على صحة الروية فان كان الصحيح
رايت نورا فهو قد اخبر انه لم ير الله وانما راى نورا منعه وحجبه عن روية
الله والى هذا يرجع قوله نور اني اراه اي كيف اراه مع حجاب النور المغشي
للبصر وهذا مثل ما في الحديث الاخر حجابه النور وفي الحديث الاخر لم اره

لم اره بعيني ولكن رايته بقلبي مرتين وتلا ثم دنا فتدلى والله قادر على
خلق الادراك الذي في البصر في القلب او كيف شاء لا اله غيره
فان ورد حديث نص بين في الباب اعتقد ووجب المصير اليه
اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده والله الموفق تعالى
فصل واما ورد في هذه القصة من مناجاته لله وكلامه معه
بقوله فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته الاحاديث فاكثر المفسرين
على ان الموحي الله الى جبريل وجبريل الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
الا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال اوحى اليه
بلا واسطة ونحوه عن الوحي والى هذا ذهب بعض المتكلمين ان
محمدا كلم ربه في الاسراء وحكي عن الاشعري وحكوه عن ابن مسعود و
ابن عباس رضي الله عنهم وانكره اخرون وذكر النقاش عن ابن في
قصة الاسراء عنه عليه السلام في قوله دنا فتدلى قال فارقني جبريل
فانقطعت الاصوات عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدا روعك
يا محمد ادن ادن وفي حديث انس رضي الله عنه في الاسراء نحو منه
وقد احتجوا في هذا بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا
وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء
فقالوا هي ثلاثة اقسام من وراء حجاب كتكليم موسى وبارسال
الملائكة كحال جميع الانبياء واكثر احوال نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة مع

المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم دون واسطة وقد ذكر ابو بكر البزار عن علي في حديث الاسراء ما هو
اوضح في سماع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكلام الله من الآية فذكر فيه
فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لي من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر
انا اكبر وقال في سائر كلمات الاذان مثل ذلك ويجيء الكلام في مشكل هذا
الحديث في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفي اول فصل من الباب منه وكلام
الله لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اختصه من الانبياء عليهم السلام جائز غير
ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فان صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه
تعالى لموسى عليه السلام كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب واكده بالمصدر
دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء السابعة بسبب
كلامه ورفع محمدا فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف الاقلام
فكيف يستحيل في حق هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان من خص من
شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات فصل واما ما ورد في حديث
الاسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب من قوله دنا فتدلى فكان
قاب قوسين او ادنى فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلي منقسم
ما بين محمد وجبريل عليهما السلام او مختص باحدهما من الآخر او من سدرة
المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس هو محمد دنا فتدلى من ربه وقيل
معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد اي قرب
وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس هو الرب عز وجل دنا من محمد

من محمد فتدلى اليه اي امره وحكمه وحكى النقاش عن الحسن قال دنا من
عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتدلى فقرب منه فاراه ما شاء ان يريه
من قدرته وعظمته قال وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو مقدم ومؤخر
تدلى الرفرف لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع
فدنا من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات وسمعت كلام ربي
وعن انس في الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة
فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء خمسين
صلوة وذكر حديث الاسراء وعن محمد بن كعب هو محمد دنا من ربه فكان
قاب قوسين وقال جعفر بن محمد ادناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين
وقال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود وقال
ايضا انقطعت الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا
محمد الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى بسكون قلبه الى ما
ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب قال القاضي ابو الفضل رضي
الله عنه اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله او الى
الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق
ليس بدنو حد وانما دنو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من ربه وقربه منه
ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة
اسرار غيبه وقدرته ومن الله له مبرة وتأنيس وبسط واكرام ويتأول
فيه ما يتأول في قوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا على احد الوجوه نزول افضال

واجلال وقبول واحسان قال الواسطى ومن توهم انه بنفسه دنى جعل ثم
مسافة بل كلما دنى بنفسه من الحق تدلى بعدا يعنى عن درك حقيقته اذ لا دنو
للحق ولا بعد وقوله قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عائدا الى الله
تعالى لا الى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل واتضاح
المعرفة والاشراف على الحقيقة من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعبارة
عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب واظهار التحفى وانافة المنزلة و
المرتبة من الله ويتاول فيه ما يتاول في قوله من تقرب منى شبرا
تقربت منه ذراعا ومن اتانى يمشى اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول
واتيان بالاحسان وتعجيل من المامول **فصل في ذكر تفضيله
عليه السلام في القيمة** بخصوص الكرامة حدثنا القاضى ابو على حدثنا
ابو الفضل وابو الحسين قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا السنجى حدثنا ابن
محبوب حدثنا الترمذى حدثنا الحسين ابن يزيد الكوفى حدثنا عبد السلام
بن حرب عن ليث عن الربيع بن انس قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا
وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدى وانا اكرم ولد ادم
على ربى ولا فخر وفى رواية بن زحر عن الربيع عن انس في لفظ هذا
الحديث انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا
وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم
اذا ابلسوا لواء الكرم بيدى وانا اكرم ولد ادم على ربى ولا فخر ويطوف

ويطوف على الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون وعن ابى هريرة رضى الله عنه
واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق
يقوم ذلك المقام غيرى وعن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة وبيدى لواء الحمد ولا
فخر ولا نبى يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوائى وانا اول من تنشق
عنه الارض ولا فخر وعن ابى هريرة رضى الله عنه عنه عليه السلام
انا سيد ولد ادم يوم القيمة واول من ينشق عنه القبر واول شافع
واول مشفع وعن ابن عباس انا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر
وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة
فيفتح لى فيدخلها معى فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين
والاخرين ولا فخر وعن انس انا اول الناس يشفع فى الجنة وانا
اكثر الناس تبعا وعن انس رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم
انا سيد الناس يوم القيمة وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والاخرين
وذكر حديث الشفاعة وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه عليه السلام
قال ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم القيمة وفى حديث اخر اما
ترضون ان يكون ابرهيم وعيسى فيكم يوم القيمة ثم قال انهما فى امتى
يوم القيمة اما ابرهيم فيقول انت دعوتى وذريتى فاجعلنى من امتك
واما عيسى فالانبياء اخوة بنو علات امهاتهم شتى وان عيسى اخى ليس بينى
وبينه نبى وانا اولى الناس به قوله انا سيد الناس يوم القيمة هو سيدهم

في الدنيا ويوم القيمة ولكن اشار عليه السلام لانفراده فيه بالسؤدد دو
والشفاعة دون غيره اذ لجاء الناس في ذلك فلم يجدوا سواه والسيد
هو الذي يلجاء الناس اليه في حوايجهم فكان حينئذ سيدا منفردا من بين
البشر لم يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار والملك له تعالى في الدنيا والاخرة لكن في الاخرة انقطعت دعوى
المدعي لذلك في الدنيا وكذلك لجاء الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم جميع
الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الاخرى دون دعوى وعن انس
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتى باب الجنة يوم القيمة فاستفتح
فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك
وعن عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة
شهر وزواياه سواء وماؤه ابيض من الورق وريحه اطيب من المسك
كيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظماء ابدا وعن ابي ذر رضي الله عنه نحوه
وقال طوله ما بين عمان الى ايلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان
مثله وقال احدهما من ذهب والاخر من ورق وفي رواية حارثة بن وهب
كما بين المدينة وصنعاء وقال انس ايلة وصنعاء وقال ابن عمر كما بين الكوفة
والحجر الاسود وروى حديث الحوض ايضا انس وجابر وسمرة وبن عمرو وعقبة
بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد وابو برزة الاسلمي وحذيفة
بن اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد و
سهل بن سعد وسويد بن جبلة وابو سعيد الخدري وعبد الله الصنابحي

الصنابحي وابو هريرة والبراء وجندب وعائشة واسماء بنتا ابي بكر وابو بكرة
وخولة بنت قيس وغيرهم فصل في تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم
بالمحبة والخلة جاءت بذلك الاثار الصحيحة واختص على لسنة المسلمين
بحبيب الله اخبرنا ابو القاسم بن ابرهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت احمد
قالت حدثنا ابو الهيثم وحدثنا حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه حدثنا القاضي
ابو الوليد حدثنا عبد بن احمد حدثنا ابو الهيثم حدثنا ابو عبد الله محمد
بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا ابو عامر
حدثنا فليح حدثنا ابو النضر عن بسر بن سعيد عن ابي سعيد عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلا غير ربي
لاتخذت ابا بكر وفي حديث اخر ان صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله
ابن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال جلس ناس من اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال فخرج حتى اذا دنا
منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ من خلقه خليلا
وقال اخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما فقال فعيسى كلمة الله
وروحه وقال اخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم
وعجبكم ان الله اتخذ ابرهيم خليلا وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك
وعيسى روح الله وهو كذلك وادم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا
حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول
شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي

فيذ خلتها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين
وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه من قول الله تعالى لنبيه صلى
الله تعالى عليه وسلم اني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التورية
محمد حبيب الرحمن قال القاضي رحمه الله اختلف في تفسير الخلة
واصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله تعالى الذي ليس
في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل المختص واختار
هذا القول غير واحد وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفاء وسمي
ابرهيم خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه وخلة الله له نصره
وجعله اماما لمن بعده وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع ماخوذ
من الخلة وهي الحاجة فسمي بها ابرهيم لانه قصر حاجته على ربه وانقطع
اليه بهمته ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى
به في النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن
فورك الخلة صفاء المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الاسرار
وقال بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع
والتشفيع وقد بين ذلك في كتابه بقوله تعالى وقالت اليهود والنصارى
نحن ابناء واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب ان لا يؤاخذ
بذنوبه قال هذا والخلة اقوى من النبوة لان النبوة قد يكون فيها
العداوة كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا يصح ان
تكون عداوة مع خلة فاذا تسمية ابرهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة اما بانقطاعهما

بانقطاعهما الى الله ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والاضراب
عن الوسائط والاسباب او الزيادة والاختصاص منه تعالى لهما وخفي
الطافه عندهما وما خالل بواطنهما من الاسرار الالهية ومكنون غيوبه و
معرفته او لاستصفائه لهما واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم يخاللهما
حب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى
قوله عليه السلام ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن
اخوة الاسلام واختلف العلماء ارباب القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او
درجة المحبة فجعلهما بعضهم سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل
الا حبيبا لكنه خص ابرهيم بالخلة ومحمدا صلى الله تعالى عليهما السلام بالمحبة
وقال بعضهم درجة الخلة ارفع واحتج بقوله عليه السلام لو كنت متخذا
خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق المحبة لفاطمة عليها السلام وابنيها
واسامة وغيرهم واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب
نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ارفع من درجة الخليل ابرهيم واصل المحبة
الميل الى ما يوافق المحب ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع
بالوفق وهي درجة المخلوق فاما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاعراض
فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة اسباب القرب
وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر
اليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع
به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا

سوى التجرد لله والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن غير الله وصفاء
القلب لله واخلاص الحركات لله كما قالت عائشة رضى الله عنها كان خلقه
القران برضاه يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة
بقوله :. قد تخللت مسلك الروح منى :. وبذا سمى الخليل خليلا
:. فاذا ما نطقت كنت حديثى :. واذا ما سكت كنت الغليلا
فاذا مرتبة الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بما
دلت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى بقوله
تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى الاية حكى اهل التفسير ان هذه
الاية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت
النصارى عيسى فانزل الله غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الآية
قل اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم
توعدهم على التولى عنه بقوله فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين وقد
نقل الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما فى الفرق بين المحبة والخلة
يطول جملة اشاراته الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا
يهدى الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله وكذلك
نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض والحبيب يصل اليه به من قوله فكان
قاب قوسين او ادنى وقيل الخليل الذى تكون مغفرته فى حد الطمع من
قوله والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى والحبيب الذى فى حد اليقين من قوله
ليغفر لك الله ما تقدم الاية والخليل قال ولا تخزنى والحبيب قيل له يوم لا يخزى



الله النبى فابتدئ بالبشارة قبل السؤال والخليل قال فى المحنة
حسبى الله والحبيب قيل له يا ايها النبى حسبك الله والخليل قال واجعل لى
لسان صدق والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اعطى بلا سؤال و
الخليل قال واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وفيما ذكرناه تنبيه
على مقصد اصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والاحوال وكل يعمل
على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا فصل فى تفضيله بالشفاعة
والمقام المحمود قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اخبرنا
الشيخ ابو على الغسانى الجيانى فيما كتب به الى بخطه حدثنا سراج بن عبد الله
القاضى حدثنا ابو محمد الاصيلى حدثنا ابو زيد وابو احمد قالا حدثنا محمد بن يوسف حدثنا
محمد بن اسمعيل حدثنا اسمعيل بن ابان حدثنا ابو الاحوص عن ادم بن على قال
سمعت ابن عمر رضى الله عنهما يقول ان الناس يصيرون يوم القيمة جثا كل امة تتبع
نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهى الشفاعة الى النبى
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فذلك يوم يبعثه المقام المحمود وعن ابى هريرة
قال سئل عنها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعنى قوله عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا فقال هى الشفاعة وروى كعب بن مالك عنه عليه السلام
يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا وامتى على تل ويكسونى ربى حلة خضراء
ثم يؤذن لى فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك المقام المحمود وعن ابن عمر
وذكر حديث الشفاعة قال فيمشى حتى يأخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام

المحمود الذى وعده وعن ابن مسعود رضى الله عنه عنه عليه السلام انه
قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقوم غيره يغبطه فيه الاولون والاخرون
ونحوه عن كعب والحسن وفى رواية هو المقام الذى اشفع لامتى فيه
وعن ابن مسعود قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان المقام
المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تعالى على كرسيه
الحديث وعن ابى موسى عنه الصلوة والسلام خيرت بين يدخل نصف
امتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها اعم ترونها للمتقين
ولكنها للمذنبين الخطائين وعن ابى هريرة رضى الله عنه قلت يا رسول الله
ماذا ورد عليك فى الشفاعة فقال شفاعتى لمن شهد ان لا اله الا
الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن ام حبيبة رضى الله عنها قالت
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اريت ما تلقى امتى من بعدى
وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم
فسئلت الله ان يؤتينى شفاعة فيهم ففعل وقال حذيفة رضى الله
عنه يجمع الله الناس فى صعيد واحد حيث يسمعهم الداعى وينفذهم
البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فينادى يا محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك و
الشر ليس اليك والمهتدى من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك
لا ملجاء ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت
قال فذلك المقام المحمود الذى ذكر الله وقال ابن عباس رضى الله عنهما اذا

اذا دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة فتبقى اخر زمرة من الجنة واخر زمرة
من النار فتقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم
ويضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسئلون آدم وغيره بعده فى الشفاعة
لهم فكل يعتذر حتى ياتوا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فيشفع لهم فذلك
المقام المحمود ونحوه عن ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكر على بن حسين
عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير
سمعت بمقام محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يعنى الذى يبعثه الله فيه قال
نعم قال فانه مقام محمد صلى الله عليه تعالى عليه وسلم المحمود الذى يخرج
الله به من يخرج يعنى من النار وذكر حديث الشفاعة فى اخراج الجهنميين
وعن انس نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذى وعده وعن سلمان
رضى الله عنه المقام المحمود هو الشفاعة فى امته يوم القيمة ومثله
عن ابى هريرة رضى الله عنه وقال قتادة كان اهل العلم يرون المقام المحمود
شفاعته يوم القيمة وعلى ان المقام المحمود هو مقامه عليه السلام للشفاعة
مذاهب السلف من الصحابة والتابعين وعامة ائمة المسلمين وبذلك
جاءت مفسرة فى صحيح الاخبار عنه عليه السلام وجاءت مقالة فى تفسير
ها شاذة عن بعض السلف يجب ان لا تثبت اذ لم يعضدها صحيح اثر ولا
سديد نظر ولو صحت لكان لها تاويل غير مستنكر لكن ما فسره النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم فى صحاح الاثار يرده فلا يجب ان يلتفت اليه مع انه
لم يأت فى كتاب ولا سنة ولا اتفقت على المقالة به امة وفى اطلاق ظاهره

منكر من القول وشنعه وفي رواية انس وابي هريرة رضي الله عنهما وغيرهما
دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال عليه السلام يجمع الله الاولين
والاخرين يوم القيمة فيهتمون او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا
الى ربنا ومن طريق اخر عنه ماج الناس بعضهم في بعض وعن ابي هريرة
رضي الله عنه فتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون
فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم فيأتون ادم فيقولون زاد بعضهم
انت آدم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته
واسجد لك ملئكته وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا
من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب
قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي
اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا فيقولون انت اول
الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا الا ترى ما نحن فيه
الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم
غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي وفي
رواية انس ويذكر خطيئته التي اصاب سؤاله ربه بغير علم وفي رواية
ابي هريرة وكانت لي دعوة دعوت بها على قومي اذهبوا الى ابرهيم فانه خليل
الله فيأتون ابرهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع
لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا فذكر
مثله ويذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى فانه

فانه كليم الله وفي رواية فانه عبد اتاه الله التورية وكلمه و
قربه نجيا قال فيأتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته
التي اصاب وقتله النفس نفسي ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته
فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم
عبد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فاوتى فاقول انا لها فانطلق
فاستاذن على ربي فيؤذن لي فاذا رايته وقعت ساجدا وفي
رواية فاتي تحت العرش فاخر ساجدا وفي رواية فاقوم بين
يديه فاحمده بمحامد لا اقدر عليها الا ان يلهمنيه الله وفي رواية
فيفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه الله على
احد قبلي قال وفي رواية ابي هريرة فيقال يا محمد ارفع راسك سل
تعطه واشفع تشفع فارفع راسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي فيقول
ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة
وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ولم يذكر في رواية انس
رضي الله عنه هذا الفصل وقال مكانه ثم اخر ساجدا فيقال لي يا محمد
ارفع راسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب
امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة
من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد
وذكر مثل الاول وقال فيه مثقال حبة من خردل فافعل ثم ارجع وذكر
مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة

من خردل فافعل وذكر في المرة الرابعة فيقال لي ارفع راسك وقل يسمع واشفع
تشفع وسل تعطه فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك
اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لاخرجن من النار من قال
لا اله الا الله ومن رواية قتادة عنه قال فلا ادري في الثالثة او
الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القران اي وجب
عليه الخلود وعن ابي بكر وعقبة بن عامر وابي سعيد وحذيفة مثله
قال فياتون محمدا فيؤذن له وتاتي الامانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط
وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة فياتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط
فيمرون اولهم كالبرق ثم كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم صلى الله تعالى
عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر اخرهم
جوازا الحديث وفي رواية ابي هريرة رضي الله عنه فاكون اول من يجيز وعن
ابن عباس رضي الله عنهما عنه عليه السلام يوضع للانبياء منابر يجلسون
عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا فيقول الله
تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم
فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا
ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى النار حتى ان خازن النار
ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة ومن طريق زياد النميري
عن انس ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال انا اول من تنفلق الارض
عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيمة

يوم القيمة وانا اول من تفتح له الجنة ولا فخر فاتي فاخذ بحلقة الجنة فيقال
من هذا فاقول محمد فتفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى فاخر له ساجدا وذكر
نحو ما تقدم ومن رواية انيس سمعت رسول الله صلى الله تعالى يقول لاشفعن
يوم القيمة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه
الاثار ان شفاعته عليه السلام ومقام المحمود من اول الشفاعات الى
اخرها من حين يجتمع الناس للحشر ويضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق
والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لاراحة الناس
من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن ابي هريرة
وحذيفة وهذا الحديث اتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من امته الى
الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار
منهم حسب ما تقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا اله الا الله وليس هذا
لسواه صلى الله عليه وسلم وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعو
بها واختبات دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة قال اهل العلم معناه دعوة
اعلم انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم والا فكم لكل نبي منهم من دعوة
مستجابة ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء
بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاؤوه يدعون بها على
يقين من الاجابة وقد قال محمد بن زياد وابو صالح عن ابي هريرة في هذا الحديث
لكل نبي دعوة دعا بها في امته فاستجيب له وانا اريد ان ادخر دعوتي شفاعة

لامتي يوم القيمة وفي رواية ابي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته
ونحوه في رواية ابي زرعة عن ابي هريرة وعن انس مثل رواية ابن زياد
عن ابي هريرة فيكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة مضمونة
الاجابة والا فقد اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم انه سئل لامته اشياء
من امور الدين والدنيا اعطي بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة
ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السؤال والرغبة جزاه الله احسن ما جزا نبيا
عن امته وصلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا فصل في تفضيله في الجنة
بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة حدثنا القاضي
الشهيد ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه ابو الوليد هشام بن
احمد بقراتي عليه قالا حدثنا ابو علي الغساني حدثنا النمري حدثنا ابن عبد المؤمن
حدثنا ابو بكر التمار حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن سلمة حدثنا ابن وهب عن ابي
لهيعة وحيوة وسعيد بن ابي ايوب عن كعب عن علقمة عن عبد الرحمن
بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى
علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله تعالى الوسيلة فانها منزلة
في الجنة لا ينبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال
الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وفي حديث اخر عن انس رضي الله
عنه الوسيلة اعلى درجة في الجنة وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه

حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا الكوثر الذي اعطاكه الله
قال ثم ضرب بيده الى طينة فاستخرج مسكا وعن عائشة وعبد الله بن عمر
ومثله قال ومجريه على الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل وابيض
من الثلج وفي رواية عنه فاذا هو يجري ولم يشق شقا عليه حوض ترد
عليه امتي وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عباس
ايضا قال الكوثر الخير الذي اعطاه الله اياه وقال سعيد بن جبير
والنهر الذي في الجنة يسيل في حوضي وعن ابن عباس رضي الله عنهما
في قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى قال الف قصر من لؤلؤ ترابهن
المسك وفيه ما يصلحهن وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي له من الازواج
والخدم فصل فان قلت اذا تقرر من دليل القران وصحيح الاثر
واجماع الامة كونه اكرم البشر وافضل الانبياء فما معنى الاحاديث
الواردة بنهيه عن التفضيل كقوله فيما حدثناه الاسدي قال
حدثنا السمرقندي حدثنا الفارسي حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفيان
حدثنا مسلم حدثنا ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة
سمعت ابا العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم يعني ابن
عباس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير
من يونس بن متى وفي غير هذا الطريق عن ابي هريرة قال يعني رسول الله
عليه السلام ما ينبغي لعبد الحديث وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه
في اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من الانصار

وقال نقول ذلك ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين اظهرنا فبلغ ذلك
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبياء وفي رواية
لا تخيروني على موسى فذكر الحديث وفيه ولا اقول ان احداً افضل
من يونس بن متى وعن ابي هريرة ومن قال انا خير من يونس بن متى
فقد كذب وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يقولن احدكم انا خير
من يونس بن متى وفي حديثه الاخر فجائه رجل فقال يا خير البرية فقال
ذاك ابرهيم فاعلم ان للعلماء في هذه الاحاديث تاويلات احدهما ان
نهيه عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد ادم فنهى عن التفضيل
اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله لا
اقول ان احداً افضل منه لا يقتضي تفضيله هو وانما هو في الظاهر
كف عن التفضيل الوجه الثاني انه قاله عليه السلام على طريق التواضع
ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه الثالث ان لا
يفضل بينهم تفضيلا يؤدي الى تنقص بعضهم او الغض منهم لا سيما في جهة
يونس عليه السلام اذ اخبر الله عنه بما اخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه
بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة اذ قال تعالى عنه اذ ابق
الى الفلك المشحون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فربما
يخيل لمن لا علم عنده حطيطة بذلك الوجه الرابع منع التفضيل في حق
النبوة والرسالة فان الانبياء فيها على حد واحد اذ هي شيء واحد لا تتفاضل
وانما التفاضل في زيادة الاحوال والخصوص والكرامات والرتب و

والرتب والالطاف واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل
بامور اخرى زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اولوا العزم
من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومنهم من اوتي الحكم صبيا واوتي
بعضهم الزبر وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات
قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الاية قال بعض اهل العلم
والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون
اياته ومعجزاته ابهر واشهر او تكون امته ازكى واكثر او تكون في ذاته
افضل واطهر وفضله في ذاته راجع الى ما خصه الله به من كرامته و
اختصاصه من كلام او خلة او رؤية او ما شاء الله من الطافه وتحف ولايته
واختصاصه وقد روي ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان للنبوة
اثقالا وان يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح في نبوته او قدح
في اصطفائه وحط من رتبته ووهن في عصمته شفقة منه صلى الله تعالى
عليه وسلم على امته وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو
ان يكون انا راجعا الى القائل نفسه اي لا يظن احد وان بلغ من الزكاء و
العصمة والطهارة ما بلغ انه خير من يونس لاجل ما حكى الله عنه فان
درجة النبوة افضل واعلى وان تلك الاقدار لم تحطه عنها حبة خردلة
ولا ادنى وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا ان شاء الله تعالى
فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض فصل في اسماء

بلغ

عليه السلام وما تضمنته من فضيلته حدثنا ابو عمران موسى بن ابى
تليد الفقيه قال حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا سعد بن نصر حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا
محمد بن وضاح حدثنا يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم
عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لى خمسة اسماء انا
محمد وانا احمد وانا الماحى الذى يمحوا الله بى الكفر وانا الحاشر الذى
يحشر الناس على قدمى وانا العاقب وقد سماه الله تعالى فى كتاب محمدا او
احمد فمن خصائصه تعالى له ان ضمن اسمائه ثنائه فطوى اثناء ذكره عظيم
شكره فاما اسم احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة
من كثرة الحمد فهو صلى الله تعالى عليه وسلم اجل من احمد وافضل من حمد واكثر
الناس حمدا فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيمة
ليتم له كمال الحمد ويتشهر فى تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك
مقاما محمودا كما وعده يحمده فيه الاولون والاخرون بشفاعته لهم و
يفتح عليه فيه من المحامد كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم ما لم يعط غيره وسمى
امته فى كتب انبيائه بالحمادين فحقيق ان يسمى محمدا واحمد ثم فى هذين
الاسمين من عجائب خصائصه وبدايع اياته فن اخر وهو ان الله تعالى حمى
ان يسمى بها احد قبل زمانه اما احمد الذى اتى فى الكتب وبشرت به الانبياء
فمنع الله تعالى بحكمته ان يسمى به احد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل
لبس على ضعيف القلب او شك وكذلك محمد ايضا لم يسم به احد من العرب و
لا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم وميلاده ان نبيا يبعث

يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم
والله اعلم حيث يجعل رسالاته وهم محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسى ومحمد بن
مسلمة الانصارى ومحمد بن براء البكرى ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد
بن عمران الجعفى ومحمد بن خزاعى السلمى لا سابع لهم ويقال ان اول من
تسمى بمحمد محمد بن سفيان واليمن تقول بل محمد بن اليحمد من الازد ثم حمى
الله كل من يسمى به ان يدعى النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه سبب
يشكك احد فى امره حتى تحققت السمتان له صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينازع
فيهما واما قوله وانا الماحى الذى يمحوا الله بى الكفر ففسر فى الحديث
ويكون محو الكفر اما من مكة وبلاد العرب وما روى له من الارض ووعد
انه يبلغه ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى
ليظهره على الدين كله وقد ورد تفسيره فى الحديث انه الذى محيت به سيئات
من اتبعه وقوله وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى اى على زمانى
وعهدى اى ليس بعدى نبى كما قال وخاتم النبيين وسمى عاقبا لانه عقب
غيره من الانبياء وقيل معنى على قدمى اى يحشر الناس بمشاهدتى كما قال تعالى
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ومعنى قوله لى
خمسة اسماء قيل انها موجودة فى الكتب المتقدمة وعند اولى العلم من
الامم السالفة والله اعلم وقد روى عنه عليه السلام لى عشرة اسماء وذكر
منها طه ويس حكاه مكى وقد قيل فى بعض تفاسير طه يا طاهر يا هادى
وفى يس يا سيد حكاه السلمى عن الواسطى وجعفر بن محمد وذكر غيره لى عشرة

اسماء فذكر الخمسة التي في الحديث الاول قال وانا رسول الرحمة ورسول
الراحة ورسول الملاحم وانا المقفى قفيت النبيين وانا قيم والقيم الجامع
الكامل كذا وجدته ولم اروه وارى ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربي
وهو اشبه بالتفسير وقد وقع ايضا في كتب الانبياء قال داود عليه السلام
اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه
وروى النقاش عنه عليه السلام لي في القران سبعة اسماء محمد واحمد
ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله وفي حديث عن جبير بن مطعم
هي ست محمد واحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماح وفي حديث موسى
الاشعري انه كان صلى الله تعالى عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسماء فيقول انا محمد
واحمد والمقفى والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة ويروى المرحمة والرحمة و
الراحة وكل صحيح ان شاء الله تعالى ومعنى المقفى معنى العاقب واما نبي الرحمة
والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم
وبالمؤمنين رؤف رحيم وقد قال في صفة امته انها امة مرحومة وقد
قال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه
صلى الله تعالى عليه وسلم ربه رحمة لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما و
مستغفرا لهم وجعل امته امة مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها عليه السلام
بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله يحب من عباده الرحماء وقال الراحمون
يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء واما رواية نبي الملحمة فاشارة

فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله تعالى عليه وسلم وهي
صحيحة وروى حذيفة مثل حديث ابي موسى وفيه نبي الرحمة ونبي التوبة
ونبي الملاحم وروى الحربي في حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اتاني
ملك فقال لي انت قثم اي مجمع قال والقثوم الجامع للخير وهذا اسم هو في
اهل بيته صلى الله تعالى عليه وسلم معلوم وقد جاءت من القابه عليه السلام
وسماته في القران عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير
والمنذر والنذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين
وخاتم النبيين والرؤف الرحيم والامين وقدم الصدق ورحمة للعالمين
ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم
والنبي الامي وداعي الله في اوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها في
كتب المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث رسوله واطلاق الامة جملة شافية
كتسميته بالمصطفى والمجتبى وابي القاسم والحبيب ورسول رب العالمين
والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن والصادق والمصدوق والهادي وسيد ولد ادم وسيد المرسلين وامام المتقين
وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن وصاحب الحوض المورود
والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة
الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللواء والقضيب وراكب البراق
والناقة والنجيب وصاحب الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان
وصاحب الهراوة والنعلين ومن اسمائه في الكتب المتوكل والمختار ومقيم

السنة والمقدس وروح الحق وهو معنى البارقليط في الانجيل وقال ثعلب
البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل ومن اسمائه في الكتب السالفة
ماذ ماذ ومعناه طيب طيب وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الاحبار
قال ثعلب فالخاتم الذي ختم الانبياء والحاتم احسن الانبياء خلقا و
خلقا ويسمى بالسريانية مشفح والمنحمنا واسمه ايضا في التوراة احيد روي
ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب اي السيف وقع ذلك مفسرا
في الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك وقد يحمل على
انه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو
الان عند الخلفاء واما الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة العصا
واراها والله اعلم العصا المذكورة في حديث الحوض اذود الناس عنه
بعصاي لاهل اليمن واما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ الا
للعرب والعمائم تيجان العرب واوصافه والقابه وسماته في الكتب
كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع ان شاء الله تعالى وكانت كنيته المشهورة
ابا القاسم وروي عن انس رضي الله عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما ولد
له ابرهيم جاءه جبريل صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له السلام عليك يا
ابا ابرهيم فصل في تشريف الله تعالى بما سماه به من اسمائه الحسنى
ووصفه من صفات العلى قال القاضي رحمه الله ووفقه الله ما احرى
هذا الفصل بفصول الباب الاول لانخراطه في سلك مضمونها وامتزاجه
بعذب معينها لكن لم يشرح الله الصدر لهداية الى استنباطه ولا انار الفكر

الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه الا عند الخوض في الفصل الذي قبله فرأينا
ان نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم ان الله تعالى خص كثيرا من انبيائه بكرامة
خلعها عليهم من اسمائه كتسميته اسحاق واسماعيل بعليم وحليم وابرهيم بحليم
ونوحا بشكور وعيسى ويحيى ببر وموسى بكريم وقوي ويوسف بحفيظ
عليم وايوب بصابر واسماعيل بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب
العزيز من مواضع ذكرهم وفضل محمدا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بان
حلاه منها في كتابه العزيز وعلى السنة انبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها
جملة بعد اعمال الفكر واحضار الذكر اذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا
من تفرغ فيها لتاليف فصلين وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل
الله تعالى كما الهم الى ما علم منها وحققه يتم النعمة بابانة ما لم يظهره لنا الان ويفتح
غلقه فمن اسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده ويكون
ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات وسمى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في زبر داود واحمد بمعنى اكبر من حمد
واجل من حمد وقد اشار الى نحو هذا حسان بقوله ∴ وشق له من اسمه ليجله
∴ فذو العرش محمود وهذا محمد ∴ ومن اسمائه تعالى الرؤوف الرحيم وهما بمعنى متقارب
وسماه في كتابه بذلك فقال بالمؤمنين رءوف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين
ومعنى الحق الموجود والمتحقق امره وكذلك المبين اي البين امره والوهيته بان
وابان بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بذلك في كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال وقل اني

انا النذير المبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم
قيل محمد وقيل القران ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره و
هو بالمعنى الاول والمبين البين امره ورسالته او المبين عن الله ما بعثه به
كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم ومن اسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور
اى خالقه او منور الارض والسموات بالانوار ومنور قلوب المؤمنين
بالهداية وسماه نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد
وقيل القران وقال فيه وسراجا منيرا سمي بذلك لوضوح امره وبيان
نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به ومن اسمائه تعالى
الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة وسماه شهيدا
وشاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا
وهو بمعنى الاول ومن اسمائه الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل
وقيل العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي في اسمائه تعالى الاكرم كريما
بقوله انه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل وقال صلى الله تعالى
عليه وسلم انا اكرم ولد ادم ومعاني الاسم صحيحة في حقه صلى الله تعالى عليه و
سلم ومن اسمائه تعالى العظيم ومعناه الجليل الشان الذي كل شيء دونه
وقال في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم ووقع في
اول سفر من التورية عن اسمعيل وسيلد عظيما لامة عظيمة فهو عظيم و
على خلق عظيم ومن اسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر و
قيل العلي العظيم الشان وقيل المتكبر وسمي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

وسلم في كتاب داود بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك فان ناموسك وشرايعك
مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اما لاصلاحه
الامة بالهداية والتعليم او لقهره اعداءه او لعلو منزلته على البشر وعظيم
خطره ونفى عنه تعالى في القران جبرية التكبر التي لا يليق به فقال وما انت
عليهم بجبار ومن اسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته
وقيل معناه المخبر وقال الله تعالى الرحمن فاسئل به خبيرا قال القاضي
بكر بن العلاء المامور بالسؤال غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمسؤل الخبير
هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه عالم على غاية
من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن له في
اعلامهم به ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح ابواب
الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم ويفتح قلوبهم وبصائرهم بمعرفة
الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله ان تستفتحوا فقد جاءكم النصر
وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر وسمى الله نبيه محمدا صلى الله تعالى عليه
وسلم بالفاتح في حديث الاسراء الطويل من رواية الربيع بن انس عن ابي العالية
وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا
وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم والفاتح لابواب الرحمة على امته والفاتح
لبصائرهم بمعرفة الحق والايمان بالله والناصر للحق او المبتدئ بهداية الامة
او المبتدئ المقدم في الانبياء والخاتم لهم كما قال عليه السلام كنت اول الانبياء
في الخلق واخرهم في البعث ومن اسمائه تعالى في الحديث الشكور ومعناه المثيب

على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحا عليه السلام
فقال انه كان عبدا شكورا وقد وصف النبي عليه السلام نفسه بذلك
فقال افلا اكون عبدا شكورا اي معترفا بنعم ربي عارفا بقدر ذلك مثنيا
عليه مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ومن
اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه صلى
الله تعالى عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه فقال وعلمك ما لم تكن تعلم
وكان فضل الله عليك عظيما وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم
تكونوا تعلمون ومن اسمائه تعالى الاول والاخر ومعناهما السابق للاشياء قبل
وجودها والباقي بعد فنائها وتحقيقه انه ليس له اول ولا اخر وقال عليه السلام
كنت اول الانبياء في الخلق واخرهم في البعث وفسر بهذا قوله تعالى واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم
وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنه قوله صلى
الله تعالى عليه وسلم نحن الاخرون السابقون وقوله انا اول من تنشق
عنه الارض واول من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع وهو خاتم
النبيين واخر الرسل صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اسمائه تعالى القوي
وذو القوة المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله بذلك فقال
ذي قوة عند ذي العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل ومن اسمائه تعالى
الصادق في الحديث المأثور وورد في الحديث ايضا اسمه عليه السلام
بالصادق المصدوق ومن اسمائه تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر

الناصر وقد قال الله تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال صلى الله تعالى عليه
وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه ومن اسمائه تعالى العفو ومعناه الصفوح
وقد وصف الله بهذا نبيه في القران والتورية وامره بالعفو فقال
خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل وقد سأله عن
قوله خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك وقال في التورية والانجيل
في الحديث المشهور في صفته ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح و
من اسمائه تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده و
بمعنى الدلالة والدعاء قال تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدي
من يشاء الى صراط مستقيم واصل الجميع من الميل وقيل من التقديم
وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي يعني النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وقال تعالى له وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقال فيه و
داعيا الى الله باذنه فالله تعالى مختص بالمعنى الاول قال الله تعالى انك لا تهدي
من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وبمعنى الدلالة ينطلق على غيره تعالى
ومن اسمائه المؤمن المهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المؤمن في حقه
تعالى المصدق وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده
المؤمنين وقيل الموحد نفسه وقيل المؤمن عباده في الدنيا من ظلمه و
المؤمنين في الاخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر منه
فقلبت الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم في الدعاء امين انه اسم من
اسماء الله تعالى ومعناه معنى المؤمن وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ

والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم امين ومهيمن ومؤمن وقد سماه
الله امينا فقال مطاع ثم امين وكان عليه السلام يعرف بالامين
وشهرة قبل النبوة وبعدها وسماه العباس في شعره مهيمنا
في قوله رضي الله عنه: ثم احتوى بيتك المهيمن من :. خندف علياء
تحتها النطق :. قيل المراد يا ايها المهيمن قاله العتبي والامام ابو القاسم
القشيري وقال تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اي يصدق وقال انا
امنة لاصحابي امنة لامتي فهذا بمعنى المؤمن ومن اسمائه تعالى القدوس
ومعناه المنزه عن النقائص المطهر من سمات الحدث وسمي بيت المقدس
لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادي المقدس وروح القدس و
وقع في كتب الانبياء في اسمائه عليه السلام المقدس اي المطهر من
الذنوب كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
او الذي يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال تعالى
ويزكيهم وقال يخرجهم من الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى
مطهر من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية ومن اسمائه تعالى
العزيز ومعناه الممتنع الغالب او الذي لا نظير له او المعز لغيره
وقال تعالى ولله العزة ولرسوله اي الامتناع وجلالة القدر
وقد وصف الله نفسه بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم ربهم
برحمة منه ورضوان وقال ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه
تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته

لاهل معصيته ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس
وقد ذكر بعضهم ايضا انهما من اسماء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وشرف وكرم فصل قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وها هنا
اذكر نكتة اذيل بها هذا الفصل واختم بها هذا القسم وازيح
الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه
من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان تعتقد
ان الله تعالى في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعلى
صفاته لا يشبهه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به وان ما جاء مما
اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى
الحقيقي اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق كما ان ذاته لا
تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم
لا ينفك عن الاغراض والاعراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل
بصفاته واسمائه وكفى في هذا قوله ليس كمثله شيء ودر من قال من
العلماء العارفين المحققين التوحيد اثبات ذات غير مشبهة
للذات ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي
رحمه الله بيانا وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم
ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ
وجلت الذات القديمة ان تكون لها صفة حديثة كما استحال ان تكون
للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة

رضي الله عنهم وقد فسر الامام ابو القاسم القشيري قوله هذا ليزيده
بيانا فقال هذه الحكاية يشتمل على جوامع مسائل التوحيد وكيف
تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية وكيف
يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب انس او دفع نقص حصل ولا بخو
اطر واغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج
عن هذه الوجوه وقال اخر من مشايخنا ما توهمتموه باوهامكم او ادركتموه
بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الامام ابو المعالي الجويني من اطمأن
الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن اطمأن الى النفي المحض فهو
معطل وان قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد
وما احسن قول ذي النون المصري حقيقة التوحيد ان يعلم ان قدرة
الله تعالى في الاشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه
ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك فالله بخلافه وهذا كلام
عجيب نفيس محقق والفصل الاخر تفسير لقوله تعالى ليس كمثله شيء والثاني
تفسير لقوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون والثالث تفسير لقوله انما قولنا
لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ثبتنا الله واياك على التوحيد و
التنزيه وجنبنا طرفي الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه و
رحمته الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به بلغ
من الخصائص والكرامات قال القاضي ابو الفضل حسب المتأمل ان
يحقق ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولا

ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج الى نصب البراهين عليها وتحصين
حوزتها حتى لا يتوصل الطاعن اليها ونذكر شروط المعجز والتحدي
وحده وفساد قول من ابطل نسخ الشرائع ورده بل الفناه لاهل ملته
الملبين لدعوته المصدقين لنبوته ليكون تاكيدا في محبتهم له ومنماة لاعمالهم
وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ونيتنا ان نثبت في هذا الباب امهات
معجزاته ومشاهير اياته لتدل على عظيم قدره عند ربه واتينا منها بالمحقق
والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع او كاد واضفنا اليها بعض
ما وقع في مشاهير كتب الائمة واذا تامل المتامل المنصف ما قدمناه من
جميل اثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع
خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق
دعوته وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به روينا عن الترمذي
وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة جئته لانظر اليه فلما استبنت
وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا به القاضي الشهيد
ابو علي رحمه الله حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل ابن خيرون
عن ابي يعلى البغدادي عن ابي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي حدثنا
محمد ابن البشار حدثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي
ويحيى بن سعيد عن عوف ابن ابي جميلة الاعرابي عن زرارة بن اوفى
عن عبد الله بن سلام الحديث وعن ابي رمثة التيمي قال اتيت النبي صلى

الله تعالى عليه وسلم وسعى الي فرايته فلما رايته قلت هذا نبي الله صلى
الله تعالى عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهدى الله فلا
مضل له ومن يضلل فلا هادى له واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله وقال اعد على كلماتك هؤلاء
فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال جامع بن شداد كان
رجل منا يقال له طارق فاخبرانه راى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بالمدينة فقال اهل معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا
وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندرى
من هو ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة لثمن البعير رايت وجه رجل مثل القمر
ليلة البدر لا يخيس بكم فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا رسول رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكالوا
حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندى ملك عمان لما بلغه ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال الجلندى والله لقد دلني
على هذا النبي الامي انه لا يامر بخير الا كان اول آخذ به ولا ينهى عن شيء الا
كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد
وينجز الموعود واشهد انه نبي. وقال نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله تعالى عليه و
سلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرانا كما قال ابن رواحه
:. لو لم تكن فيه آيات مبينة :. لكان منظره ينبئك بالخبر :. وقد ان

ناخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في
معجزات القران وما فيه من برهان ودلالة فصل اعلم ان
الله جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته
واسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء دون واسطة لو شاء
كما حكى عن سنته في بعض الانبياء وذكر بعض اهل التفسير في قوله
وما كان لبشر ان يكلمه الا وحيا وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة
تبلغهم كلامه ويكون تلك الواسطة اما من غير البشر كالملئكة
مع الانبياء عليهم السلام او من جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع
لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل
بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب لرسل بما دل على صدقهم من
معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجز مع التحدي من
النبي قائم مقام قول الله صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه وشاهد
على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض
فمن اراد تتبعه وجده مستوفى في مصنفات ائمتنا رحمهم الله والنبوة
في لغة من همز ماخوذ من النبأ وهو الخبر وقد لا تهمز على هذا التاويل
تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون
نبي منبأ فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبئا بما اطلعه
الله عليه فعيل بمعنى فاعل او يكون عند من لم يهمز من النبوة وهو ما ارتفع
من الارض معناه ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان

في حقه مؤتلفان واما الرسول فهو المرسل ولم يأت فعول بمعنى مفعل في
اللغة الا نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه
في اللغة من التتابع ومنه قولهم جاء الناس ارسالا اذا اتبع بعضهم بعضا فكأنه
أُلزم تكرير التبليغ او الزمت الامة اتباعه واختلف العلماء في النبي
والرسول بمعنى واحد او بمعنيين فقيل هما سواء واصله من الانباء
وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعا وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي فقد اثبت لهما معا الارسال قال ولا يكون النبي الا رسولا
ولا الرسول الا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة
التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرفعة بمعرفة
ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة التي للرسول وهو
الامر بالانذار والاعلام كما قلنا وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين
الاسمين ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا
والمعنى وما ارسلنا من نبي الى امة او نبي ليس بمرسل الى احد وقد ذهب
بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدء ومن لم يأت به نبي غير رسول
وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح والذي عليه الجماء الغفير ان كل
رسول نبي وليس كل نبي رسولا واول الرسل آدم واخرهم محمد صلى
الله تعا عليهما وسلم وفي حديث ابي ذر رضه ان الانبياء مائة الف و
اربعة وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل منهم ثلاث مائة وثلثة عشر
اولهم آدم بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا للنبي

للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل
واما الوحي فاصله الاسراع فلما كان النبي صلى الله تعا عليه وسلم يتلقى ما
يأتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت انواع الالهامات وحيا تشبيها بالوحي
الى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه ووحي الحاجب واللحظ سرعة
اشارتهما ومنه قوله تعا فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اومأ ورمز
وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا اي السرعة وقيل اصل الوحي السر والاخفاء
ومنه سمي الالهام وحيا ومنه قوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اي
يوسوسون في صدورهم ومنه قوله واوحينا الى ام موسى اي القى في قلبها
وقد قيل ذلك في قوله تعا وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه في
قلبه دون واسطة فصل اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء معجزة
ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر
فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه هو فعل الله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت
وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القران على رأي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن
قدرتهم فلم تقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج
ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من بين الاصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن
ان يفعله احد الا الله فيكون ذلك على يد النبي صلى الله تعا عليه وسلم من
فعل الله تعا وتحديه من يكذبه ان يأتي بمثله تعجيز له واعلم ان المعجزات التي
ظهرت على يد نبينا صلى الله تعا عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه
من هذين النوعين معا وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم اية واظهرهم برهانا

كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القران
لا يحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
قد تحدى بسورة منه فعجز عنها قال اهل العلم واقصر السورة انا اعطيناك
الكوثر فكل اية او ايات منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات
على ما سنفصله فيما انطوى عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم
قسم منها علم قطعا ونقل الينا متواترا كالقران فلا مرية ولا خلاف بمجيء النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وان انكر هذا معاند
جاحد فهو كانكاره وجود محمد صلى الله تعالى عليه وسلم في الدنيا وانما جاء
اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم
ضرورة ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال بعض
ائمتنا ويجري هذا المجرى على الجملة انه قد جرى على يديه عليه السلام ايات
وخوارق عادات ان لم يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها
فلا مرية في جريان معانيها على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر
انه جرت على يديه عجائب وانما خلاف المعاند في كونها من قبل الله
وقد قدمنا كونها من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم
وقوع مثل هذا ايضا من نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ضرورة لاتفاق
معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة وحلم احنف لاتفاق
الاخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا او شجاعة هذا وحلم هذا
وان كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته والقسم الثاني

والقسم الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين
نوع مشتهر منتشر رواه العدد وشاع الخبر عند المحدثين والرواة
ونقلة السير والاخبار كنبع الماء من بين الاصابع وتكثير الطعام
ونوع منه اختص به الواحد او الاثنان ورواه العدد اليسير ولم
يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الاتيان
بالمعجز كما قدمنا قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وانا اقول صدعا
بالحق ان كثيرا من هذه الايات المأثورة عنه عليه السلام معلومة بالقطع
اما انشقاق القمر فالقران نص بوقوعه واخبر عن وجوده ولا يعدل
عن ظاهر الا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار من طرق كثيرة فلا
يوهن عزمنا خلاف اخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت الى سخافة مبتدع
يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين بل نرغم بهذا انفه وننبذ بالعراء
سخفه وكذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد
الكثير عن الجماء الغفير عن العدد الكثير من الصحابة ومنها ما رواه
الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث بها من جملة الصحابة واخبارهم ان ذلك
كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة
الحديبية وفي غزوة تبوك وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر
ولم يؤثر عن احد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه ولا انكار لما ذكر
عنهم انهم رواه كما راه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق اذ هم المنزهون
عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس هناك رغبة ولا

رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه
كما انكر بعضهم عن بعض اشياء رووها من السنن والسير وحروف القران
وخطاء بعضهم بعضا ووهم في ذلك مما هو معلوم وهذا النوع كله يلحق
بالقطعي من معجزاته لما بيناه وايضا فان امثال الاخبار التي لا اصل لها
وبنيت على الباطل لا بد مع مرور الازمان وتداول الناس واهل البحث
من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة
والاراجيف الطارية واعلام نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم هذه الواردة
من طريق الاحاد لا تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا او مع تداول الفرق
وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف اصلها واجتهاد
الملحد على اطفاء نورها الا قوة وقبولا وللطاعن عليها الا حسرة وغليلا وكذلك
اخباره عن الغيوب وانباؤه بما يكون وكان معلوما من اياته على الجملة
بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه وقال به من ائمتنا القاضي والاستاذ
ابو بكر وغيرهما رحمهما الله وما عندي اوجب قول القائل ان هذه
القصص المشهورة من باب خبر الواحد الا قلة مطالعته للاخبار
وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف والا فمن اعتنى بطرق النقل
وطالع الاحاديث والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على
الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا
يحصل عند اخر فان اكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة و
انها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة واحاد من الناس لا يعلمون

لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من اصحاب
مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القران
في الصلوة للمنفرد والامام واجزاء النية في اول ليلة من رمضان
عما سواه وان الشافعي يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار في
المسح على بعض الرأس وان مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد و
غيره وايجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح وان ابا
حنيفة رحمه الله تعالى يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل
بمذاهبهم ولا روى اقوالهم لا يعلم هذا من مذاهبهم فضلا عمن سواه
وعند ذكرنا احاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا ان شاء الله تعالى
فصل في اعجاز القران العظيم اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب الله
العزيز منطو على وجوه الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط انواعها
في اربعة وجوه اولها حسن تاليفه والتيام كلمه وفصاحته
ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك انهم كانوا
ارباب هذا الشان وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة و
الحكم ما لم يخص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان ما لم
يؤت انسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله لهم ذلك
طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة ياتون منه على البديهة بالعجب
ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد الخطب
ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون

ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال
ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآل فيخدعون الألباب ويذللون
الصعاب ويذهبون الإحن ويهيجون الدمن ويجرؤون الجبان ويبسطون
يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا
منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم و
الطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة
والألفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف
في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا
البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح
الفالج الناهج لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك
قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من
أبوابها وعلوا صرحا لبلوغ أسبابها فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا
في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا في النظم والنثر
فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه تنزيل من حكيم حميد أحكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته
العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر إيجازه وتظاهرت
حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل
البيان جوامعه وبدائعه واعتدل مع إيجازه وحسن نظمه وانطبق
على كثرة فوائده مختار لفظه وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالا

مجالا وأشهر في الخطابة رجالا وأكثر في السجع والشعر سجالا وأوسع
في الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي
عنها يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين
عاما على رؤوس الملأ أجمعين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة
مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين وإن
كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله إلى قوله ولن
تفعلوا وقل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن
الآية وقل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وذلك أن المفترى أسهل
ووضع الباطل والمختلق على الاختيار أقرب واللفظ إذا تبع المعنى الصحيح كان
أصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد وللأول
على الثاني فضل وبينهما شأو بعيد فلم يزل يقرعهم صلى الله تعالى عليه وسلم
أشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم ويشتت
نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم وهم في
كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته مخادعون أنفسهم بالتشغيب
والتكذيب والاغترار بالافتراء وقولهم إن هذا إلا سحر يؤثر وسحر مستمر
وإفك افتراه وأساطير الأولين والمباهتة والرضا بالدنية كقولهم
قلوبنا غلف وفي أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعاء مع
العجز لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا

ومن تعاطا ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عوارة لجميعهم وسلبهم الله ما
العفوه من فصيح كلامهم والا فلم يخف على اهل الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم
ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين واتوا مذعنين من بين مهتد و
بين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان الاية قال والله ان له لحلاوة وان
عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر وذكر
ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرء فاصدع بما تؤمر الاية فسجد وقال
سجدت لفصاحته وسمع اخر رجلا يقرء فلما استيئسوا منه خلصوا
نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكى ان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه كان يوما نام في المسجد فاذا هو بقائم على رأسه
يتشهد شهادة الحق فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن
كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين يقرء اية من
كتابكم فتاملتها فاذا هي قد جمع فيها ما انزل على عيسى بن مريم من احوال الدنيا
والاخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه
الاية وحكى الاصمعي انه سمع كلام جارية فقال لها كلام جارية فقال لها قاتلك
الله ما افصحك فقالت اويعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى واوحينا
الى ام موسى ان ارضعيه الاية فجمع في اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين
وبشارتين فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على
التحقيق والصحيح من القولين وكون القران من قبل النبي صلى الله تعالى

تعالى عليه وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه عليه السلام متحديا به معلوم
ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا
للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من
ليس من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف
المقرين باعجاز بلاغته وانت اذا تاملت قوله تعالى ولكم في القصاص حياة
وقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقوله ادفع
بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وقوله و
قيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي الاية وقوله فكلا اخذنا بذنبه
فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الاية واشباهها من الاي بل اكثر القران
حققت ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها و
حسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة
وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها
وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال
واخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام
ويذهب ماء البيان اية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض والتيام
سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف عليه السلام على طولها ثم اذا
ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة
تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا تنفر
النفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها فصل الوجه الثاني من اعجازه

صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب
ومناهج نظمها ونثرها الذى جاء عليه ووقفت مقاطع اية وانتهت
فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة شئ
منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله
فى جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله
تعا عليه وسلم الوليد بن مغيرة وقرء عليه القران رق فجاءه ابو جهل
منكرا عليه قال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار منى والله ما يشبه الذى
يقول شيئا من هذا وفى خبره الاخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم و
قال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رايا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا
نقول كاهن قال ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا بسجعه قالوا مجنون
قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسه قالوا فنقول شاعر قال ما هو
بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه
ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده
قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل
وان اقرب القول انه ساحر فانه سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء واخيه
والمرء وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبيل يحذرون
الناس فانزل الله تعا فى الوليد ذرنى ومن خلقت وحيدا الايات وقال
عتبة بن ربيعة حين سمع القران يا قوم قد علمتم انى لم اترك شيئا الا
وقد علمته وقراته وقلته والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثله

مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحارث
ونحوه وفى حديث اسلام ابى ذر ووصف اخاه انيسا فقال والله
ما سمعت باشعر من اخى انيس لقد ناقض اثنى عشر شاعرا فى الجاهلية
انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى ابى ذر رضى الله عنه بخبر
النبى صلى الله تعا عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون
شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد
وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدى انه
شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون والاخبار فى هذا صحيحة كثيرة
والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها والاسلوب
الغريب بذاته كل واحد منها نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على
الاتيان بواحد منها اذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها
والى هذا ذهب غير واحد من ائمة المحققين وذهب بعض المقتدى
بهم الى ان الاعجاز فى مجموع البلاغة والاسلوب واتى على ذلك بقول
تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة
وقطعا ومن تفنن فى علوم البلاغة وارهف خاطره ولسانه ادب
هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف ائمة اهل السنة فى وجه
عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه مما جمع فى قوة جزالته ونصاعة الفاظه
وحسن نظمه وايجازه وبديع تاليفه واسلوبه لا يصح ان يكون فى
مقدور البشر وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق عليها

كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصا وذهب الشيخ ابو الحسن القابسى
الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه
لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من
اصحابه **وعلى الطريقين** فعجز العرب ثابت واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون
فى مقدور البشر وتحديهم بان ياتوا بمثله قاطع وهو ابلغ فى التعجيز واحرى
بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو
ابهر اية واقمع دلالة وعلى كل حال فما اتوا فى ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء
والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ الانف و
اباءة الضيم بحيث لا يوثرون اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا والا
فالمعارضة لو كانت من قدرهم واشتغلوا بها اهون عليهم واسرع بالنجح
وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم من لهم قدرة على الكلام وقدوة
فى المعرفة به لجميع الانام وما منهم الا من جهد جهده واستنفد ما عنده فى
اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما جلوا فى ذلك خبيئة من بنات شفاههم
ولا اتوا بنطفة من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر
الوالد وما ولد بل ابلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان
من اعجازه **فصل الوجه الثالث من الاعجاز** ما انطوى عليه من الاخبار
من المغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذى اخبر
كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وقوله وهم من بعد
غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره على الدين كله وقوله وعد الله الذين

الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الاية وقوله اذا جاء نصر الله
الى اخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس فى بضع سنين ودخل
الناس فى الاسلام افواجا فما مات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبلاد
العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف المؤمنين فى الارض
ومكن فيها دينهم وملكهم اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب
كما قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم زويت لى الارض واريت مشارقها
ومغاربها وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها **وقوله** انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى فى تغييره و
تبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فاجمعوا كيدهم و
حولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمس مائة عام فما قدروا على اطفاء شيء من نوره
ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين فى حرف من حروفه والحمد
لله **ومنه** قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله قاتلوهم يعذبهم
الله بايديكم الاية وقوله هو الذى ارسل رسوله بالهدى الاية و
قوله لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم الاية فكان كل ذلك وما فيه
من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم فى حلفهم وتقريعهم
بذلك كقوله ويقولون فى انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله
يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك وقوله ومن الذين هادوا سماعون
للكذب الاية وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الى
قوله فى الدين **وقد** قال مبتدئا ما قدره الله واعتقده المؤمنون

يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم و يودون ان غير
ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله انا كفيناك المستهزئين ولما نزلت
بشر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك اصحابه بان الله كفاه اياهم
وكان المستهزؤن نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا
وقوله والله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة من رام ضره
وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة صحيحة فصل الوجه الرابع
ما انباء به من اخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرايع
الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار
اهل الكتاب الذى قطع عمره فى تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف العالم
بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه صلى
الله تعالى عليه وسلم امى لا يقرء ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة
ولا مثافنة لم يغب عنهم ولا جهل حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب
كثيرا ما يسئلونه صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذا فينزل عليه
من القران ما يتلوا عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء مع قومهم وخبر
موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذى القرنين و
لقمان وابنه واشباه ذلك من الانبياء وبدء الخلق وما فى التورية
والانجيل والزبور وصحف ابرهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء
بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق

فمن موفق امن بما سبق له من خير ومن شقى معاند حاسد ومع هذا فلم يحك
عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه
وطول احتجاجه عليهم بما فى كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم
وكثرة سؤالهم له عليه السلام وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار
علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه لهم بمكتوم شرايعهم ومضمنات
كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذى القرنين واصحاب الكهف وعيسى وحكم
الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت
احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله ذلك مثلهم فى التورية ومثلهم فى
الانجيل وغير ذلك من امورهم التى نزل فيها القران فاجابهم وعرفهم
بما اوحى اليه من ذلك انه انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته
وصدق مقالته واعترف بعناده وحسدهم اياه كاهل نجران وابن صوريا
وابنى اخطب وغيرهم ومن باهت فى ذلك بعض المباهتة وادعى ان فيما
عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة دعى الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل
له قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون فقرع
ووبخ ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح على
فضيحته من كتابه بيده ولم يؤثر ان واحدا منهم اظهر خلاف قوله من كتبه و
لا ابدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم
رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير الايتين
فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن

الوجوه البينة فى اعجازه من غير هذه الوجوه آى وردت بتعجيز قوم فى
قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود
قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة الاية قال ابو اسحاق الزجاج
فى هذه الاية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا
الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم قال والذى نفسى بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعنى
يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله صلى الله
تعالى عليه وسلم وصحة ما اوحى اليه اذلم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص
لو قدروا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته
قال ابو محمد الاصيلى من اعجب امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا من واحد من
يوم امر الله بذلك نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا
موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك اية المباهلة من هذا المعنى
حيث وفد عليه اساقفة نجران وابوا الاسلام فانزل الله عليه اية المباهلة
بقوله فمن حاجك فيه الاية فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية وذلك ان
العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبى والله وانه ما لاعن قوما نبى قط فبقى
كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا الى
قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون فكان كما قال و
هذه الاية ادخل فى باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما فى التى
قبلها فصل ومنها الروعة التى تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه

سماعه والهيبة التى تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره و
هى على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم
نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال
عليه السلام ان القران صعب مستصعب على من كرهه وهو
الحكم واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع تلاوته
توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به
قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلود
هم وقلوبهم الى ذكر الله وقال لو انزلنا هذا القران على جبل الاية
ويدل على ان هذا شىء خص به انه يعترى من لا يفهم معانيه ولا يعلم
تفاسيره كما روى عن نصرانى انه مر بقارئ فوقف يبكى فقيل له مما بكيت
فقال للشجا والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام
وبعده فمنهم من اسلم لها لاول وهلة وامن به ومنهم من كفر فحكى
فى الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقرء
فى المغرب بالطور فلما بلغ هذه الاية ام خلقوا من غير شىء ام هم الخالقون
الى قوله المسيطرون كاد قلبى ان يطير وفى رواية وذلك اول ما
وقر الايمان فى قلبى وعن عتبة بن ربيعة انه كلم النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليهم حم فصلت الى
قوله صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة بيده على فى النبى صلى الله
عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف وفى رواية فجعل النبى صلى الله

تعالى عليه وسلم يقرؤه وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى
انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقام عتبة لا يدري
بما يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر اليهم وقال
والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت اذناي بمثله قط والله فما دريت
ما اقول له وقد حكى عن غير واحد ممن رام معارضته انه اعترته روعة و
هيبة كف بها عن ذلك فحكى ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه
فمر بصبي يقرء وقيل يا ارض ابلعي ماءك فرجع ومحا ما عمل وقال اشهد ان
هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان من افصح اهل وقته وكان
يحيى بن حكم الغزال بليغ الاندلس في زمنه فحكى انه رام شيئا من هذا
فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج ابن عمه على منوالها قال
فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة والاستغفار والانابة فصل
ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه اية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا
مع تكفل الله بحفظه انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسائر معجزات الانبياء انقضت بانقضاء
اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقران العزيز الباهرة اياته الظاهرة معجزاته
له على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام وخمس وثلثين سنة لاول نزوله
الى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة والاعصار كلها طافحة
باهل البيان وحملة علم اللسان وائمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة
والملحدة فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد فما منهم من اتى بشيء يؤثر في معارضته

معارضته ولا الف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح
المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك
القاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه فصل وقد عد جماعة من
الائمة ومقلدي الامة في اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله
وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيد حلاوة وترديده يوجب
له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة
مبلغه يمل مع الترديد ويعادي اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات
ويؤنس بتلاوته في الازمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث
اصحابها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قرائتها ولهذا
وصف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم القران بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا
تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء
ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة هو الذي لم ينته الجن حين
سمعته ان قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد ومنها جمعه لعلوم
ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قبل
نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها احد من علماء الامم ولا
يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على
طرق الحجج العقليات على الرد على فرق الامم ببراهين قوية وادلة بينة
سهلة الالفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد ان ينصبوا
ادلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله اوليس الذي خلق السموات و

الارض بقادر ان يخلق مثلهم وقل يحييها الذى انشاءها اول مرة ولو
كان فيهما الهة الا الله لفسدتا الى ما حواه من علوم السنين وانباء الامم
والمواعظ والحكم واخبار الدار الاخرة ومحاسن الاداب والشيم قال الله
تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شئ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل
شئ ولقد ضربنا للناس فى هذا القران من كل مثل وقال صلى الله
تعالى عليه وسلم ان الله انزل هذا القران آمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا
مضروبا فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول
ولا تنقضى عجايبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل
ومن خاصم به فلج ومن قسم به اقسط ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدى
الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره اضله الله ومن حكم بغيره
قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله
المتين والشفاء النافع وعصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه لا يعوج فيقوم
ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضى عجايبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن
مسعود وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان فيه نبأ الاولين والاخرين
وفى الحديث قال الله تعالى لمحمد عليه السلام انى منزل عليك توراة حديثة
تفتح بها اعينا واذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع
القلوب وعن كعب عليكم بالقران فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال تعالى
ان هذا القران يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون وقال تعالى
هذا بيان للناس وهدى الاية فجمع فيه مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه اضعاف

اضعاف ما فى الكتب قبله التى الفاظها على الضعوف منه مرات ومنها
جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج بنظم القران وحسن
وصفه وايجازه وبلاغته واثناء هذه البلاغة امره ونهيه ووعده
ووعيده فالتالى له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد
وسورة منفردة ومنها ان جعله فى حيز المنظوم الذى لم يعهد
ولم يكن فى حيز المنثور لان المنظوم اسهل على النفوس واوعى
للقلوب واسمع فى الاذان واحلى على الافهام فالناس اليه اميل والاهواء
اليه اسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلمه وتقريبه على متحفظيه قال
الله تعالى ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مذكر وساير الامم لا يحفظ
كتبها الواحد منهم فكيف الجماء على مرور السنين عليهم والقران ميسر
حفظه للغلمان فى اقرب مدة ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضا
وحسن ايتلاف انواعها والتيام اقسامها وحسن التخلص من
قصة الى اخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه واقسام
السورة الواحدة على امر ونهى وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة
وتوحيد وتقرير وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوائده دون خلل
يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته و
لانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت الفاظه فتامل اول ص وما جمع
فيها من اخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم
وما ذكر من تكذيبهم لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وتعجبهم مما اتى به والخبر

عن اجماع ملائهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم
ووعيدهم بخزي الدنيا والاخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم و
وعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على اذاهم
وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود عليه السلام وقصص
الانبياء عليهم السلام كل هذا في اوجز كلام واحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة
التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر في
اعجاز القران الى وجوه كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها اكثرها داخل في
باب بلاغته فلا يجب ان يعد فنا منفردا في اعجازه الا في باب تفصيل
فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه و
فضائله لا في اعجازه وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة التي ذكرنا فليعتمد
عليها وما بعدها من خواص القران وعجائبه التي لا تنقضي وبالله التوفيق
فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس قال الله تعا اقتربت الساعة وانشق
القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اخبر تعا بوقوع انشقاقه
بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن اياته واجمع المفسرون واهل السنة
على وقوعه اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه حدثنا سراج بن عبد الله
حدثنا الاصيلي حدثنا المروزي حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا مسدد
حدثنا عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابرهيم عن ابي معمر عن ابن مسعود
رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم
فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله تعا عليه

تعا عليه وسلم اشهدوا وفي رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله تعا
عليه وسلم وفي بعض طرق الاعمش بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود
رضي الله عنه الاسود وقال حتى رايت الجبل بين فرجتي القمر ورواه
عنه مسروق انه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي
كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره
ان يسحر الارض كلها فاسئلوا من ياتيكم من بلد اخر هل راوا هذا فاتوا
فاسئلوا فاخبروهم انهم راوا مثل ذلك وحكى السمرقندي عن
الضحاك نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى الافاق حتى
تنظروا اراوا ذلك ام لا فاخبر اهل الافاق انهم راوه منشقا فقالوا
يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء
اربعة عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود
منهم انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم
فقال علي من رواية ابي حذيفة الارحبي انشق القمر ونحن مع النبي
صلى الله تعا عليه وسلم وعن انس سأل اهل مكة النبي صلى الله
تعا عليه وسلم ان يريهم آية فاراهم انشقاق القمر مرتين حتى راوا حراء
بينهما رواه عن انس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه
اراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر
ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن
ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن ابي

عمران الازدي واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة والاية مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بانه لو كان هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على اخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابليهم من اقطار الارض او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها جزئية وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم وآية القمر كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدو والسكون وايجاف الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئا الا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجايب يشاهدونها من انوار ونجوم طوالع عظام تظهر في الاحيان بالليل في السماء ولا علم عند احد منها وخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين ان النبي صلى الله تعا عليه وسلم كان يوحى اليه ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم اصليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم اللهم انه كان في

في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والارض وذلك بالصهباء في خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن يكون سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء لانه من علامات النبوة وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي روايته عن ابن اسحاق لما اسري برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجيء فدعا رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس

فصل في نبع الماء من بين اصابعه وتكثيره ببركته

قال المؤلف رحمه الله اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا روى حديث نبع الماء من اصابعه صلى الله تعا عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم انس و جابر وابن مسعود رضي الله تعا عنهم اجمعين حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه حدثنا القاضي عيسى بن سهل حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو عمر بن الفخار حدثنا ابو عيسى حدثنا يحيى حدثنا مالك عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك قال رايت رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم وحانت صلوة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم

في ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضؤا منه قال فرايت الماء ينبع من
بين اصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند اخرهم ورواه ايضا
عن انس قتادة وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر قال
كم كنتم قال كنا زهاء ثلثمائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق
ورواه ايضا حميد وثابت والحسن عن انس وفي رواية حميد قلت
كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه وعنه ايضا وهم نحو من
سبعين رجلا واما ابن مسعود ففي الصحيح عنه من رواية علقمة بينا
نحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فاتي بماء فصبه
في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر عطش الناس
يوم الحديبية ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين يديه ركوة
فتوضأ منها واقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك
فوضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من
بين اصابعه كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة
الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروي مثله عن انس عن جابر وفيه انه
كان في الحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في
حديث مسلم الطويل في غزوة بواط قال قال لي رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة

قطرة في عزلاء شجب فاتي به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فغمزه وتكلم بشيء لا
ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر ان
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر
عليه وقال بسم الله كما امر قال فرايت الماء يفور من بين اصابعه ثم
فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت وامر الناس بالاستقاء فاستقوا
حتى رووا فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم يده من الجفنة وهي ملأى وعن الشعبي قال اتي النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم في بعض اسفاره باداوة ماء وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها
فسكبها في ركوة ووضع اصبعه وسطها وغمسها في الماء وجعل الناس يجيئون
ويتوضؤن ثم يقومون قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن الحصين ومثل
هذا في هذه المواطن الحفيلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به
لانهم كانوا اسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولانهم
كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور
الجماء الغفير له ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه
فصار كتصديق جميعهم له فصل ومما يشبه هذا من معجزاته تفجير الماء ببركته
وانبعاثه بمسه ودعوته فيما روى مالك في الموطا عن معاذ بن جبل في قصة
غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا
من العين بايديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فيه وجهه ويديه واعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث ابن

اسحاق فاغترف من الماء ماء له حسن كحسن الصواعق ثم قال يوشك بك يا معاذ
ان طالت بك حياة ان ترى ما هاهنا قد ملئ جنانا وفي حديث البراء و
سلمة بن الاكوع وحديثه اتم في قصة الحديبية وهم اربع عشرة ماءة وبئرها
لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم على جباها قال البراء واتي بدلو منها فبصق فدعا وقال
سلمة فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فارووا انفسهم وركابهم وفي
غير هذه الروايتين في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية
فاخرج سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروى الناس حتى
ضربوا بعطن وابي قتادة وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم العطش في بعض اسفاره فدعا بالميضاء فجعلها في ضبنه
ثم التقم فمها فالله اعلم نفث فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا وملؤا
كل اناء معهم فخيل الي انها كما اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين
رجلا وروى عمران بن حصين وذكر الطبري حديث ابي قتادة
على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خرج
بهم ممدا لاهل مؤتة عندما بلغه قتل الامراء وذكر حديثا طويلا فيه
معجزات وايات للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم يفقدون
الماء في غد وذكر الميضاءة قال والقوم زهاء ثلاث ماءة وفي
كتاب مسلم انه قال لابي قتادة احفظ على ميضاءتك فانه سيكون
لها نبأ وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين اصاب النبي صلى

صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه عطش في بعض اسفارهم فوجه رجلين من
اصحابه واعلمهما انهما يجدان امرأة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان
الحديث فوجداها واتيا بها الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل في اناء
من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله تعالى ان يقول ثم اعاد الماء في المزادتين
ثم فتحت عزاليهما وامر الناس فملؤا اسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا الا
ملؤه قال عمران ويخيل الي انهما لم يزدادا الا امتلاء ثم امر فجمع للمراة من
الازواد حتى ملأ ثوبها وقال اذهبي فانا لم نأخذ من مائك شيئا ولكن
الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن الاكوع قال قال نبي الله صلى الله
تعالى عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة من ماء فافرغها
في قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقة اربع عشرة ماءة وفي حديث عمر
جيش العسرة وذكر ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر
فرثه فيشربه فرغب ابو بكر الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه
فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملؤا ما معهم من آنية ولم يجاوز العسكر
وعن عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو رديفه
بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وضرب
بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب والحديث في هذا الباب كثير ومنه
الاجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه فصل من معجزاته صلى الله عليه وسلم
تكثير الطعام ببركته ودعائه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي حدثنا العذري
حدثنا الرازي حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج عن سلمة بن

شبيب حدثنا الحسن اعين حدثنا معقل عن ابي الزبير عن جابر ان رجلا اتى
النبي صلى الله تعا عليه وسلم يستطعم فاطعمه شطر وسق شعير فما زال
ياكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله فاتى النبي صلى الله تعا عليه وسلم
فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث ابي
طلحة المشهور واطعامه صلى الله تعا عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلا
من اقراص من شعير جاء بها انس تحت يده اي ابطه فامر بها ففتت و
قال فيها ما شاء الله ان يقول وحديث جابر في اطعامه صلى الله
تعا عليه وسلم يوم الخندق الف رجل من صاع شعير وعناق وقال
فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي و
ان عجيننا ليخبز وكان رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم بصق في العجين
والبرمة وبارك رواه عن جابر سعيد بن ميناء وايمن وعن ثابت مثله عن
رجل من الانصار وامرأته ولم يسمهما قال وجيء بمثل الكف فجعل رسول
الله صلى الله تعا عليه وسلم يبسطها في الاناء ثم يقول ما شاء فاكل من في
البيت والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلاء ممن قدم معه عليه السلام
لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل ما كان في الاناء وحديث ابي ايوب انه صنع لرسول
الله صلى الله تعا عليه وسلم ولابي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبي
صلى الله تعا عليه وسلم ادع ثلثين من اشراف الانصار فدعاهم فاكلوا حتى تركوه
ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا حتى تركوه
وما خرج منهم حتى اسلم وبايع قال ابو ايوب فاكل من طعامي مائة وثمانون رجلا

رجلا وعن سمرة بن جندب قال اتي النبي صلى الله تعا عليه وسلم بقصعة فيها لحم
فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد اخرون ومن ذلك
حديث عبد الرحمن بن ابي بكر قال كنا مع النبي صلى الله تعا عليه
وسلم ثلثين ومائة وذكر في الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت
شاة فشوي سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلثين ومائة
الا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا
اجمعون وفضل في القصعتين فحملته على البعير ومن ذلك حديث
عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري عن ابيه ومثله لسلمة بن الاكوع وابي
هريرة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما فذكروا مخمصة اصابت الناس
مع رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية
الازواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك واعلاهم الذي
اتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم
دعا الناس باوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء الا ملؤه وبقي منه قدر
ما جعل واكثر ولو ورده اهل الارض لكفاهم وعن ابي هريرة قال امرني
النبي صلى الله تعا عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم
فوضعت بين ايدينا صحفة فاكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت
الا ان فيها اثر الاصابع وعن علي بن ابي طالب رضي الله تعا عنه قال جمع
رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا اربعين
منهم قوم ياكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من

من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا
وبقي كأنه لم يشرب وقال انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم حين ابتنى بزينب امره ان يدعو له قوما سماهم وكل
من لقيت حتى امتلأت البيت والحجرة وقدم اليهم تورا فيه قدر
مد من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلاث اصابعه و
جعل القوم يتغدون ويخرجون وبقي التور نحوا مما كان وكان
القوم احدا او اثنين وسبعين وفي رواية اخرى في هذه القصة
او مثلها ان القوم كانوا زهاء ثلثمائة وانهم اكلوا حتى شبعوا
وقال لي ارفع فلا ادري حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت
وفي حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي ان فاطمة رضي الله عنها
طبخت قدرا لغدائهما ووجهت عليا رضي الله عنه في طلب النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم ليتغدا معهما فامرها فغرفت منها لجميع نسائه صحفة
ثم له عليه الصلوة والسلام ولعلي ثم لها ثم رفعت القدر وانها لتفيض
قالت فأكلنا منها ما شاء الله وامر عمر بن الخطاب ان يزود اربعمائة راكب
من احمس فقال يا رسول الله ما هي الا اصوع قال اذهب فذهب
فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من
رواية دكين الاحمسي ومن رواية جرير مثله من رواية النعمان بن مقرن
الخبر بعينه الا انه قال اربعمائة راكب من مزينة ومن ذلك حديث جابر
في دين ابيه بعد موته وقد كان بذل الغرماء ابيه اصلها له فلم يقبلوه

فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنين كفاف دينهم فجاءه النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم بعد ان امره بجذها وجعلها بيادر في اصولها فمشى فيها ودعا فاوفى
منه جابر غرماء ابيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل
ما اعطاهم قال وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقال ابو هريرة اصابت
الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل من شيء قلت نعم
من التمر في المزود قال فأتني به فادخل يده فاخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة
ثم قال ادع عشرة فأكلوا حتى شبعوا قال خذ ما جئت به وادخل يدك
واقبض منه شيئا ولا تكبه فقبضت على اكثر ما جئت به فأكلت منه واطعمت
حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان فانتهب
مني فذهب وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في
سبيل الله وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وان التمر كان بضع
عشرة تمرة ومنه ايضا حديث ابي هريرة حين اصابه الجوع فاستتبعه النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فوجد لبنا في قدح قد اهدي اليه وامره ان يدعو اهل
الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة
اتقوى بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لي ان يسقيهم
فجعلت اعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم يأخذه الآخر حتى روي جميعهم قال
فأخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب
فشربت ثم قال اشرب وما زال يقولها واشرب حتى قلت لا والذي بعثك
بالحق ما اجد له مسلكا فأخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفي

حديث خالد بن عبد العزى انه اجزر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شاة
وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عياله عظما عظما وان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم اكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو خالد
ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا وافضلوا ذكر خبره الدولابي
ومن حديث الآجري في انكاح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لعلي فاطمة
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد وخمسة
ويذبح جزورا لوليمتها قال فاتيته بذلك فطعن في راسها ثم ادخل
الناس رفقة رفقة ياكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة
فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه وقال كلن واطعمن من غشيكن وفي
حديث انس رضي الله عنه تزوج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فصنعت امي ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت
ولم ادع احدا لقيته الا دعوته وذكر انهم كانوا زهاء ثلثماية حتى ملؤا
الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تحلقوا عشرة
عشرة ووضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه
وقال ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع
فما ادري حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت واكثر احاديث هذه
الفصول الثلاثة في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل
بضعة عشرة من الصحابة رواه عنهم اضعافهم من التابعين ثم من لا يعد

من لا يعد بعدهم واكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة لا يمكن التحدث
عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما انكر فصل في كلام الشجر
وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته حدثنا احمد بن محمد بن غلبون
الشيخ الصالح فيما اجازنيه عن ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندس
عن ابي القاسم البغوي حدثنا احمد بن عمران الاخنسي حدثنا ابو حيان
التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم في سفر فدنا منه اعرابي فقال يا اعرابي اين تريد قال
الى اهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا
الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال من يشهد
لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي
فادعها فانها تجيبك قال فدعوتها فاقبلت تخد الارض حتى قامت
بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها
وعن بريدة قال سأل اعرابي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم آية فقال
له قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعوك
قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت
عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله
قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك الموضع
فاستوت فقال الاعرابي ائذن لي ان اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد

لامرت المرأة ان تسجد لزوجها قال فاذن لي ان اقبل يديك ورجليك
فاذن له وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله
صلى الله تعا عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا بشجرتين
بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم الى احدهما فاخذ
بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله فانقادت معه كالبعير
المخشوش الذي يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا
كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله تعا فالتأمتا وفي رواية اخرى
فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله تعا عليه السلام الحقي
بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما
فخرجت احضر وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق
فوقف رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم وقفة فقال برأسه هكذا يمينا
وشمالا وروى اسامة بن زيد نحوه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
في بعض مغازيه هل تعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم
فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة
قلت ارى نخلات متقاربات قال انطلق ان رسول الله صلى الله تعا
عليه وسلم يأمركن ان تأتين لمخرج رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم وقل
للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رأيت النخلات
يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما

قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرأيتهن
والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وقال يعلى
بن سيابة كنت مع النبي صلى الله تعا عليه وسلم في مسير وذكر نحوا
من هذا الحديثين وذكر فامر وديتين فانضمتا وفي رواية اشاءتين
وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن ابن مسعود
عن النبي صلى الله تعا عليه وسلم مثله في غزوة حنين وعن يعلى
بن مرة وهو ابن سيابة ايضا وذكر اشياء رآها من رسول الله
صلى الله تعا عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة جاءت فاطافت به
ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم انها
استأذنت ان تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي
الله عنه اذنت النبي صلى الله تعا عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا
له شجرة وعن مجاهد عن مسعود في هذا الحديث ان الجن قالوا من
يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع
وذكر مثل الحديث الاول او نحوه قال القاضي ابو الفضل المصنف
رحمه الله فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى ابن مرة
واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب وابن عباس
وغيرهم رضي الله تعا عنهم قد اتفقوا على هذه القصة نفسها او معنا
ها ورواها من التقوة حيث هي وذكر ابن فورك انه صلى الله تعا
عليه وسلم سار في غزوة الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته

سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا هذا وهى هناك معروفة معظمة ومن ذلك حديث ان جبريل قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ورآه حزينا اتحب ان اريك آية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادى فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشى حتى قامت بين يديه قال مرها فلترجع فعادت الى مكانها وعن على نحو هذا ولم يذكر فيها جبريل قال اللهم ارنى آية لا ابالى من كذبنى بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه صلى الله تعالى عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه آية لهم لا له وذكر ابن اسحاق ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ارى ركانة مثل هذه الآية فى شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال لها ارجعى فرجعت وعن الحسن انه صلى الله تعالى عليه وسلم شكا الى ربه من قومه وانهم يخوفونه وسأله آية يعلم بها ان لا مخافة عليه فاوحى الله اليه ان ائت وادى كذا فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك ففعل فجاء يخط الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب علمت ان لا مخافة على ونحوه عن عمر وقال فيه ارنى آية لا ابالى من كذبنى بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاعرابى ارأيت ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة اتشهد انى رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذى وقال هذا حديث صحيح

صحيح فصل فى قصة حنين الجذع ويعضد هذه الاخبار حديث انين الجذع وهو فى نفسه مشهور منتشر والخبر فيه متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم ابى بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدرى وبريدة وام سلمة والمطلب ابن ابى وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذى وحديث انس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع النخل فكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خطب يقوم على جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفى رواية انس حتى ارتج المسجد لخواره وفى رواية سهل وكثر بكاء الناس لما راوا به وفى رواية المطلب حتى تصدع وانشق حتى جاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره والذى نفسى بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيمة تحزنا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فامر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدفن تحت المنبر كذا فى حديث المطلب وسهل بن سعد واسحق عن انس وفى بعض الروايات عن سهل فدفن تحت منبره وجعلت فى السقف وفى حديث ابى فكان اذا صلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صلى اليه فلما

هدم المسجد اخذه ابي فكان عنده الى ان اكلته الارض وعاد رفاتا
وذكر الاسفرائيني ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاءه
يخرق الارض فالتزمه ثم امره فعاد الى مكانه وفي حديث بريدة فقال
يعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان شئت اردك الى الحائط الذي
كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وان
شئت اغرسك في الجنة فياكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى له النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فياكل مني اولياء
الله واكون في مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن اذا
حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه رواه عن
جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص وايمن وابو نضرة وابن
المسيب وسعد بن ابي كريب وابو صالح ورواه عن انس بن مالك الحسن
وثابت واسحق بن ابي طلحة ورواه ابو نضرة وابو الوداك عن ابي سعيد
وعمار بن عمار عن ابن عباس وابو حازم وعباس بن سهل بن سعد عن سهل
بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن ابيه والطفيل
بن ابي بن كعب عن ابيه قال القاضي ابو الفضل رحمه الله فهذا حديث
كما تراه خرجه اهل الصحة ورواه من الصحابة من ذكرناه وغيرهم من التابعين
ضعفهم الى من لم نذكره ومن دون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا

بهذا الباب والله المثبت على الصواب فصل ومثل هذا في سائر
الجمادات حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي حدثنا القاضي
ابو عبد الله محمد بن المرابط حدثنا المهلب ابو القاسم حدثنا ابو الحسن
القابسي حدثنا المروزي حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا محمد بن
المثنى حدثنا ابو احمد الزبيري حدثنا اسرائيل عن منصور عن ابرهيم عن
علقمة عن عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي غير هذه
الرواية عن ابن مسعود رضي الله عنه كنا ناكل مع رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وقال انس اخذ النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله صلى الله تعالى وسلم
حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد ابي بكر رضي الله عنه فسبحن ثم
في ايدينا فما سبحن وروى مثله ابو ذر وذكر انهن سبحن في عمر وعثمان
رضي الله عنهما وقال علي كنا بمكة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه و
سلم فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله شجرة ولا جبل الا قال له
السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة عنه عليه السلام
اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل انه الحجر الاسود وعن عائشة
رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما
استقبلني جبريل بالرسالة لما جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال
السلام عليك يا رسول وعن جابر بن عبد الله قال لم يكن صلى الله
تعالى عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي حديث العباس اذ اشتمل عليه

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار
كستره اياهم بملاءته فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت امين امين
وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال مرض النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاتاه جبريل
بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه صلى الله تعالى عليه وسلم فسبح وعن انس رضي
الله عنه قال صعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احدا
فرجف بهم فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان ومثله
عن ابي هريرة في حراء وزاد معه وعلي وطلحة والزبير وقال فانما عليك نبي
وصديق او شهيد والخبر في حراء ايضا عن عثمان رضي الله عنه قال ومعه
عشرة من اصحابه انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعد قال ونسيت الاثنين
وفي حديث سعيد بن زيد ايضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روي
انه حين طلبته قريش قال ثبير اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك
على ظهري فيعذبني الله فقال حراء الي يا رسول الله وروى ابن عمر ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قرا على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال
يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الجبار انا الكبير المتعال فرجف المنبر
حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان حول البيت
ستون وثلثمائة صنم مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده اليها
ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل الاية فما اشار الى وجه صنم الا
وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن

مسعود وقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما
يعيد ومن ذلك حديثه مع الراهب في ابتداء امره اذ خرج تاجرا
مع عمه وكان الراهب لا يخرج الى احد فخرج وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين
يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش ما علمك قال
انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد الا لنبي وذكر القصة
ثم قال واقبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما
دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال
الفيء اليه فصل في الايات في ضروب الحيوانات حدثنا
سراج بن عبد الملك ابو الحسن الحافظ حدثنا ابي حدثنا القاضي يونس
حدثنا ابو الفضل الصقلي حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه
وجده قالا حدثنا ابو العلاء احمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل حدثنا
يونس بن عمرو حدثنا مجاهد عن عائشة رضي الله عنها قالت كان
عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت
مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم جاء وذهب وروي عن عمر ان رسول الله كان في محفل
من اصحابه اذ جاء اعرابي قد صاد ضبا فقال ما هذا قالوا نبي الله
فقال واللات والعزى لا امنت بك او يؤمن هذا الضب وطرحه
بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

يا صنب فاجاب بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين
من اوفى القيمة قال من يعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه
وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن انا قال رسول رب
العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك فاسلم
الاعرابي ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن ابي سعيد الخدري
قال بينا راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها فاخذها الراعي منه فاقعى
الذئب وقال للراعي الا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال الراعي العجب
من ذئب يتكلم بكلام الانس فقال الذئب الا اخبرك باعجب من ذلك رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين الحرتين يحدث الناس بانباء ما قد سبق
فاتى الراعي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره فقال النبي صلى الله تعالى عليه و
سلم قم فحدثهم ثم قال صدق والحديث فيه قصة وفي بعضه طول وروى
حديث الذئب عن ابي هريرة رضي الله عنه وفي بعض الطرق عن ابي هريرة فقال
الذئب انت اعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط اعظم
منه عنده قدرا قد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون
قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله تعالى قال الراعي
من لي بغنمي قال الذئب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم اليه الرجل غنمه ومضى وذكر
قصته واسلامه ووجوده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقاتل فقال له
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك
وذبح للذئب شاة منها وعن اهبان بن اوس وانه كان صاحب القصة

القصة والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه كان صاحب
هذه القصة ايضا وسبب اسلامه بمثل حديث ابي سعيد وقد روى ابن وهب
مثل هذا انه جرى لابي سفيان بن حرب وصفوان بن امية مع ذئب وجداه
اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب اعجب
من ذلك محمد بن عبد الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة يدعوكم الى الجنة
وتدعونه الى النار فقال ابو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة
لتتركنها خلوفا وقد روى مثل هذا الخبر وانه جرى لابي جهل واصحابه وعن
عباس بن مرداس لما تعجب من كلام ضمار صنمه وانشاده الشعر الذي ذكر
فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا طائر سقط فقال يا عباس اتعجب
من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم يدعوا الى الاسلام وانت جالس فكان سبب اسلامه وعن جابر
بن عبد الله عن رجل اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به وهو على
بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم
قال احصب وجوهها فان الله سيؤدي عنك امانتك ويردها الى
اهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها وعن انس رضي الله عنه
قال دخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حائط انصاري وابو بكر وعمر رضي الله
عنهما ورجل من الانصار وفي الحائط غنم فسجدت له الغنم فقال ابو بكر
رضي الله عنه نحن احق بالسجود لك منها الحديث وعن ابي هريرة قال
دخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر مثله ومثله

في الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله
بن جعفر رضي الله عنهم قال وكان لا يدخل احد الحائط الا شد عليه
الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله تعا عليه وسلم دعاه فوضع مشفره في
الارض وبرك بين يديه فخطمه وقال ما بين السماء والارض شيء
الا يعلم اني رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم الا عاصي الجن والانس
ومثله عن عبد الله بن ابي اوفى رضي الله عنه وفي خبر اخر في حديث
الجمل ان النبي صلى الله تعا عليه وسلم سألهم عن شانه فاخبروه انهم ارادوا
ذبحه وفي رواية ان النبي صلى الله تعا عليه وسلم قال لهم انه شكى كثرة العمل
وقلة العلف وفي رواية انه شكى الي انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه
في شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة العضباء و
كلامها النبي صلى الله تعا عليه وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب
اليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها ونداءهم لها انك لمحمد وانها لم تأكل
ولم تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره الاسفرايني وروى ابن وهب ان
حمام مكة اظلت النبي صلى الله تعا عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة و
روي عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة ان النبي صلى الله تعا
ليلة امر الله شجرة فنبتت تجاه النبي صلى الله تعا عليه وسلم فسترته وامر
حمامتين فوقفتا بفم الغار وفي حديث اخر وان العنكبوت نسجت على
بابه فلما اتى الطالبون له ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه احد لم تكن
الحمامتان ببابه والنبي صلى الله تعا عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا وعن

وعن عبد الله بن قرط قال قرب الى النبي صلى الله تعا عليه وسلم بدنات
خمس او ست او سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه بايتهن يبدأ وعن
ام سلمة قالت كان رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية
يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان
في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع قال او تفعلين
قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي وقال
يا رسول الله الك حاجة قال اطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في
الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله ومن
هذا الباب ما روي من تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله
تعا عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقي الاسد فعرفه انه مولى رسول
الله صلى الله تعا عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر
في منصرفه مثل ذلك وفي رواية اخرى عنه ان سفينة تكسرت به فخرج
الى جزيرة فاذا الاسد فقلت انا مولى رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم
فجعل يغمزني بمنكبه حتى اقامني على الطريق واخذ عليه السلام باذن شاة
لقوم من بني عبد القيس بين اصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما وبقي
ذلك الاثر فيها وفي نسلها بعد وما روي عن ابراهيم بن حماد بسنده من
كلام الحمار الذي اصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه النبي صلى
الله تعا عليه وسلم يعفورا وانه كان يوجهه الى دور اصحابه فيضرب عليهم الباب
برأسه ويستدعيهم وان النبي صلى الله تعا عليه وسلم لما مات تردى في بئر جزعا

وحزنا فات وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه وفي العنز التي اتت رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم في عسكره وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء
وهم زهاء ثلثمائة فحلبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاروى
الجند ثم قال لرافع املكها وما اراك فربطها فوجدها قد انطلقت
رواه ابن قانع وغيره وفيه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ان الذى جاء بها هو الذى ذهب بها وقال لفرسه عليه السلام وقد
قام الى الصلوة في بعض اسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من
صلاتنا وجعله قبلته فما حرك عضوا منه حتى صلى عليه وسلم الحديث
ويلحق بهذا رواه الواقدى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما وجه
رسله للملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل رجل منهم يتكلم
بلسان القوم الذى بعثه اليهم والحديث في هذا الباب كثير وقد
جئنا منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه في كتب الائمة فصل
في احياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم بالنبوة
حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه بقراءتى عليه والقاضى ابو الوليد
محمد بن رشد والقاضى ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمى وغير واحد سماعا
واذنا قالوا حدثنا ابو على الحافظ حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا ابو زيد
عبد الرحمن بن يحيى حدثنا احمد بن سعيد حدثنا ابن الاعرابى حدثنا
ابو داود حدثنا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن ابي

وعن ابي سلمة عن ابي هريرة رضى الله عنه ان يهودية اهدت للنبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها فاكل رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم منها واكل القوم فقال ارفعوا ايديكم فانها اخبرتنى انها مسمومة فمات
بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم
يضرك الذى صنعت وان كنت ملكا ارحت الناس منك قال فامر بها
فقتلت وقد روى هذا الحديث انس رضى الله عنه وفيه قالت اردت
قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا نقتلها قال لا و
كذلك روى عن ابي هريرة من رواية غير وهب قال فما عرض لها ورواه ايضا
جابر بن عبد الله وفيه اخبرتنى به هذه الذراع قال ولم يعاقبها وفي
رواية الحسن ان فخذها تكلمنى انها مسمومة وفي رواية ابي سلمة بن عبد الرحمن
فقالت انى مسمومة وكذلك ذكر الخبر ابن اسحق وقال فيه فتجاوز عنها
وفي الحديث الاخر عن انس رضى الله عنه انه قال فما زلت اعرفها في لهوات
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي حديث ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال في وجعه
الذى مات فيه ما زالت اكلة خيبر تعاودنى فالان اوان قطعت ابهرى وحكى
ابن اسحق ان كان المسلمون ليرون ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مات
شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة وقال ابن سحنون اجمع اهل الحديث ان رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم قتل اليهودية التى سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات
في ذلك عن ابي هريرة رضى الله عنه وجابر وانس وفي رواية ابن عباس انه دفعها

لاولياء بشر بن البراء فقتلوها وكذلك قد اختلف في قتله صلى الله تعالى
عليه وسلم للذي سحره قال الواقدي وعفوه عنه اثبت عندنا وروي
عنه انه قتله وروى الحديث البزار عن ابي سعيد فذكر مثله الا انه قال
في اخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله فاكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر
منا احدا قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وقد خرج حديث الشاة الـ
المسمومة اهل الصحيح وخرجه الائمة وهو حديث مشهور واختلف
ائمة اهل النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى في
شاة الميتة او الحجر او الشجر وحروف واصوات يحدثها الله فيها ويسمعها
منها دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها وهو مذهب الشيخ ابي الحسن
والقاضي ابي بكر رحمهما الله واخرون ذهبوا الى ايجاد الحيوة بها اولا ثم الكلام
بعده وحكي هذا ايضا عن شيخنا ابي الحسن وكل محتمل والله اعلم اذ لم يجعل
الحيوة شرطا لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع
عدم الحيوة بمجردها فاما اذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد
من شرط الحيوة لها اذ لا يوجد كلام الا من حي خلافا للجبائي بين سائر
متكلمي الفرق في احالة وجود الكلام اللفظي والحروف والاصوات
الا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات
والتزم ذلك في الحصى والجذع والذراع وقال ان الله خلق فيها
حيوة وخرق لها فما ولسانا وآلة امكنها بها من الكلام وهذا لو كان
لكان نقله والتهمم به آكد من التهمم بنقل تسبيحه او حنينه ولم ينقل

ولم ينقل احد من اهل السير والرواية شيئا من ذلك فدل على سقوط
دعواه مع انه ضرورة اليه في النظر والموفق الله وروى وكيع رفعه
عن فهد بن عطية ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اتي بصبي قد شب لم يتكلم
قط فقال من انا فقال رسول الله وروي عن معرض بن معيقيب قال
رايت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله
وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونه اسم راويه
وفيه فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صدقت بارك الله فيك
ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة
وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع وعن الحسن قال اتى رجل
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر له انه طرح بنية له في وادي كذا فا
نطلق معه الى الوادي وناداها باسمها يا فلانة اجيبي باذن الله فخرجت
وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت
ان اردك عليهما قالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما وعن انس
رضي الله عنه ان شابا من الانصار توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه
وعزيناها فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت
اليك والى نبيك رجاء ان تعينني على كل شدة فلا تحملن على هذه المصيبة
فما برحنا عن كشفنا الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروى عن عبد الله بن
عبيد الله الانصاري قال كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان
قتل باليمامة فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر

الصديق عمر الشهيد وعثمان البر الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت وذكر عن
النعمان بن بشير ان زيد بن خارجة خر ميتا في بعض ازقة المدينة فرفع
وسجي اذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا
انصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين
كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان
ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما
كان فصل في ابراء المرضى وذوي العاهات حدثنا ابو الحسن علي بن
مشرف فيما اجازنيه وقراته على غيره حدثنا ابو اسحاق الحبال حدثنا ابو محمد
بن النحاس حدثنا ابن الورد عن البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي
عن محمد بن اسحاق حدثنا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة
ذكرهم بقضية احد بطولها قال وقالوا قال سعد بن ابي وقاص رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليناولني السهم لا نصل
له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يومئذ
عن قوسه حتى اندقت واصيب يومئذ قتادة يعني بن النعمان حتى
وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانت
احسن عينيه وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن
عياض بن عمر بن قتادة ورويها ابو سعيد الخدري رضي الله عنه عن
قتادة وبصق على اثر سهم في وجه ابي قتادة في يوم ذي قرد قال
فما ضرب علي ولا قاح وروى النسائي عن عثمان حنيف ان اعمى قال يا رسول

يا رسول الله ادع الله ان يكشف لي عن بصري قال فانطلق فتوضا ثم
صل ركعتين ثم قال اللهم اني اسئلك واتوجه اليك بنبي محمد نبي الرحمة يا محمد
اني اتوجه بك الى ربك ان يكشف لي عن بصري اللهم شفعه في قال فرجع
وقد كشف الله عن بصره وروى ان بن ملاعب الاسنة اصابه استسقاء
فبعث الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذ بيده حثوة من الارض فتفل
عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى ان قد هزي به فاتاه بها وهو
على شفا هلكة فشربها فشفاه الله وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك
ويقال فويك ان اباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول
الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فابصر فرايته يدخل الخيط في الابرة وهو ابن
ثمانين ورمي كلثوم بن الحصين يوم احد في نحره فبصق رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فيه فبرا وتفل على شجة عبد الله بن انيس فلم تمد وتفل في عيني علي
يوم خيبر وكان رمدا فاصبح بارئا ونفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع
يوم خيبر فبرئت وفي رجل زيد بن معاذ حين اصابها السيف الى الكعب حين
قتل ابن الاشرف فبرئت وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق اذ انكسرت
فبرى مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى علي بن ابي طالب رضي الله عنه
فجعل يدعو فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اشفه او عافه
ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل يوم بدر يد
معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم والصقها فلصقت رواه ابن وهب ومن روايته ايضا ان خبيب

بن يساف اصيبت يوم بدر مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بضربة
على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ونفث عليه حتى صح واتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم
فاتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم اعطاها اياه وامرها بسقيه
ومسه به فبرئ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس وعن ابن
عباس رضي الله عنهما جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع
ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فسعى وانكفأت القدر على ذراع محمد
بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرئ لحينه وكانت في
كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها
اثر وسألته جارية طعاما وهو يأكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة
الحياء فقالت انما اريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسأل
شيئا فيمنعه فلما استقر في جوفها القي عليها من الحياء ما لم يكن امرأة ..
بالمدينة اشد حياء منها فصل في اجابة دعائه وهذا باب واسع جدا
واجابة دعوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر
على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في حديث حذيفة كان رسول الله صلى الله
اذا دعا لرجل ادركت الدعوة ولده وولد ولده حدثنا ابو محمد العتابي
بقرائتي عليه حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو
زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا عبد الله بن ابي

ابي الاسود حدثنا حرمي حدثنا شعبة عن قتادة عن انس رضي الله عنه قال قالت
امي يا رسول الله خادمك انس ادع الله له قال اللهم اكثر ماله وولده
وبارك له فيما اتيته ومن رواية عكرمة قال انس فوالله ان مالي لكثير وان
ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم على نحو المائة وفي رواية وما اعلم
احدا اصاب من رخاء العيش ما اصبت ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من
من ولدي لا اقول سقطا ولا ولد ولد ومنه دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف
بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا وفتح
الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الايدي
واخذت كل زوجة ثمانين الفا وكن اربعا وقيل مائة الف وقيل بل
صولحت احداهن لانه طلقها في مرضه على نيف وثمانين الفا واوصى
بخمسين الفا بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة اعتق
يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل
من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وباقتابها واحلاسها ودعا لمعاوية
رضي الله عنه بالتمكين في البلاد فنال الخلافة ولسعد بن ابي وقاص رضي
الله عنه ان يجيب الله دعوته فما دعا على احد الا استجيب له ودعا بعز الاسلام
بعمر او ابي جهل فاستجيب له في عمر قال ابن مسعود رضي الله عنه ما زلنا اعزة
منذ اسلم عمر رضي الله عنه واصاب الناس في بعض مغازيه عطش فسأله
عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت ودعا في الاستسقاء
فسقوا ثم شكوا اليه المطر فدعا فصحوا وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لابي

قتادة افلح وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين
سنة وكانه ابن خمس عشرة سنة وقال للنابغة لا يفضض الله فاك فما
سقطت له سن نبتت له وعاش عشرين ومائة وقيل اكثر من هذا ودعا
لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فسمي بعد الحبر وترجمان
القران ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا
الا ربح فيه ودعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من المال ودعا بمثله
لعروة بن ابي الجعد فقال لقد كنت اقول بالكناسة فما ارجع حتى اربح اربعين
الفا وقال البخاري رحمه الله في حديثه فكان لو اشترى التراب ربح فيه
وروي مثل هذا لغرقدة ايضا وندت له ناقة فدعا فجاء بها اعصار ريح
حتى ردها عليه ودعا لام ابي هريرة رضي الله عنه فاسلمت ودعا لعلي ان
يكفى الحر والقر فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب
الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد ودعا لفاطمة ابنته ان لا يجيعها قالت
فما جعت بعد وسأله الطفيل بن عمرو آية لقومه فقال اللهم نور له فسطع
له نور بين عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا مثلة فتحول الى طرف
سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور ودعا على مضر فاقحطوا
حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا على كسرى حين مزق
كتابه ان يمزق الله ملكه فلم يبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة
في اقطار البلاد ودعا على صبي قطع عليه السلام الصلوة ان يقطع الله
اثره فاقعد وقال لرجل رآه يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع فقال

فقال لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وقال لعتبة بن ابي لهب اللهم
سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وقال لامرأة اكلك
الاسد كلها وحديثه المشهور من رواية عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه في دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد
مع الفرث والدم وسماهم قال فلقد رايتهم قتلوا يوم بدر ودعا على
الحكم بن ابي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم اي لا قراه فقال كذلك فلم يزل يختلج الى ان مات ودعا على محلم بن
جثامة فمات لسبع فلفظته الارض وروي فلفظته مرات فالقوه
بين صدين ورضموا عليه بالحجارة الصد جانب الوادي ووجده رجل
بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرد الفرس
بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على الرجل وقال اللهم ان كان كاذبا
فلا تبارك له فيها فاصبحت شاصية برجلها اي رافعة وهذا الباب
اكثر من يحاط به فصل في كراماته وبركاته وانقلاب الاعيان له
فيما لمسه او باشره اخبرنا احمد بن محمد حدثنا ابو ذر الهروي اجازة
حدثنا القاضي ابو علي سماعا والقاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن و
غيرهما قالوا حدثنا ابو الوليد القاضي حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو
اسحق وابو الهيثم قالوا حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا يزيد بن
زريع حدثنا سعيد بن قتادة عن انس بن مالك رضي الله عنه ان اهل
المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرسا لابي

طلحة كان يقطف وبه قطاف وقال غيره يبطاء فلما رجع قال وجدنا فرسك
بحرا فكان بعد لا يجارى ونخس جمل جابر رضي الله عنه وكان قد اعياء فسمع
فنشط حتى كان ما يملك زمامه وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الاشجعي خفقها
بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك رأسها نشاطا وباع من بطنها باثني عشر
الفا وركب صلى الله تعالى عليه وسلم حمارا قطوفا لسعد بن عبادة
رضي الله عنه فرده هملاجا لا يسائر وكانت شعرات من شعره في
قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد قتالا الا رزق النصر وفي الصحيح
عن اسماء بنت ابي بكر انها اخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى تستشفي بها
وحدثنا القاضي ابو علي عن شيخه ابي القاسم بن المامون قال كانت
قصعة من قصاع النبي صلى الله تعالى عليه السلام نجعل فيها الماء
للمرضى فيستشفون بها واخذ جهجاه الغفاري القضيب من يد
عثمان رضي الله عنه ليكسره على ركبتيه فصاح به الناس فاخذته
فيها الاكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب من فضل وضوئه في بئر قبا
فما نزفت بعد وبزق في بئر كانت في دار انس رضي الله عنه فلم يكن
بالمدينة اعذب منها ومر على ماء فسال عنه فقيل له اسمه بيسان و
ماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب واتي بدلو من ماء زمزم
فمج فيه فصار اطيب من المسك واعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه فكانا يبكيان
عطشا فسكتا وكان لام مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم سمنا

سمنا فامرها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا تعصرها ثم دفعها اليها
فاذا هي مملوة سمنا فياتيها بنوها يسألونها الادم وليس عندهم شيء فتعمد
اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمها حتى عصرتها وكان يتفل في افواه الصبيان
المراضع فيجزيهم ريقه الى الليل ومن ذلك بركة يده فيما لمسه وغرسه لسلمان
حين كاتبه مواليه على ثلث مائة ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى
اربعين اوقية من ذهب فقام صلى الله تعالى عليه وغرسها له بيده الا
واحدة غرسها غيره فاخذت كلها تلك الواحدة فقلعها رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وردها فاخذت وفي كتاب البزار فاطعم
النخل من عامه الا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فغرسها فاطعمت من عامها واعطاه مثل بيضة الدجاجة من
ذهب بعد ان ادارها على لسانه فوزن منها لمواليه اربعين اوقية و
بقي عنده مثل ما اعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم شربة من سويق شرب اولها وشربت اخرها فما برحت
اجد شبعها اذا جعت وريها اذا ظمئت واعطى قتادة بن النعمان وصلى
معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضيء لك
من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا
فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون حتى دخل بيته
ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة جذل حطب
وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما

طويل القامة ابيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف
الى ان استشهد في قتال اهل الردة وكان هذا السيف يسمى العون
ودفعه لعبد الله بن جحش يوم احد وقد ذهب سيفه عسيب نخل
فرجع في يده سيفا ومنه بركته في درور الشياه الحوائل باللبن الكثير
كقصة شاة ام معبد واعنز معاوية بن ثور وشاة انس وغنم حليمة مرضعته
وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود وكان لم ينز عليها فحل وشاة المقداد
ومن ذلك تزويده اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم
الصلوة نزلوا فحلوه فاذا به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد بن
سلمة ومسح على راس عمير بن سعد وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب
وروى مثل هذه القصة نفسها او معناها عن غير واحد منهم السائب
بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه لان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسح بيديه على بطنه وظهره وسلت الدم
عن وجه عائذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة
الفرس ومسح على راس قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك وهو
ابن مائة سنة وراسه ابيض وموضع كف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما
مرت يده عليه من شعره اسود فكان يدعى الاغر وروى مثل هذه الحكاية
لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه اخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه قتادة
بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر فيه كالمرآة ووضع يده على راس
حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه

وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع كف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيذهب
الورم ونفح في وجه زينب بنت ام سلمة نفحة من ماء فما يعرف كان في
وجه امراة من الجمال ما بها ومسح على راس صبي به عاهة فبرا واستوى
شعره وعلى غير واحد من الصبيان المرضى والمجانين فبرؤا واتاه رجل
به ادرة فامره ان ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرا وعن طاوس
قال لم يؤت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باحد به مس فصك في صدره
الا ذهب المس المجنون ومج في دلو من بئر ثم صب فيها ففاح منها
ريح المسك واخذ قبضة من تراب حنين ورمى بها في وجوه الكفار و
قال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذى عن اعينهم وشكى اليه
ابو هريرة النسيان فامره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم امره بضمه
ففعل فما نسي شيئا بعد وما روى عنه في هذا كثير وضرب صدره
جرير بن عبد الله ودعا له وكان ذكر له انه لا يثبت على الخيل فصار
من افرس العرب واثبتهم ومسح راس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب
وهو صغير وكان دميما ودعا له بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما

فصل ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون والاحاديث
في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه معجزاته المعلومة
على القطع الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها
على الاطلاع على الغيب حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري اجازة
وقراءة على غيره قال ابو بكر حدثنا ابو علي التستري حدثنا ابو عمر الهاشمي

حدثنا النوى حدثنا ابو داود حدثنا عثمان بن ابى شيبة حدثنا جرير
عن الاعمش عن ابى وائل عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون فى مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه
حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابى هؤلاء وانه ليكون منه
الشئ فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا راه
عرفه ثم قال حذيفة ما ادرى انسى اصحابى ام تناسوه والله ما ترك
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضى الدنيا يبلغ
من معه ثلثمائة فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال
ابو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه
فى السماء الا ذكر لنا منه علما وقد خرج اهل الصحيح والائمة ما اعلم به اصحابه
صلى الله تعالى عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور على اعدائه وفتح مكة وبيت
المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن المراة من الحيرة
الى مكة لا تخاف الا الله وان المدينة ستغزى وتفتح خيبر على يد على رضى الله
عنه فى غد يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم
كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والاهواء وسلوك
سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة
وانهم ستكون لهم انماط ويغدوا احدهم فى حلة ويروح فى اخرى ويوضع
بين يديه صحفة وترفع اخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال اخر
الحديث وانتم اليوم خير منكم يومئذ وانهم اذا مشوا المطيطاء وخدمتهم بنات

بنات فارس والروم رد الله باسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتال
الترك والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس
بعده وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده وذكر ان الروم ذات قرون الى
اخر الدهر وبذهاب الامثل فالامثل من الناس وتقارب الزمان
وقبض العلم وظهور الفتن والهرج وقال ويل للعرب من شر قد اقترب
وانه زويت له الارض فارى مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امته
ما زوى له منها وكذلك كان امتدت فى المشارق والمغارب ما بين
ارض الهند اقصى المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه
امة من الامم ولم يمتد فى الجنوب ولا فى الشمال مثل ذلك وقوله لا يزال
اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن المدينى
الى انهم العرب لانهم المختصون بالسقى بالغرب وهى الدلو وغيره يذهب
الى انهم اهل المغرب وقد ورد المغرب كذا فى الحديث بمعناه وفى حديث
اخر من رواية ابى امامة لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق قاهرين
لعدوهم حتى ياتيهم امر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله واين هم قال
ببيت المقدس واخبر بملك بنى امية وولاية معاوية ووصاه رضى الله
عنه واتخاذ بنى امية مال الله دولا وخروج ولد العباس بالرايات
السود وملكهم اضعاف ما ملكوا وخروج المهدى وما ينال اهل
بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل على وان اشقاها الذى يخضب هذه
من هذه اى لحيته من راسه وانه قسيم النار يدخل اولياؤه الجنة واعداؤه

النار فكان فيمن عاداه الخوارج والناصبة وطائفة ممن ينسب اليه من
الروافض كفروه وقال بقتل عثمان وهو يقرء القران وان الله عسى ان
يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله
فسيكفيكهم الله وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة الزبير لعلي
وبنباح كلاب الحوءب على ازواجه وانه يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعد
ما كادت فنبحت على عائشة رضي الله عنها عند خروجها الى البصرة وان
عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله اصحاب معاوية رضي الله عنه وقال
لعبد الله بن الزبير ويل الناس منك وويل لك من الناس وقال في
قزمان وقد ابلى مع المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه وقال في
جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة رضي الله عنهم اخركم
موتا في النار فكان بعضهم يسئل عن بعض فكان سمرة اخرهم موتا هرم
وخرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها وقال في حنظلة الغسيل رضي الله
عنه سلوا ازواجه عنه فاني رايت الملئكة تغسله فسئلوها فقالت انه
خرج جنبا واعجله الحال عن الغسل قال ابو سعيد رضي الله عنه ووجدنا رأسه
يقطر ماء وقال الخلافة في قريش ولن يزال هذا الامر في قريش ما اقاموا الدين
وقال يكون في ثقيف كذاب ومبير فراوهما الحجاج والمختار وان مسيلمة
يعقره الله وفاطمة اول اهله لحوقا به وانذر بالردة وبان الخلافة بعده
ثلاثين سنة ثم ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي وقال ان هذا الامر
بدا نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون

عتوا وجبروتا وفسادا في الامة واخبر بشان اويس القرني وبامراء
يؤخرون الصلوة عن وقتها وسيكون في امتي ثلاثون كذابا فيهم اربع
نسوة وفي حديث اخر ثلاثون دجالا كذابا اخرهم الدجال الكذاب
كلهم يكذب على الله ورسوله وقال يوشك ان يكثر فيكم العجم ياكلون
فيكم يضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل
من قحطان وقال خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم ياتي بعد ذلك قوم
يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون
ولا يوفون وقال لا ياتي زمان الا والذي بعده شر منه وقال هلاك
امتي على يدي اغيلمة من قريش قال ابو هريرة رضي الله عنه راويه لو شئت
سميتهم لكم بنوا فلان وبنو فلان واخبر بظهور القدرية والرافضة و
سب اخر هذه الامة اولها وقلة الانصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم
يزل امرهم يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وانهم سيلقون بعده اثرة واخبر
بشان الخوارج وصفتهم والمخدج الذي فيهم وان سيماهم التحليق ويرى
رعاء الغنم رؤس الناس والعراة الحفاة يتبارون في البنيان وان
تلد الامة ربتها وان قريشا والاحزاب لا يغزونه ابدا وانه هو يغزوهم
واخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد من سكنى البصرة
وانهم يغزون في البحر كالملوك على الاسرة وان الدين لو كان منوطا بالثريا
لناله رجال من ابناء فارس وهاجت ريح في غزاته فقال هاجت لموت منافق
فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك وقال لقوم من جلسائه ضرس احدكم في

النار اعظم من احد قال ابو هريرة فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت انا ورجل
فقتل مرتدا يوم اليمامة واعلم بالذي غل خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله و
بالذي غل الشملة وحيث هي ناقته حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة
بخطامها وبشان كتاب حاطب الى اهل مكة وبقصة عمير مع صفوان حين
ساره وشارطه على قتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلما جاء عمير الى النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم على الامر والسر اسلم واخبر بالمال الذي تركه عمه العباس عند ام
الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه غيري وغيرها فاسلم واعلم بانه سيقتل
ابي بن خلف وفي عتبة بن ابي لهب انه يأكله كلب الله وعن مصارع اهل بدر
فكان كما قال وقال في الحسن ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين
ولسعد لعلك ان تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك اخرون واخبر
بقتل اهل موتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر او ازيد وبموت النجاشي يوم مات
وهو بارضه واخبر فيروز اذ ورد عليه رسولا من كسرى ذلك اليوم فلما اخ
حقق فيروز القصة اسلم واخبر اباذر بتطريده كما كان ووجده في المسجد
نائما فقال له كيف بك اذا اخرجت منه قال اسكن المسجد الحرام قال فاذا
اخرجت منه الحديث وبعيشه وحده وبموته وحده واخبر ان اسرع ازواجه
به لحوقا اطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة واخبر بقتل الحسين
بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه وقال في زيد بن صوحان يسبقه
عضو منه الى الجنة فقطعت يده في الجهاد وقال في الذين كانوا معه على حراء

على حراء اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة
والزبير وطعن سعد رضي الله عنهم وقال لسراقة كيف بك اذا لبست سو
سواري كسرى فلما اتي بهما عمر البسهما اياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى
والبسهما سراقة وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والفرات
تجبى اليها خزائن الارض يخسف بها يعني بغداد وقال سيكون في هذه الامة
رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الامة من فرعون لقومه وقال لا تقوم
الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة وقال لعمر في سهيل بن عمرو وعسى ان
تقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام ابي بكر رضي الله عنه يوم
بلغهم موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى
بصائرهم وقال لخالد حين وجهه لاكيدر انك تجده يصيد البقر فوجدت
هذه الامور كلها في حيوته وبعد موته كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم الى ما
اخبر به جلسائه من اسرارهم وبواطنهم واطلع عليه من اسرار المنافقين وكفر
هم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى ان كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله
لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء واعلامه بصفة السحر الذي سحره
به لبيد بن الاعصم وكونه في مشط ومشاطة في جف طلع نخلة ذكر وانه القي في
بئر ذروان فكان كما قال ووجد على تلك الصفة واعلامه قريشا باكل
الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم و
انها ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال ووصفه لكفار قريش بيت
المقدس حين كذبوه في خبر الاسراء ونعته اياه نعت من عرفه واعلامهم بعيرهم

التي مر عليها في طريقه وانذارهم بوقت وصوله لها فكان كله كما قال الى ما
اخبر من الحوادث التي تكون ولم تأت بعد منها ما ظهرت مقدماتها كقوله
عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة
فتح القسطنطينية ومن اشراط الساعة وايات حلولها وذكر الحشر والنشر
واخبار الابرار والفجار والجنة والنار وعرصات القيمة وبحسب هذا
الفصل ان يكون ديوانا مفردا يشتمل على اجزاء وحده وفيما اشرنا اليه
من نكت الاحاديث التي ذكرناها كفاية واكثرها في الصحيح وعند الائمة

فصل في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من اذاه قال الله يعصمك
من الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال اليس الله بكاف
عبده قيل بكاف محمدا اعداءه المشركين وقيل غير هذا وقال انا كفيناك
المستهزئين وقيل غير هذا وقال واذ يمكر بك الذين كفروا الاية اخبرنا
القاضي الشهيد ابو علي الصدفي قراءة عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمد
بن عبد الله المعافري قالا حدثنا ابو الحسين الصيرفي حدثنا ابو يعلى
البغدادي حدثنا ابو علي السنجي حدثنا ابو العباس المروزي حدثنا ابو عيسى
الحافظ حدثنا عبد بن حميد حدثنا مسلم بن ابرهيم حدثنا الحارث بن عبيد
عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة رضي الله عنها
قالت كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الاية والله
يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من القبة
فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي تعالى وروى ان النبي صلى الله

الله تعالى عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها
فاتاه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله فارعدت
يد الاعرابي وسقط سيفه وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه
فنزلت الاية وقد رويت هذه القصة في الصحيح وان غورث بن الحارث
اسم صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عفا
عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وقد حكيت مثل
هذه الحكاية انها جرت له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه لقضاء حاجته
فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله وقد روى انه وقع له مثلها في
غزوة غطفان بذي امرّ مع رجل اسمه دعثور بن الحارث وان الرجل
اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه وكان سيدهم واشجعهم قالوا له
اين ما كنت تقول وقد امكنك فقال اني نظرت الى رجل ابيض طويل دفع
في صدري فوقعت لظهري وسقط السيف فعرفت انه ملك واسلمت
قيل وفيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم
ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية وفي رواية الخطابي ان غورث بن الحارث
المحاربي اراد ان يفتك برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يشعر به الا
وهو قائم على راسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب
من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده والزلخة وجع الظهر
وقيل في قصته غير هذا وذكر ان فيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ هم قوم الاية وقيل كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية استلقى ثم قال من شاء فليخذلني
وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاة وهي جمر على طريق
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانما يطؤها كثيبا اهيل
وذكر ابن اسحق عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب وذكرها
بما ذكرها الله مع زوجها من الذم اتت رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من الحجارة
فلما وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله
تعالى عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني و
الله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه وعن الحكم بن ابي العاص قال تواعدنا
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اذا رايناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا
انه بقي بتهامة احد فوقعنا مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى صلوته ورجع
الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رايناه جاءت الصفا والمروة
فحالت بيننا وبينه وعن عمر رضي الله عنه قال تواعدت بوجهم بن حذيفة
ليلة قتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجئنا منزله فتسمعنا له
فافتتح وقرأ الحاقة ما الحاقة الى فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على
عضد عمر وقال انج وفرا هاربين فكانت من مقدمات اسلام عمر رضي
الله عنه ومنه العبرة المشهورة والكفاية التامة عندما اخافته قريش
واجمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤسهم وقد ضرب الله
على ابصارهم وذر التراب على رؤسهم وخلص منهم وحمايته عن رؤيتهم

عن رؤيتهم في الغار بما هيأ الله له من الايات ومن العنكبوت الذي نسج عليه
حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما اربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت
ما ارى الا انه قبل ان يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش
لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم
حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر الجعايل فانذر به فركب فرسه
واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فساخت قوائم
فرسه فخر عنها واستقسم بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع
قراءة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت وقال للنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانية الى
ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالامان
فكتب له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امانا كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر واخبر
هم بالاخبار وامره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا يترك احدا يلحق بهم فانصرف
يقول للناس كفيتم ما ههنا وقيل بل قال لهما اراكما دعوتما علي فادعوا لي
فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي خبر اخر ان
راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما
يدري ما يصنع وانسي ما خرج له حتى رجع الى موضعه وجاءه صلى الله تعالى عليه
وسلم فيما ذكر ابن اسحاق وغيره ابو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون
ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه الى عنقه واقبل يرجع القهقرى
الى خلفه ثم سأله ان يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش

بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن شانه فذكر انه عرض لي دونه فحل
ما رأيت مثله قط هم بي ان كلني فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك جبريل
لو دنى لاخذه وذكر السمرقندي ان رجلا من بني المغيرة اتى النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسمع قوله
فرجع الى اصحابه ولم يرهم حتى نادوه وذكر ان في هاتين القصتين نزلت انا
جعلنا في اعناقهم اغلالا الايتين ومن ذلك ما ذكره ابن اسحاق في قصته
اذ خرج الى بني النضير في اصحابه فجلس الى جدار بعض آطامهم فانبعث عمرو بن
جحاش احدهم ليطرح عليه رحا فقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فانصرف
الى المدينة واعلمهم بقصتهم وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي
انه خرج الى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين اللذين قتل عمرو
بن امية فقال له حيي بن اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك
ما سألتنا فجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وتوامر حيي
معهم على قتله فاعلم جبريل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقام كانه
يريد حاجته حتى دخل المدينة وذكر اهل التفسير معنى الحديث عن
ابي هريرة رضي الله عنه ان ابا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا صلى الله
تعالى عليه وسلم يصلي ليطان رقبته فلما صلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اعلموه فاقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل
فقال لما دنوت منه اشرفت على خندق مملوا نارا كدت اهوي فيه وابصرت

هولا عظيما وخفق اجنحة قد ملأت الارض فقال عليه السلام تلك الملائكة لو
دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كلا ان الانسان
ليطغى الى اخر السورة ويروى ان رجلا يعرف بشيبة بن عثمان الحجبي ادركه يوم
حنين وكان حمزة قد قتل اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثاري من محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم فلما اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه قال فلما
دنوت ارتفع الي شواظ من نار اسرع من البرق فوليت هاربا واحس بي النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو ابغض الخلق الي
فما رفعها الا وهو احب الخلق الي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت امامه
اضرب بسيفي واقيه بنفسي ولو لقيت ابي تلك الساعة لاوقعت به دونه
وعن فضالة بن عمرو قال اردت قتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح وهو
يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث به
نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن
قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه ومن مشهور
ذلك خبر عامر بن الطفيل واربد بن قيس حين وفدا على النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وكان عامر قال له انا اشغل عنك وجه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فاضربه
انت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال له والله ما هممت ان اضربه
الا وجدتك بيني وبينه افاضربك ومن عصمته له تعالى ان كثيرا من اليهود
والكهنة انذروا به وعينوه لقريش واخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله حتى بلغ فيه امره ومن ذلك نصره بالرعب امامه

مسيرة شهر كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم فصل ومن معجزاته الباهرة
ما جمعه الله له من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع
مصالح الدنيا والدين ومعرفته بامور شرايعه وقوانين دينه وسياسة
عباده ومصالح امته وما كان في الامم قبله وقصص الانبياء والرسل
والجبابرة والقرون الماضية من لدن ادم عليه السلام الى زمنه وحفظ
شرايعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد انبائهم وايام الله فيهم وصفات اعيانهم
واختلاف آرائهم والمعرفة بمددهم واعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل امة
من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم واعلامهم باسرارها
ومخبآت علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه الى الاحتواء على
لغات العرب وغريب الفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحتها والحفظ
لايامها وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى
المعرفة بضروب الامثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض
والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل
مع اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق ومحامد الادب وكل شيء
مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا الا من جهة الخذلان
بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به اذا سمع ما يدعو اليه صوبه و
استحسنه دون طلب اقامة برهان عليه ثم ما احل لهم من الطيبات
وحرم عليهم من الخبائث وصان به انفسهم واعراضهم واموالهم من المعاقبات
والحدود عاجلا والتخويف بالنار آجلا الى الاحتواء على ضروب العلوم

العلوم وفنون المعارف كالطب والعبارة والفرائض والحساب و
النسب وغير ذلك من العلم مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه عليه السلام
فيها قدوة واصولا في علمهم كقوله عليه السلام الرؤيا لاول عابر و
هي على رجل طائر وقوله الرؤيا يحدث بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين
من الشيطان وقوله اذا تقارب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن تكذب
وقوله اصل كل داء البردة وما روي عنه في حديث ابي هريرة رضي
الله عنه من قوله المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة و
ان كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه الد
الدارقطني وقوله خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة
والمشي وخير الحجامة يوم سبعة عشرة وتسعة عشرة واحدى وعشرين
وفي العود الهندي سبعة اشفية وقوله ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من
بطن الى قوله فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس
وقوله وقد سئل عن سبا ارجل هو ام امراة ام ارض فقال رجل ولد
عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه
في نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب
الى سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله حمير راس العرب ونابها
ومذحج هامتها وغلصمتها والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها و
ذروتها وقوله ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات
والارض وقوله في الحوض زواياه سواء وقوله في حديث الذكوات

المسنة بعشر فتلك مائة وخمسون على اللسان والف وخمسمائة في الميزان
وقوله ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله لعيينة او الاقرع انا افرس
بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر للملى هذا مع انه
صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه اوتى علم كل شيء حتى قد
وردت اثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله لا تمدوا
بسم الله الرحمن الرحيم رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس
وقوله في الحديث الاخر الذي يروى عن معاوية انه كان يكتب بين يديه
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم الباء
وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم
وهذا وان لم تصح الرواية انه عليه السلام كتب فلا يبعد ان يرزق
علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة واما علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بلغات
العرب وحفظ معاني اشعارها فامر مشهور وقد نبهنا على بعضه اول
الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات الامم كقوله في الحديث سنه
سنه وهي حسنة بالحبشية وقوله يكثر الهرج وهو القتل بها وقوله في
حديث ابي هريرة رضي الله عنه اشكنب درد اي وجع البطن بالفارسية
الى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس
الدروس والعكوف على الكتب ومثافنة اهلها عمره وهو رجل كما قال الله
تعالى امي لم يكتب ولم يقرء ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشا بين قوم
لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه الامور ولا عرف هو قبل بشيء منها قال الله تعالى

تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الاية انما كانت غاية
معارف العرب النسب واخبار اوائلها والشعر والبيان وانما حصل
ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه و
هذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله تعالى عليه وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد
لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه الا قولهم
اساطير الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله لسان الذي يلحدون
اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان فان الذي
نسبوا تعليمه اليه اما هو سلمان او العبد الرومي وسلمان انما عرفه بعد الهجرة
ونزول الكثير من القران وظهور ما لا ينعد من الايات واما الرومي فكان
اسلم وكان يقرء على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف في اسمه وقيل بل
كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما اعجمي اللسان
اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة ما اتى
به والاتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تاليفه ونظمه فكيف باعجمي
الكن نعم وقد كان سلمان او بلعام الرومي او يعيش او جبر او يسار على
اختلافهم في اسمه بين اظهرهم يكلمونه مدة اعمارهم فهل حكي عن واحد منهم
شيء من مثل ما كان يجيء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهل عرف واحد منهم
بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤوب
طلبه وقوة حسده ان يجلس الى هذا فياخذ عليه ايضا ما يعارض به و
يتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به من اخبار

كتبه ولا غاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته الى
بلود اهل الكتاب فيقال انه استمد منهم بل لم يزل بين اظهرهم يرعاى
صغره وشبابه على عادة ابنائهم ثم لم يخرج عن بلدهم الا فى سفرة او سفرتين لم
يطل فيهما مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان فى سفره فى
صحبة قومه ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة
من تعليم او اختلاف الى حبر او قس او منجم او كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان
مجئ ما اوتى به فى معجز القران قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل شبهة ومجليا
لكل امر مضل ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وكراماته وباهر اياته
انباؤه مع الملئكة والجن وامداد الله له بالملئكة وطاعة الجن له ورؤية
كثير من اصحابه لهم قال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل الاية
وقال اذ يوحى ربك الى الملئكة انى معكم فثبتوا الذين امنوا وقال الله تعالى
اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم الايتين وقال واذ صرفنا اليك نفرا
من الجن يستمعون القران الاية حدثنا سفيان بن العاص الفقيه سماعى عليه
ابو الليث السمرقندى حدثنا عبد الغافر الفارسى حدثنا ابو احمد الجلودى
حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا ابى شعبة
حدثنا شعبة عن سليمان الشيبانى سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد راى
من ايات ربه الكبرى قال راى جبريل فى صورته له ستمائة جناح والخبر فى
محادثته مع جبريل واسرافيل وغيرهما من الملئكة وما شاهده من كثرتهم و
عظم صور بعضهم ليلة الاسراء مشهور وقد راهم بحضرته جماعة من اصحابه فى

فى مواطن مختلفة فراى اصحابه جبريل عليه السلام فى صورة رجل يسئله عن
الاسلام والايمان وراى ابن عباس واسامة بن زيد وغيرهما عنده
جبريل فى صورة دحية وراى سعد على يمينه وعلى يساره جبريل و
ميكائيل فى صورة رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع
بعضهم زجر الملئكة خيلها يوم بدر وبعضهم راى تطاير الرؤس من الكفار
ولا يرون الضارب وراى ابو سفيان بن الحارث يومئذ رجالا بيضا على
خيل بلق بين السماء والارض ما يقوم لها شئ وقد كانت الملئكة تصافح
عمران بن الحصين وراى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لحمزة جبريل فى
الكعبة فخر مغشيا عليه وراى عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما الجن
ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد ان مصعب
بن عمير لما قتل يوم احد اخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب فيقول له لست بمصعب فعلم انه ملك
وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب انه قال بينا نحن جلوس
مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فرد عليه وقال صلى الله تعالى عليه وسلم نغمة الجن من انت فقال
انا هامة بن الهيم بن لاقيس بن ابليس فذكر انه لقى نوحا ومن بعده فى حديث
طويل وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم علمه سورا من القران وذكر
الواقدى قتل خالد عند هدمه العزى السوداء التى خرجت له ناشرة
شعرها عريانة فجزلها بسيفه واعلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له

تلك العزتي وقال عليه السلام ان شيطانا تفلت على البارحة ليقطع
على صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية من
سوارى المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرة دعوة اخي سليمان
رب اغفرلي وهب لي ملكا الاية فرده الله تعالى خاسئا وهذا باب
واسع **فصل ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته** ما ترادفت به
الاخبار عن الرهبان والاحبار وعلماء اهل الكتاب من صفته وصفة امته
واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذى بين كتفيه وما وجد من ذلك في اشعار
الموحدين المتقدمين من شعر تبع والاوس بن حارثة وكعب بن لوى وسفيان
بن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذى يزن وغيرهم وما عرف
به من امره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميرى وعلماء
يهود وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما الفى من ذلك في
التوراة والانجيل مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله عنها ثقات من اسلم منهم مثل
ابن سلام وابنى سعيه وابن يامين ومخيريق وكعب واشباههم ممن اسلم من
علماء يهود وبحيرا ونسطور الحبشية وصاحب بصرى وضغاطر واسقف
الشام والجارود وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة واساقف نجران وغير
هم ممن اسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالم
النصارى ورئيساهم ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا
وابن اخطب واخوه وكعب بن اسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود
ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاوة والاخبار في هذا كثيرة

كثيرة لا تنحصر وقد قرع يهود والنصارى بما ذكر انه في كتبهم من صفته و
صفة اصحابه واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف
ذلك وكتمانه وليهم السنتهم ببيان امره ودعوتهم المباهلة على الكاذب
فما منهم الا من نفر عن معارضته وابدا ما الزمهم من كتبهم اظهاره ولو
وجدوا خلاف قوله لكان اظهاره اهون عليهم بذل النفوس والاموال
وتخريب الديار ونبذ القتال وقد قال لهم قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان
كنتم صادقين الى ما انذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح
وسواد بن قارب وخنافر وافعى نجران وجذل بن جذل الكندي وابن
خلصة الدوسي وسعد بن بنت كريز وفاطمة بنت النعمان ومن لا يعد
كثرة الى ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته وحلول وقت رسالته
وسمع من هواتف الجان ومن ذبايح النصب واجواف الصور وما وجد
من اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة
والقبور بالخط القديم ما اكثره مشهور واسلام من اسلم بسبب
ذلك معلوم مذكور **فصل ومن ذلك ما ظهر من الايات عند مولده**
وما حكته امه ومن حضره من العجائب وكونه رافعا راسه عندما
وضعته شاخصا ببصره الى السماء وما رأته من النور الذى خرج معه
عند ولادته وما رأته اذ ذاك ام عثمان بن العاص من تدلي النجوم و
ظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر الا النور وقول الشفاء ام عبد
الرحمن بن عوف لما سقط عليه السلام على يدى واستهل سمعت قائلا

يقول رحمك الله واضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم وما تعرفت حليمة وزوجها ظئراه من بركته ودرور لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشاته وما جرى من العجائب ليلة مولده من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها الف عام لم تخمد وانه كان اذا اكل مع عمه ابي طالب وآله وهو صغير شبعوا ورووا فاذا غاب فاكلوا في غيبته لم يشبعوا وكان سائر ولد ابي طالب يصبحون شعثا ويصبح هو صلى الله تعالى عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا قالت ام ايمن حاضنته ما رايته عليه السلام شكى جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع وما نشأ عليه من بغض الاصنام والعفة عن امور الجاهلية وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور عند بناء الكعبة المكرمة اذ اخذ ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط الى الارض حتى رد ازاره عليه فقال له عمه ما بالك قال اني نهيت عن التعري ومن ذلك اظلال الله له بالغمام في سفره وفي رواية ان خديجة ونساءها راينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها انه راى ذلك منذ خرج معه في سفره وقد روي ان حليمة رضي الله عنها رأت غمامة تظله وهو عندها وروي ذلك من اخيه من الرضاعة ومن ذلك انه نزل في بعض

في بعض اسفاره قبل بعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها واينعت هي فاشرفت وتدلت عليه اغصانها بمحضر من رآه وميل فيء الشجرة اليه في الخبر الآخر حتى اظلته وما ذكر من انه كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى اوحي اليه ثم اعلامه بموته ودنو اجله وان قبره في المدينة وفي بيته وان بين بيته وبين منبره روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده على ما رويناه في بعضها واستئذان ملك الموت عليه ولم يستأذن على غيره قبله ونداؤهم الذي سمعوه ان لا تنزعوا القميص عند غسله وما روي من تعزية الخضر والملائكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر على اصحابه من كرامته وبركته في حياته وموته كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته فصل

قال القاضي ابو الفضل رحمه الله قد اتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الاحاديث الطوال على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الاحاديث وغريبها على ما صح واشتهر الا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الائمة وحذفنا الاسناد في جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصي ان يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا

صلى الله تعالى عليه وسلم اظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين احدهما
كثرتها وانه لم يؤت نبي معجزة الا وعند نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها
او ما هو ابلغ منها وقد نبه الناس على ذلك فان اردته فتامل فصول
هذا الباب ومعجزات من تقدم من الانبياء تقف على ذلك ان شاء الله
واما كونها كثيرة فهذا القران وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند
بعض ائمة المحققين سورة انا اعطيناك الكوثر او اية في قدرها و
ذهب بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت معجزة وزاد اخرون ان كل
جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه اولا
لقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من
نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا ففي القران من الكلمات نحو من
من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك
الكوثر عشر كلمات فيتجزأ القران على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر ازيد
من سبعة الاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه كما تقدم
بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد
معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار
بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن
اشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجزة فتضاعف العدد كرة اخرى
ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القران
فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ثم الاحاديث الواردة

الواردة والاخبار الصادرة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم في هذه الابواب
وعما دل على امره مما اشرنا الى جملة يبلغ نحوًا من هذا الوجه الثاني
وضوح معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فان معجزات الرسل كانت بقدر
همم اهل زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى
عليه السلام غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون
قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وابطل سحرهم
وكذلك زمن عيسى عليه السلام اغنى ما كان الطب واوفر ما كان اهله فجاء
هم امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم يحتسبوه من احياء الميت وابراء الاكمه
والابرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الانبياء ثم ان الله تعالى
بعث محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها اربعة
البلاغة والشعر والخبر والكهانة فانزل عليه القران الخارق لهذه الاربعة
فصول من الفصاحة والايجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم
الغريب والاسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ولا علموا في
اساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الكوائن والحوادث والاسرار والمخبآت
والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وان
كان اعدى العدو فابطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من
اصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الاخبار عن القرون السالفة وانباء
الانبياء والامم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه
على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة

لهذه الوجوه الى الفصول الاخر التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة الى
يوم القيمة بينة الحجة لكل امة تاتي لا يخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتامل
وجوه اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر عصر ولا
زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان
وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس اشد طمانينة الى عين
اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل عندها حقا وسائر معجزات الرسل انقرضت
بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لا تبيد و
لا تنقطع واياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله فيما
حدثنا القاضي الشهيد ابو علي حدثنا القاضي ابو الوليد حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد
وابو اسحاق وابو الهيثم قالوا حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا عبد العزيز بن
عبد الله حدثنا الليث عن سعيد عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم قال ما من الانبياء نبي الا اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر
وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحاه الله الي فارجو اني اكثرهم تابعا يوم القيمة
هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان شاء الله تعالى وذهب غير
واحد من العلماء في تاويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا صلى الله تعالى عليه
وسلم الى معنى اخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن التخييل فيه ولا
التحيل عليه والتشبيه فان غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها
باشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفاء كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه
ذلك مما يخيله الساحر او يتحيل فيه والقران كلام ليس للحيلة ولا للسحر في التخييل فيه

١٢٥



فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا
خطيب ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتاويل الاول اخلص
وارضى وفي هذا التاويل الثاني ما يغمض القلب عليه وبعض وجه ثالث على مذهب
من قال بالصرفة وان المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها او على احد
مذهبي اهل السنة من ان الاتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك
قبل ولا يكون بعد لان الله لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه وبين المذهبين
فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب الاتيان بما في مقدورهم او ما هو من جنس مقدور
هم ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والاذلال وتغيير الحال وسلب النفوس
والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد ابين اية للعجز عن شيء
هو من جنس مقدورهم والى هذا ذهب الامام ابو المعالي الجويني وغيره قال وهذا
عندنا ابلغ في خرق العادة بالافعال البديعة في انفسها كقلب العصا حية ونحو
ها فانه قد يسبق الى بال الناظر بدارا ان ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزية
معرفة في ذلك الفن وفضل علم الى ان يرد ذلك صحيح النظر واما التحدي للخلائق مائتين
من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا بعد توفر الدواعي على المعارضة
ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي ايتي ان يمنع الله القيام عن الناس
مع قدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فكان ذلك وعجزهم الله عن القيام لكان ذلك
من ابهر اية واظهر دلالة وبالله التوفيق وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور ايته
على سائر الايات الانبياء حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة افهام العرب وذكاء البابها
ووفور عقولها وانهم ادركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب ادراكهم

وغيرهم من القبط وبنى اسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذا التسبيل بل كانوا من
الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم و جوز عليهم السامرى
ذلك فى العجل بعد ايمانهم وعبدوا المسيح مع اجماعهم على صلبه وما قتلوه
وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءتهم من الايات الظاهرة البينة للابصار
بقدر غلظ افهامهم مما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى
الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذى هو ادنى بالذى
هو خير والعرب على جاهليتها اكثرها تعترف بالصانع وانما كانت تتقرب
بالاصنام الى الله زلفى ومنهم من امن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله
تعالى عليه وسلم بدليل عقله وصفاء لبه ولما جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته
وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فامنوا به وازدادوا كل يوم
ايمانا ورفضوا الدنيا كلها فى صحبته وهجروا ديارهم واموالهم وقتلوا
اباءهم وابناءهم فى نصرته والاتى فى معنى هذا يلوح له رونق ويعجب منه
زبرج لو احتيج اليه وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم وظهورها ما يغنى عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها
وبالله استعين بلغ مقابلة على الاصل فصح انشاء الله ١٠٦٨ رجب

القسم الثانى فيما يجب على
الانام من حقوق المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم قال الفقيه القاضى
ابو الفضل رحمه الله وهذا قسم لخصنا فيه الكلام فى اربعة ابواب على ما ذكرناه
اول الكتاب ومجموعها فى وجوب تصديقه واتباعه وطاعته ومحبته و
مناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلوة عليه والتسليم وزيارة قبره الباب

الباب الاول فى فرض الايمان به و وجوب طاعته واتباع سنته اذا
تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الايمان به وتصديقه
فيما اتى به قال الله تعالى فامنوا بالله و رسوله والنور الذى انزلنا وقال
تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ليؤمنوا بالله ورسوله
وقال تعالى فامنوا بالله و رسوله النبى الامى الاية فالايمان بالنبى محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم واجب متعين لا يتم الايمان الا به ولا يصح الاسلام
الا معه قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله و رسوله فانا اعتدنا
للكافرين سعيرا حدثنا ابو محمد الخشنى الفقيه بقراءتى عليه قال حدثنا
الامام ابو على الطبرى قال حدثنا عبد الغافر الفارسى قال حدثنا ابن عمرو
يه قال حدثنا ابن سفيان قال حدثنا ابو الحسين قال حدثنا امية بن
بسطام قال حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا روح عن العلاء ابن عبد الرحمن
بن يعقوب عن ابيه عن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله
ويؤمنوا بى وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم واموالهم
الا بحقها وحسابهم على الله قال القاضى ابو الفضل رحمه الله والايمان
بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم هو تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه
فى جميع ما جاء به و ما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة
اللسان بانه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا اجتمع التصديق
به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق

له كما ورد في هذا الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر امرت ان اقاتل
الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد زاده
وضوحا في حديث جبريل اذ قال اخبرني عن الاسلام فقال النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وذكر اركان الاسلام ثم سئله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله و
ملئكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرر ان الايمان به عليه السلام
محتاج الى العقد بالجنان والاسلام به مضطر الى النطق باللسان وهذه
الحالة المحمودة التامة واما الحالة المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق
القلب وهو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك
لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
اي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم
يصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم ان يقولوا بالسنتهم ما ليس في قلوبهم ف
خرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم في حكمه اذ لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين
في الدرك الاسفل من النار وبقي عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة اللسان في
احكام الدنيا المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين الذين احكامهم على الظواهر
بما اظهروه من علامات الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا امروا
بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك وقال
هلا شققت عن قلبه والفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل
الشهادة من الاسلام والتصديق من الايمان وبقيت حالتان اخريان بين

هذين احدهما ان يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت الشهادة بلسانه
فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة ورآه بعضهم مؤمنا
مستوجبا للجنة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه
مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر سوى ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص
ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه الثانية ان يصدق بقلبه
ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره
ولا مرة فهذا اختلف فيه ايضا فقيل هو مؤمن لانه مصدق والشهادة من جملة
الاعمال فهو عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة
لسانه اذ الشهادة انشاء عقد والتزام ايمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم
التصديق مع المهلة الا بها وهذا هو الصحيح وهذه نبذة تفضي الى متسع من الكلام
في الاسلام والايمان وابوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان وهذا التجزء
ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وانما يرجع الى ما زاد عليه من عمل او قد يعرض
فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة
ودوام حالة وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض التاليف وفيما ذكرنا
غنية فيما قصدنا ان شاء الله تعالى **فصل واما وجوب طاعته** فاذا وجب الايمان
به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى يا ايها الذين
امنوا اطيعوا الله ورسوله وقال قل اطيعوا الله والرسول واطيعوا الله و
الرسول لعلكم ترحمون وقال وان تطيعوه تهتدوا وقال من يطع الرسول
فقد اطاع الله وقال وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال

من يطع الله والرسول فاولئك مع الذين الاية وقال وما ارسلنا من
رسول الا ليطاع باذن الله فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته
بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب
واوجب امتثال امره واجتناب نهيه قال المفسرون والائمة طاعة الرسول
في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا وما ارسل الله من رسول
الا فرض طاعته على من ارسله اليه وقالوا من يطع الرسول في سنته
يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرايع الاسلام فقال وما
اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قال السمرقندي يقال اطيعوا الله
في فرائضه والرسول في سنته وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول
فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة له
بالنبوة حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه قال حدثنا هاشم بن محمد قال
حدثنا ابو الحسن علي بن محمد بن خلف قال حدثنا محمد بن احمد قال حدثنا محمد بن يوسف
قال حدثنا البخاري قال حدثنا عبدان قال حدثنا عبد الله قال حدثنا يونس
عن الزهري قال حدثنا ابو سلمة بن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة رضي الله عنه
يقول ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع
الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى
اميري فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله امر بطاعته
فطاعته امتثال لما امر الله به وطاعة له وقد حكى الله تعالى عن الكفار في
دركات جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله

الله واطعنا الرسول فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال صلى الله
تعالى عليه وسلم اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم
وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه صلى الله تعالى عليه وسلم كل امتي يدخلون
الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى يا رسول الله قال من اطاعني دخل الجنة
ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث الاخر الصحيح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم مثلي و
مثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم اني رايت الجيش بعيني
واني انا النذير العريان فالنجا فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا
على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم
واجتاحهم فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب
بما جئت به من الحق وفي الحديث الاخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل
فيها مأدبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المأدبة ومن
لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المأدبة فالدار الجنة والداعي محمد صلى
الله تعالى عليه وسلم فمن اطاع محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فقد اطاع الله ومن عصى
محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فقد عصى الله تعالى ومحمد فرق بين الناس فصل
واما وجوب طاعته وامتثال سنته والاقتداء بهديه فقد قال الله
تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال تعالى
فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم
تهتدون وقال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الى
قوله تسليما اي ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم اذا انقاد فقال

الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم
الاخر الاية قال محمد بن علي الترمذي الاسوة في الرسول الاقتدا به واتباع سنته
وترك مخالفته في قول وفعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل
هو عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم
قال بمتابعة السنة فامرهم تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه
لان الله ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويهديهم الى صراط مستقيم ووعدهم محبته في الاية الاخرى ومغفرته
اذا اتبعوه وآثروه على اهوائهم وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم
بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه وروى عن الحسن
ان اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الاية وروي ان الاية نزلت في
كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد
حبا فانزل الاية وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا
طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه
بما امرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته ويقال الحب من
الله عصمة وتوفيق ومن العبد طاعة كما قال القائل
تعصي الاله وانت تظهر حبه   هذا لعمري في القياس بديع   لو كان
حبك صادقا لاطعته   ان المحب لمن يحب مطيع ويقال محبة العبد لله تعالى
تعظيم له وهيبة منه ومحبة الله للعبد رحمته وارادة الجميل له ويكون

بمعنى مدحه وثنائه عليه قال القشيري فاذا كان بمعنى الرحمة
والارادة والمدح كان من صفات الذات وسياتي في ذكر
محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن
جعفر الفقيه قال حدثنا ابو الاصبغ عيسى بن سهل وحدثنا
ابو الحسن يونس بن مغيث الفقيه بقراءتي عليه قالا حدثنا
حاتم بن محمد قال حدثنا ابرهيم بن موسى الجوزي قال حدثنا ابو
بكر الآجري قال حدثنا ابو حفص الجهني قال حدثنا داود بن رشيد
قال حدثنا الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان
عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر الكلاعي عن العرباض بن
سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال
فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها
بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة
ضلالة زاد في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة في النار وفي حديث
ابي رافع عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لا الفين احدكم متكئا على اريكته
ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا
في كتاب الله اتبعناه وفي حديث عائشة رضي الله عنها صنع رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ
ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فحمد الله تعالى ثم قال ما بال اقوام
يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم

له خشية وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال القران صعب
مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه
جاء مع القران ومن تهاون بالقران وحديثي خسر الدنيا والاخرة امرت
امتي ان ياخذ بقولي ويطيعوا امري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد
رضي بالقران قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه الاية وقال صلى
الله تعالى عليه وسلم من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني
وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان
احسن الحديث كتاب الله وخير الهدى هدي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قائمة
او فريضة عادلة وعن الحسن ابن ابي الحسن قال النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال صلى الله
تعالى عليه وسلم ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة يتمسك بها وعن ابي هريرة
عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال المتمسك بسنتي عند فساد امتي له اجر
مائة شهيد وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان بني اسرائيل افترقوا
على اثنتين وسبعين ملة وان امتي تفترق على ثلث وسبعين
كلها في النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي
انا عليه اليوم واصحابي وعن انس رضي الله عنه قال النبي صلى
الله عليه وسلم من احيا سنتي فقد احياني ومن احياني كان معي

معي وعن عمرو بن عوف المزني ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال
لبلال بن الحارث من احيا سنة من سنتي قد اميتت بعدي فان له
من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن ابتدع
بدعة ضلالة لا يرضى الله ورسوله كان عليه مثل اثام من عمل بها
لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيئا فصل واما ما ورد عن
السلف والائمة من اتباع سنته والاقتداء بسيرته وهديه فحدثنا
الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن العفيف سماعا عليه قال حدثنا
ابو عمر الحافظ قال حدثنا سعيد بن نصر قال حدثنا قاسم بن اصبغ و
وهب بن مسرة قالا حدثنا محمد بن وضاح قال حدثنا يحيى بن يحيى قال
حدثنا مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد بن اسيد انه سئل
عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلوة الخوف وصلوة
الحضر في القران ولا نجد صلوة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله
تعالى بعث الينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ولا نعلم شيئا فانما نفعل كما
رأيناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال
لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر
في رأي من خالفها فمن اقتدى بها مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها
واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا
وقال الحسن بن ابي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال

ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة
وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا السنة والفرائض واللحن
اى اللغة لعماله وقال ان ناسا يجادلونكم بالقران فخذوهم بالسنن
فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله وفي خبره حين صلى بذى الحليفة
ركعتين فقال اصنع كما رايت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصنع
وعن على رضي الله عنه حين قرن فقال له عثمان ترى انى انهى الناس
عنه وتفعل فقال لم اكن ادع سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لقول احد من الناس وعنه الا انى لست بنبى ولا يوحى الى ولكنى اعمل
بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما استطعت
وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول القصد فى السنة خير من
الاجتهاد فى البدعة وقال ابن عمر صلوة السفر ركعتان من خالف السنة
كفر وقال ابى بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من عبد
على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله
ابدا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله فى نفسه فا
فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها
فهى كذلك اذا اصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها الا حط الله عنه
خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فان اقتصادا فى سبيل وسنة
خير من اجتهاد فى خلاف سبيل وسنة وانظروا ان يكون عملكم ان كان
اجتهادا او اقتصادا ان يكون على منهاج الانبياء وسنتهم وكتب بعض عمال

بعض عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر بحال بلده وكثرة لصوصه هل ياخذهم
بالظنة او يحلفهم على البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم
بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله وعن عطاء
فى قوله فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول الى كتاب الله و
سنة رسوله عليه السلام وقال الشافعي رحمه الله ليس فى سنة رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا اتباعها وقال عمر رضي الله عنه ونظر
الى الحجر الاسود وقال انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا انى رايت رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله ورأى عبد الله بن
عمر يدير ناقته فى مكان فسئل عنه فقال ادرى الا انى رايت رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم ففعله ففعلته وقال ابو عثمان الحيرى من
امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه
نطق بالبدعة وقال سهل التسترى اصول مذهبنا ثلاثة الاقتداء بالنبى
صلى الله تعالى عليه وسلم فى الاخلاق والافعال والاكل من الحلال واخلاص
النية فى جميع الاعمال وجاء فى تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه انه
الاقتداء برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحكى ان احمد بن حنبل رحمه الله
قال كنت يوما فى جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن
بالله واليوم الاخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ولم اتجرد فرايت تلك الليلة
قائلا لى يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك اماما
يقتدى بك قلت من انت قال جبريل فصل ومخالفة امره وتبديل سنته

ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالعذاب والخذلان قال الله تعا فليحذر الذين
يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم وقال ومن يشاقق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى الاية حدثنا
ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتي عليهما قالا حدثنا ابو
القاسم حاتم بن محمد قال حدثنا ابو الحسن القابسي قال حدثنا ابو الحسن ابن
مسرور الدباغ قال حدثنا احمد بن ابي سليمان قال حدثنا سحنون بن سعيد حدثنا
ابن مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله تعا عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر الحديث في صفة امته وفيه
فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فاناديهم الا هلم الا هلم الا هلم
فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول فسحقا فسحقا فسحقا وروى انس
ان النبي صلى الله تعا عليه وسلم قال من رغب عن سنتي فليس مني وقال
من ادخل في امرنا ما ليس منه فهو رد وروى بن ابي رافع عن ابيه عن النبي
صلى الله تعا عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من
امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه
وزاد في حديث المقدام الا وان ما حرم رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم
مثل ما حرم الله قال عليه السلام وجيء بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا او قال
ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فنزلت او
لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب الاية قال صلى الله تعا عليه وسلم هلك
المتنطعون وقال ابو بكر رضي الله عنه لست تاركا شيئا كان رسول الله

الله صلى الله تعا عليه وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى ان تركت شيئا من
امره ان ازيغ

الباب الثاني في لزوم محبته صلى الله تعا عليه وسلم

قال بلغ
الله تعا قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال
اقترفتموها الاية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على التزام محبته
ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها عليه السلام اذ قرع
الله من كان ماله وولده واحب اليه من الله ورسوله واوعدهم
بقوله فتربصوا حتى ياتي الله بامره ثم فسقهم بتمام الاية واعلمهم انهم
ممن ضل ولم يهده الله تعا حدثنا ابو علي الغساني الحافظ فيما اجازنيه و
هو مما قراته على غير واحد قال حدثنا سراج بن عبد الله القاضي حدثنا ابو
محمد الاصيلي حدثنا المروزي حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا محمد
ابن اسماعيل حدثنا يعقوب بن ابرهيم حدثنا بن علية عن عبد العزيز بن صهيب
عن انس ان رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى
احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وعن ابي هريرة رضي الله
عنه نحوه وعن انس رضي الله عنه عنه صلى الله تعا عليه وسلم ثلاث
من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما
سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان
يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله تعا
عليه وسلم لانت احب الي من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى
الله تعا عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذي

انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم الآن يا عمر قال سهل من لم ير ولاية الرسول صلى الله تعالى
عليه وسلم في جميع الاحوال ويرى نفسه في ملكه عليه السلام لا يذوق حلاوة
سنته لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من
نفسه الحديث فصل في ثواب محبته صلى الله تعالى عليه وسلم
حدثنا ابو محمد بن عتاب بقرائتي عليه حدثنا ابو القاسم حاتم بن
محمد حدثنا ابو الحسن علي بن خلف حدثنا ابو زيد المروزي حدثنا محمد
بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبدان حدثنا ابي حدثنا شعبة
عن عمرو بن مرة عن سالم ابن ابي الجعد عن انس رضي الله عنه ان رجلا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول الله فقال
ما اعددت لها من كثير صلوة ولا صوم ولا صدقة ولكني احب الله تعالى
ورسوله قال انت مع من احببت وعن صفوان بن قدامه قال هاجرت الى النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك ابايعك
فناولني يده فقلت يا رسول الله اني احبك فقال المرء مع من احب و
روى هذا اللفظ عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عبد الله بن مسعود وابو
موسى وانس رضي الله عنهم وعن ابي ذر رضي الله عنه بمعناه وعن علي رضي الله
عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين فقال من
احبني واحب هاذين وابا هما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة و
روى ان رجلا اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب

لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك فما اصبر حتى اجيء فانظر
اليك واني ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة
رفعت مع النبيين وان دخلتها لا اراك فانزل الله ومن يطع الله
والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فدعا به فقراها عليه
وفي حديث اخر كان رجل عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ينظر اليه
لا يطرف فقال ما بالك فقال بابي انت وامي يا رسول الله اتمتع
من النظر اليك فاذا كان يوم القيمة رفعك الله بتفضيله فانزل
الله الاية وفي حديث انس رضي الله عنه من احبني كان معي في
الجنة فصل في ما روي عن السلف والائمة من محبتهم للنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وشوقهم له حدثنا القاضي الشهيد قال
حدثنا العذري حدثنا الرازي حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفيان
حدثنا مسلم حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل
عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم قال من اشد امتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم لو رآني
باهله وماله ومثله عن ابي ذر رضي الله عنه تقدم حديث عمرو قوله
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانت احب الي من نفسي وما تقدم عن الصحابة
في مثله وعن عمرو بن العاص ما كان احد احب الي من رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد

يأوى الى فراشه الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
والى اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم اصلى وفصلى واليهم
يحن قلبى طال شوقى اليهم فعجل رب قبضى اليك حتى يغلبه النوم وروى
عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والذى
بعثك بالحق لاسلام ابى طالب كان اقر لعينى من اسلامه يعنى اباه ابا قحافة
وذلك ان اسلام ابى طالب كان اقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب
رضى الله عنه قاله للعباس ان تسلم احب الى من ان يسلم الخطاب لان ذلك
احب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن ابن اسحاق ان امرأة
من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا
خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت ارونيه حتى انظر اليه فلما رأته قالت
كل مصيبة بعدك جلل وسئل على بن ابى طالب رضى الله عنه كيف كان
حبكم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان والله احب الينا من
اموالنا واولادنا وابنائنا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ وعن زيد
بن اسلم خرج عمر ليلة يحرس فرأى مصباحا فى بيت واذا عجوز تنفش صوفا
وتقول على محمد صلوة الابرار صلى عليه الطيبون الاخيار قد كنت
قواما بكاء بالاسحار يا ليت شعرى والمنايا اطوار هل تجمعنى وحبيبى
الدار تعنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فجلس عمر رضى الله عنه يبكى وفى
الحكاية طول وروى ان عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل اذكر احب

الناس اليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت رجله ولما احتضر
بلال نادت امرأته واحرباه فقال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا
وحزبه ويروى ان امرأة قالت لعائشة رضى الله عنها اكشفى لى قبر
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت
ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له ابو سفيان
بن حرب انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمدا الان عندنا فى مكانك
تضرب عنقه وانك فى اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الان
فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة وانى جالس فى اهلى فقال ابو
سفيان ما رأيت احدا من الناس يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا وعن
ابن عباس رضى الله عنهما كانت المرأة اذا اتت النبى صلى الله تعالى عليه و
سلم حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بارض دون
ارض ولا خرجت الا حبا لله ولرسوله ووقف ابن عمر على ابن الزبير
بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله ما علمت صواما قواما تحب
الله ورسوله فصل فى علامة محبته صلى الله تعالى عليه وسلم اعلم
ان من احب شيئا آثره وآثر موافقته والا لم يكن صادقا فى حبه وكان
مدعيا فالصادق فى حب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من تظهر علامة ذلك
عليه واولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع اقواله وافعاله
وامتثال اوامره واجتناب نواهيه والتادب بادابه فى عسره ويسره
ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله

فاتبعوني يحببكم الله وايثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة
شهوته قال تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر
اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو
كان بهم خصاصة واسخاط العباد في رضى الله تعالى حدثنا القاضي
ابو علي الحافظ حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون
قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي قال حدثنا ابو علي السنجي قال حدثنا محمد بن
بن محبوب قال حدثنا ابو عيسى قال حدثنا مسلم بن حاتم قال حدثنا محمد بن
عبد الله الانصاري عن ابيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال
انس بن مالك قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا بني ان قدرت
ان تمسي وتصبح ليس في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من
سنتي ومن احيى سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة فمن اتصف
بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ولرسوله ومن خالفها في بعض هذه
الامور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله قوله صلى الله تعالى
عليه وسلم في الذي حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن
علامات محبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كثرة ذكره فمن احب شيئا اكثر
ذكره ومنها كثرة شوقه الى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث
الاشعريين عند قدومهم المدينة انهم كانوا يرتجزون غدا نلقى
الاحبة محمدا وصحبه وتقدم قول بلال وكما قال عمار قبل قتله وما ذكرناه

ذكرناه من قصة خالد بن معدان ومن علامته مع كثرة ذكره تعظيمه
له وتوقيره عند ذكره واظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه
قال اسحاق التجيبي كان اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعده لا يذكرونه
الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين منهم
من يفعل ذلك محبة له وشوقا اليه ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا
ومنها محبته لمن احب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومن هو بسببه من آل بيته
وصحابته من الانصار والمهاجرين وعداوة من عاداهم وبغض من
ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب من يحب وقد قال صلى الله تعالى عليه
وسلم في الحسن والحسين اللهم اني احبهما فاحبهما وفي رواية في الحسن
فاحب من يحبه وقال من احبهما فقد احبني ومن احبني فقد احب الله
ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله وقال الله الله
في اصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن احبهم فبحبي احبهم فببغضي ابغضهم ومن
اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك
ان ياخذه وقال في فاطمة انها بضعة مني يغضبني ما اغضبها وقال لعائشة
في اسامة بن زيد فاني احبه وقال اية الايمان حب الانصار واية النفاق
بغضهم وفي حديث ابن عمر من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي
ابغضهم فبالحقيقة من احب شيئا احب كل شيء يحبه وهذه سيرة
السلف حتى في المباحات وشهوات النفس وقد قال انس رضي الله
عنه حين راى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة

فما زالت احب الدباء من يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس
وابن جعفر اتوا سلمى وسئلوها ان تصنع لهم طعاما مما كان يعجب رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ با
لصفرة اذ راى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل نحو ذلك و
منها بغض من يبغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف
سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل امر يخالف شريعته قال
تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله و
رسوله وهؤلاء اصحابه عليه السلام قد قتلوا احباءهم وقاتلوا اباءهم وابناءهم
في مرضاته وقال له عبد الله بن عبد الله بن ابي لو شئت لاتيتك براسه
يعني اباه ومنها ان يحب القران الذي اتى به صلى الله تعالى عليه وسلم وهدى
به واهتدى وتخلق به حتى قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه
القران وحبه للقران تلاوته والعمل به ويحب سنته
ويقف عند حدودها قال سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القران
وعلامة حب الله وحب القران حب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلامة
حب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حب السنة وعلامة حب النبي حب
السنة وعلامة حب الاخرة وعلامة حب الاخرة بغض الدنيا وعلامة
بغض الدنيا الا يدخر منها الا زادا وبلغة الى الاخرة وقال ابن مسعود
لا يسئل احد عن نفسه الا القران فان كان يحب القران فهو يحب الله و
رسوله ومن علامة حبه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم شفقته على امته

على امته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار عنهم كما كان
صلى الله تعالى عليه وسلم بالمؤمنين رؤفا رحيما ومن علامة تمام محبته
زهد مدعيها في الدنيا وايثاره الفقر واتصافه وقد قال صلى
الله تعالى عليه وسلم لابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان الفقر الى من
يحبني منكم اسرع من السيل من اعلا الوادي او الجبل الى اسفله وفي حديث
عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا رسول الله
اني احبك قال انظر ماذا تقول قال والله اني احبك ثلث مرات
قال ان كنت تحبني فاعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد
بمعناه فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وحقيقتها
اختلف الناس في معنى تفسير محبة الله ومحبة رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم فكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع في الحقيقة
الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف فقال سفيان المحبة اتباع الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم كانه التفت الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني الاية وقال بعضهم محبة الرسول اعتقاد نصرته و
الذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم
المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال اخر ايثار المحبوب وقال بعضهم المحبة
الشوق الى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب لمراد الرب
يحب ما احب ويكره ما كره وقال اخر المحبة ميل القلب الى موافق له و
اكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة

حقيقتها

المحبة الميل الى ما يوافق الانسان وتكون موافقته له اما لاستلذاذه
بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة
واشباهها مما يميل كل طبع سليم مائل اليها لموافقتها له او لاستلذاذه
بادراكها بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كمحبة الصالحين
والعلماء واهل المعروف والماثور عنهم السير الجميلة والافعال الحسنة
فان طبع الانسان مائل الى الشغف بامثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب
بقوم لقوم والتشيع من امة في اخرين ما يؤدي الى الجلاء عن الاوطان
وهتك الحرم واخترام النفوس او يكون حبه اياه لموافقته له من
جهة احسانه له وانعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من احسن
اليها فاذا تقرر لك هذا نظرت هذه الاسباب كلها في حقه صلى الله
تعالى عليه وسلم فعلمت انه عليه السلام جامع لهذه المعاني الثلاثة
الموجبة للمحبة اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن
فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة واما
احسانه وانعامه على امته فكذلك وقد مر منه في اوصاف
الله تعالى له من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم
واستنقاذهم به من النار وانه بالمؤمنين رؤوف رحيم ورحمة
للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه ويتلو عليهم اياته
ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم فاي
احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الى جميع المؤمنين واي افضال

افضال اعم منفعة واكثر فائدة من انعامه على كافة المسلمين اذ كان
ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم الى الفلاح والكرامة ووسيلتهم
الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم
والنعيم السرمد فقد استبان لك انه صلى الله تعالى عليه وسلم مستوجب
للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الاثار وعادة وجبلة بما ذكرناه
انفا لافاضته الاحسان وعمومه الاجمال فاذا كان الانسان يحب
من منحه في الدنيا مرة او مرتين معروفا او استنقذه من هلكة او
مضرة مدة التاذي بها قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه
ما لا يفنى من عذاب الجحيم اولى بالحب واذا كان يحب بالطبع ملك لحسن
سيرته او حاكم لما يؤثر عنه من قوام طريقته او قاص بعيد الدار لما يشاد
من علمه او كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال احق بالحب
واولى بالميل وقد قال علي رضي الله عنه في صفته صلى الله تعالى عليه وسلم
من راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه وذكرنا عن بعض الصحابة
انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله تعالى عليه وسلم فصل في
مناصحته صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون
ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله
غفور رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا
مسلمين مخلصين في السر والعلانية حدثنا الفقيه ابو الوليد بقراءتي عليه
قال حدثنا حسين بن محمد قال حدثنا يوسف بن عبد الله قال حدثنا ابن عبد المؤمن

قال حدثنا ابو بكر النجار قال حدثنا ابو داود قال حدثنا احمد بن يونس قال
زهير قال حدثنا سهيل بن صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة
ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة
المسلمين وعامتهم عامة قال الامام ابو سليمان البستي النصيحة كلمة يعبر
بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة
تحصرها ومعناها في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته
من شمعه وقال ابو بكر ابن ابي اسحاق الخفاف النصح فعل الشيء الذي به
الصلاح والملائمة ماخوذ من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به الثوب
وقال ابو اسحاق الزجاج نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية
ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد
من مساخطه والاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما
فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده وتعظيمه له وتفهمه والتفقه فيه والذب
عنه من تاويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته
وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه قاله ابو سليمان وقال ابو بكر وموازرته
ونصرته وحمايته حيا وميتا واحياء سنته بالطلب والذب عنها ونشرها
والتخلق باخلاقه الكريمة وادابه الجميلة وقال ابو ابرهيم اسحاق التجيبي نصيحة
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التصديق بما جاء به الاعتصام بسنته ونشر
ها والحض عليها والدعوة الى الله والى كتابه والى رسوله واليها والى العمل

الى العمل بها وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابو بكر الاجري وغيره النصح له يقتضي نصحين
نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة
من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس والاموال دونه كما قال تعالى رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه الاية وقال وينصرون الله ورسوله الاية واما نصيحة
المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة على
تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة ال بيته واصحابه ومجانبة من رغب
عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة على امته والبحث
عن تعرف اخلاقه وسيره وادابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة
احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمنا وحكى الامام ابو القاسم القشيري
ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رئي
في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل بماذا قال صعدت ذروة
جبل فاشرفت على جنودي فاعجبتني كثرتهم فتمنيت اني حضرت رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم فاعنته ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي واما النصح
لائمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وامرهم اياه على احسن وجه وتنبيههم
على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من امور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وافساد
قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم في امر دينهم و
دنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر
عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم الباب الثالث في تعظيم امره ووجوب بلغ

لتوقيره وبره قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه الاية وقال يا ايها الذين امنوا
لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ويا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي الثلاث الايات وقال لا تجعلوا دعاء الرسول كدعاء
بعضكم بعضا فاوجب تعالى توقيره وتعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه
تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش تنصروه وقال الطبري تعينوه وقرئت تعززوه
بزائين من العز ونهي عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب بسبقه بالكلام
على قول ابن عباس رضي الله عنهما وغيره وهو اختيار ثعلب وقال سهل بن
عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فانصتوا له واستمعوا ونهوا
عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضائه فيه وان يفتاتوا بشيء من
ذلك من قتال او غيره من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به الى هذا
يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري ثم وعظهم و
وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله يعني في التقدم وقال السلمي اتقوا
الله في اهمال حقه وتضييع حرمته انه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم
عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع
صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه قال ابو محمد مكي اي لا تسابقوه بالكلام
وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه
ووقروه ونادوه باشرف ما يجب ان ينادى به يا رسول الله يا نبي الله
وهذا كقوله في الاية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول كدعاء بعضكم

بعضكم بعضا على احد التاويلين وقال غيره لا تخاطبوه مستفهمين ثم خوفهم
الله تعالى بحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الاية في
وفد بني تميم وقيل في غيرهم اتوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فنادوه يا
محمد يا محمد اخرج الينا فذمهم الله بالجهل ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون
وقيل نزلت الاية الاولى في محاورة كانت بين ابي بكر وعمر بين يدي النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما وقيل
نزلت في ثابت ابن قيس بن شماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم
وكان في اذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الاية اقام
في منزله وخشي ان يكون حبط عمله واتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال يا نبي الله لقد خشيت ان اكون هلكت نهانا الله ان نجهر بالقول
وانا امرؤ جهير الصوت فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا ثابت اما
ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروي
ان ابا بكر رضي الله عنه لما نزلت هذه الاية قال والله يا رسول الله لا
اكلمك بعد هذا الا كاخي السرار وان عمر كان اذا حدثه حدثه كاخي السرار
ما كان يسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد هذه الاية حتى يستفهمه
فانزل الله تعالى فيهم ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك
الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم وقيل نزلت ان
الذين ينادونك من وراء الحجرات في غير بني تميم نادوه باسمه وروى
صفوان بن عسال بينا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي

بصوت له جهوري يا محمد يا محمد فقلنا له اغضض من صوتك
فانك قد نهيت عن رفع الصوت وقال الله تعالى يا ايها الذين
لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الانصار
نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتبجيلا له
لان معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها كانهم لا
يرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود
تعرض بها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون عن
قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة
اللفظة وقيل غير هذا فصل في عادة الصحابة في تعظيمه عليه السلام
وتوقيره واجلاله حدثنا القاضي ابو علي الصدفي وابو بحر الاسدي
سماعي عليهما في آخرين قالوا حدثنا احمد بن عمر حدثنا احمد بن الحسين
حدثنا محمد بن عيسى حدثنا ابرهيم بن سفيان حدثنا مسلم حدثنا محمد
بن المثنى وابو معن الرقاشي واسحق بن منصور حدثنا الضحاك بن مخلد
حدثنا حيوة بن شريح حدثني يزيد بن ابي حبيب عن ابن شماسة المهري قال
حضرنا عمرو بن العاص فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان
احد احب الي من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا اجل في
عيني منه وما كنت اطيق ان املا عيني منه اجلالا له ولو سئلت
ان اصفه ما اطقت لاني لم اكن املا عيني منه وروى الترمذي عن
انس ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخرج على اصحابه من

من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد
منهم اليه بصره الا ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فانهما كانا ينظران
اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما وروى اسامة بن شريك
قال اتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه حوله كانما على رؤسهم
الطير وفي حديث صفته اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم
الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية الى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورأى تعظيم اصحابه له ما رأى
وانه ما يتوضأ الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق
بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم واجساد
هم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا امرهم بامر ابتدروا امره
واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له فلما
رجع الى قريش قال يا معشر قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر
في ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما رايت ملكا في قوم قط مثل
محمد في اصحابه وفي رواية ان رايت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم
محمدا اصحابه وقد رايت قوما لا يسلمونه ابدا وعن انس رضي الله عنه لقد
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه وطاف به اصحابه فما يريدون
ان يقع شعرة الا في يد رجل ومن هذا لما اذنت قريش لعثمان في
الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اليهم في
القضية ابا وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم وفي حديث طلحة ان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه
فسأله واعرض عنه اذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه و
سلم هذا ممن قضى نحبه وفي حديث قيلة فلما رايت رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم جالسا القرفصاء أُرْعدت من الفرق وذلك هيبة
له وتعظيما له وفي حديث المغيرة كان اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه
يقرعون بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب لقد كنت اريد ان
اسأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الامر فاوخره سنين
من هيبته فصل واعلم ان حرمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره
عليه الصلوة والسلام وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته و
معاملة آله وعترته وتعظيم اهل بيته وصحابته قال ابو ابرهيم التجيبي
واجب على كل مؤمن متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر
ويسكن من حركته وياخذ في هيبته واجلاله بما كان يأخذ به نفسه
لو كان بين يديه ويتادب بما ادبنا الله به قال القاضي ابو الفضل رحمه
الله وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وأئمتنا الماضيين رضي الله
عنهم حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري وابو
القاسم احمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما اجازونيه قالوا اخبرنا ابو
العباس احمد بن عمر بن دلهاث قال حدثنا ابو الحسن علي بن فهر حدثنا

حدثنا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج حدثنا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب حدثنا
يعقوب بن اسحاق بن ابي اسرائيل حدثنا ابن حميد قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين
مالكا في المسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له مالك يا امير
المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوما
فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية ومدح قوما فقال ان
الذين يغضون اصواتهم الاية وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من
وراء الحجرات الاية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر
وقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعوا ام استقبل رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك
ووسيلة ابيك ادم عليه السلام الى الله يوم القيمة بل استقبله واستشفع
به فيشفعك الله قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الاية قال مالك
وقد سئل عن ايوب السختياني ما حدثتكم عن احد الا وايوب افضل
منه قال وحج حجتين فكنت ارمقه ولا اسمع منه غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بكى حتى ارحمه فلما رايت منه ما رايت واجلاله للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان مالك اذا ذكر النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما في
ذلك فقال لو رايتم ما رايت لما انكرتم علي ما ترون لقد كنت ارى محمد بن المنكدر
وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث ابدا الا يبكي حتى نرحمه لقد كنت
ارى جعفر بن محمد الصادق وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عند النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم اصفر وما رايته يحدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه
الا على طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه الا على ثلاث خصال اما
مصليا واما صامتا واما يقرء القران ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء
والعباد الذين يخشون الله تعالى ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فننظر الى لونه كانه نزف منه الدم وقد جف لسانه
في فمه هيبة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولقد كنت اتي عامر بن عبد
الله بن الزبير فاذا ذكر عنده النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكى حتى لا يبقى
في عينيه دموع ولقد رايت الزهري وكان من اهنا الناس واقربهم
فاذا ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فكانه ما عرفك ولا عرفته و
لقد كنت اتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فاذا
ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه
ويتركوه وروى عن قتادة رضي الله عنه انه كان اذا سمع الحديث اخذه
العويل والزويل ولما كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت مستمليا
يسمعهم فقال قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي وحرمته صلى الله تعالى عليه وسلم حيا وميتا سواء وكان
عبد الرحمن بن مهدي اذا قرء حديث رسول الله وسلم امرهم بالسكوت
وقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ويتاول انه يجب له من
الانصات عند قراءة الحديث ما يجب له عند سماع قوله صلى الله تعالى
عليه وسلم فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسنته حدثنا الحسين بن محمد
الحافظ حدثنا ابو الفضل بن خيرون حدثنا ابو البرقاني وغيره
حدثنا ابو الحسن الدارقطني حدثنا علي بن مبشر حدثنا احمد بن سنان
القطان حدثنا يزيد بن هارون حدثنا المسعودي عن مسلم البطين
عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود سنة فما سمعته
يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا انه حدث يوما فجرى
على لسانه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رايت
العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا ان شاء الله او فوق ذا او ما
دون ذا او ما قريب من ذا وفي رواية فتربد وجهه وفي رواية و
قد تغرغرت عيناه وانتفخت اوداجه وقال ابرهيم بن عبد الله بن
قريم الانصاري قاضي المدينة مر مالك بن انس على ابي حازم وهو يحدث
فجازه وقال اني لم اجد موضعا اجلس فيه فكرهت ان اخذ حديث رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا قائم وقال جاء رجل الى ابن المسيب
فسئله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت
انك لم تتعن فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله
وانا مضطجع وروى عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده
حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خشع وقال ابو مصعب
كان مالك بن انس لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم الا وهو على وضوء اجلالا له وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد

وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس اذا احدث عن رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم يتوضأ ويتهيأ ويلبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسئل
عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال مطرف
كان اذا اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ
تريدون الحديث او المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث
دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع
على رأسه رداءه وتلقا له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال
يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال غيره
ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال
ابن ابي اويس فقيل لمالك في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ولا احدث به الا على طهارة متمكنا قال وكان يكره ان يحدث في الطريق
او هو قائم او مستعجل وقال احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ولا احدث به الا على طهارة متمكنا قال ضرار بن مرة كانوا يكرهون ان
يحدثوا الحديث على غير وضوء ونحوه عن قتادة وكان الاعمش اذا حدث على
غير وضوء يتيمم وقتادة لا يحدث الا على طهارة ولا يقرا حديث النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم الا على وضوء قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك وهو
يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع
حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه
الناس قلت يا ابا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبا قال نعم صبرت اجلالا لحديث

لحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن مهدي مشيت مع مالك
يوما الى العقيق فسألته عن حديث فانتهرني وقال لي كنت في عيني اجل
من ان تسئل عن حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نمشي
وسئله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم فامر بحبسه
فقيل له انه قاض قال القاضي احق من ادب وذكر ان هشام بن الغاز
سال مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم اشفق
فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا ويزيدني
حديثا قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث
الا وهما طاهران وكان قتادة يستحب ان لا يقرا احاديث رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة وكان
الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم فصل ومن توقيره صلى
الله تعالى عليه وسلم وبره بر آله وذريته وامهات المؤمنين ازواجه
كما حض عليه عليه السلام وسلكه السلف الصالحين رضي الله عنهم
قال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وقال تعالى
وازواجه امهاتهم الاية اخبرنا الشيخ ابو محمد بن احمد العدل من كتابه و
كتبت من اصله حدثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتني ام القاسم بنت
الشيخ ابي بكر الخفاف قالت حدثني ابي قال حدثنا حاتم هو ابن عقيل حدثنا
يحيى هو ابن اسمعيل حدثنا يحيى هو الحماني حدثنا وكيع عن ابيه عن سعيد بن
مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم انشدكم الله واهل بيتي ثلاثا قلنا لزيد من اهل بيته قال
آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وقال عليه السلام اني تارك
فيكم ما ان اخذتم لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف
تخلفوني وقال عليه السلام معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد
جواز على الصراط والولاية لآل محمد امان من العذاب قال بعض العلماء معرفتهم
هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واذا عرفهم بذلك عرف وجوب
حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمرو بن ابي سلمة لما نزلت انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت الآية وذلك في بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا و
حسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب
عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه لما
نزلت آية المباهلة دعا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا
وفاطمة وقال اللهم هؤلاء اهلي وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في علي من
كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا
يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وقال للعباس رضي الله عنه والذي
نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ورسوله ومن اذى
عمي فقد اذاني وانما عم الرجل صنو ابيه وقال للعباس اغد علي يا عم مع
ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته وقال هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل
بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم فامنت اسكفة الباب وحوائط
البيت آمين آمين وكان يأخذ اسامة بن زيد والحسن ويقول اللهم اني احبهما

احبهما فاحبهما وقال ابو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا في اهل بيته وقال
ايضا والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احب
الي ان اصل من قرابتي وقال صلى الله تعالى عليه وسلم احب الله من احب
حسنا وحسينا وقال من احبني واحب هذين واشار الى حسن و
حسين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة وقال صلى الله
تعالى عليه وسلم من اهان قريشا اهانه الله وقال قدموا قريشا ولا
تقدموها وقال عليه السلام لام سلمة لا تؤذيني في عائشة و
عن عقبة بن الحارث رايت ابا بكر رضي الله عنه وجعل الحسن على
عنقه وهو يقول بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك
وروى عن عبد الله بن حسن بن حسين قال اتيت عمر بن عبد العزيز
في حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة فارسل الي او اكتب فاني
استحي من الله ان يراك على بابي وعن الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة
امه ثم قربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد
فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله فقال هكذا ان
نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان
نفعل باهل بيت نبينا ورأى ابن عمر محمد بن اسامة بن زيد فقال
ليت هذا عبدي فقيل له هو محمد بن اسامة فطأطأ ابن عمر
راسه ونقر بيده الارض وقال لو رآه رسول الله صلى الله
عليه وسلم لاحبه وقال الاوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها
مولى لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى جعل يدها بين
يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه وجلس
بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضيها ولما فرض عمر بن الخطاب
رضي الله عنه لابنه عبد الله في ثلثة الاف ولاسامة بن زيد في
الاف وخمسمائة قال عبد الله لابيه لم فضلته فوالله ما سبقني
الى مشهد فقال له لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم من ابيك واسامة احب اليه منك فاثرت حب رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم على حبي وبلغ معاوية رضي الله عنه ان
كابس بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما دخل
عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه
المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وروى
ان مالكا رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل
مغشيا عليه دخل عليه الناس فافاق وقال اشهدكم اني جعلت ضاربي
في حل فسئل بعد ذلك فقال اني خفت ان اموت فالقى النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم فاستحيي منه ان يدخل بعض آله النار بسببي و
قيل ان المنصور اقاده من جعفر فقال له اعوذ بالله والله ما ارتفع
منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابو بكر بن عياش لو اتاني ابو بكر وعمر رضي الله

رضي الله عنه وعلي لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم ولان اخر من السماء الى الارض احب الي من ان اقدمه
عليهما وقيل لابن عباس رضي الله عنهما ماتت فلانة لبعض ازواج النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد هذه الساعة فقال اليس
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا رايتم اية فاسجدوا واي اية
اعظم من ذهاب ازواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان ابو بكر وعمر رضي
الله عنهما يزوران ام ايمن مولاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويقولان كان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة السعدية على
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفي وفدت
على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فصنعا بها مثل ذلك فصل ومن توقيره
وبره صلى الله تعالى عليه وسلم توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم
والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والامساك عما شجر
بينهم ومعاداة من عاداهم والاضراب عن اخبار المؤرخين وجهلة الرواة
وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في واحد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل
من مثل فيما كان بينهم من الفتن احسن التاويلات ويخرج لهم اصوب المخارج
اذهم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمض عليه امر بل تذكر حسناتهم
وفضائلهم وحميد سيرتهم ويسكت عما وراء ذلك كما قال عليه السلام اذا
ذكر اصحابي فامسكوا قال تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار
الى اخر السورة وقال والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الاية

وقال لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم
وقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية حدثنا القاضي ابو علي حدثنا ابو
الحسين وابو الفضل حدثنا ابو يعلى حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب
حدثنا الترمذي حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا سفيان بن عيينة عن زائدة
عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال قال رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر
رضي الله عنهما وقال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل اصحابي
كالملح في الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال الله الله في اصحابي لا
تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم
ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله
يوشك ان ياخذه وقال لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد
ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال من سب اصحابي فعليه لعنة
الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال
اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال في حديث جابر ان الله اختار اصحابي
على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم اربعة ابا
بكر وعمر وعثمان وعليا رضي الله عنهم فجعلهم خير اصحابي وفي كلهم خير
وقال مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء
المسلمين حق ونزع باية الحشر والذين جاءوا من بعدهم الاية وقال من

١٤٦

من غاظه اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله
بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب اصحاب محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم وقال ايوب السختياني من احب ابا بكر فقد اقام الدين و
من احب عمر فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء بنور الله
ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء على اصحاب محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص احدا منهم فهو
مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح واخاف ان لا يصعد له
عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما وفي حديث خالد بن
سعيد ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ايها الناس اني راض عن ابي
بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس اني راض عن عمر وعثمان وعن علي
وعن طلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا
لهم ذلك ايها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس
احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة
فانها مظلمة لا توهب في القيمة غدا وقال رجل للمعافى بن عمران اين عمر
ابن عبد العزيز من معاوية فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم احد معاوية رضي الله عنه صاحبه وصهره وكاتبه وامينه
على وحي الله واتي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه
وقال كان يبغض عثمان فابغضه الله وقال عليه السلام في الانصار اعفوا
عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم وقال احفظوني في اصحابي واصهاري فانه

من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى
الله منه ومن تخلى الله منه يوشك ان يأخذه وعنه عليه وسلم من
حفظني في اصحابي كنت له حافظا يوم القيمة وقال من حفظني في اصحابي
ورد على الحوض ومن لم يحفظني في اصحابي ولم يرد على الحوض ولم يرني
الا من بعيد قال مالك رحمه الله هذا النبي مؤدب بالخلق الذي هدانا
الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم
ويستغفر كالمودع لهم وبذلك امره الله وامر النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم وروى عن كعب ليس
احد من اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا له شفاعة يوم القيمة وطلب
من المغيرة ابن نوفل ان يشفع له يوم القيمة قال سهل بن عبد الله
التستري لم يؤمن بالرسول من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره فصل
ومن اعظامه واكباره اعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته
من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه عليه السلام او عرف به وروي
عن صفية بنت نجدة قالت كان لابي محذورة قصة في مقدم راسه اذا
قعد وارسلها اصابت الارض فقيل الا تحلقها فقال لم اكن بالذي احلقها
وقد مسها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده وكانت في قلنسوة
خالد بن الوليد شعرات من شعره عليه السلام فسقطت قلنسوته
في بعض حروبه فشد عليها شدة انكر عليه اصحاب النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته

١٤٧

تضمنته من شعره عليه السلام لئلا اسلب بركتها وتقع في ايدي المشركين
وروى ابن عمر واضعا يده على مقعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من المنبر ثم وضعها
على وجهه ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول
استحيي من الله ان اطأ تربة فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحافر
دابة وروي عنه انه وهب للشافعي كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي
امسك منها دابة فاجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي
عن احمد بن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة الرماة انه قال ما مسست
القوس بيدي الا على طهارة منذ بلغني ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اخذ القوس بيده وقد افتى مالك فيمن قال تربة المدينة ردية يضرب
ثلاثين درة وامر بحبسه وكان له قدر وقال ما احوجه الى ضرب عنقه
تربة دفن فيها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يزعم انها غير طيبة وفي
الصحيح انه قال عليه السلام في المدينة من احدث فيها حدثا او اوى محدثا
فعليه لعنة الله والملئكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا
وحكي ان جهجاها الغفاري اخذ قضيب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من يد عثمان
رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فوقعت فيها الاكلة فقطعها ومات قبل الحول
وقال عليه السلام من حلف على منبري كاذبا فليتبوأ مقعده من النار
وحدثت ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها
ترجل ومشى باكيا منشدا ولما راينا رسم من لم يدع لنا فؤادا لعرفان الرسوم
ولا لبا نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة لمن بان عنه ان نلم به ركبا وحكي

عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة رسول الله صلى الله تعالى عليه و
سلم انشا يقول متمثلا رفع الحجاب لنا فلاح لناظر قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطى بنا بلغن محمدا فظهورهن على الرجال حرام قربننا من خير من
وطئ الثرا فلها علينا حرمة وذمام وحكى عن بعض المشايخ انه حج ماشيا
فقيل له فى ذلك فقال العبد الابق لا ياتى الى بيت مولاه راكبا لو قدرت
ان امشى على راسى ما مشيت على قدمى قال
القاضى ابو الفضل رحمه الله وجدير لمواطن عمرت بالوحى والتنزيل
وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملئكة والروح وضجت عرصاتها
بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على سيد جسد البشر وانتشر عنها من
دين الله وسنة رسوله ما انتشر مدارس ايات ومساجد وصلوات
ومشاهد الفضل والخير ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين
ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين ومتبوا خاتم النبيين
حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة واول
ارض مس جلد المصطفى ترابها ان تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل
ربوعها وجدرانها يا دار خير المرسلين ومن به هدى الانام وخص بالايات
عندى لاجلك لوعة وصبابة وتشوق متوقد الجمرات وعلى عهد ان ملأت
محاجرى من تلكم الجدران والعرصات لاعفرن مصون شيبى بينها
من كثرة التقبيل والرشفات لولا العوادى والاعادى زرتها ابدا ولو
سحبا على الوجنات لكن ساهدى من حفيل تحيتى لقطين تلك الدار والحجرات

والحجرات اذكا من المسك المفتق نفحة تغشاه بالاصال والبكرات وتخصه
بزواكى الصلوات ونوامى التسليم والبركات الباب الرابع فى بلغ
حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته قال الله تعالى
ان الله وملئكته يصلون على النبى الاية قال ابن عباس معناه ان الله وملئكته
يباركون على النبى وقيل ان الله يترحم على النبى وملئكته يدعون له قال
المبرد واصل الصلوة الترحم فهى من الله رحمة ومن الملئكة رقة واستدعاء
للرحمة من الله وقد ورد فى الحديث صفة صلوة الملئكة على من جلس
ينتظر الصلوة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء وقال بكر القشيرى
الصلوة من الله تعالى لمن دون النبى رحمة وللنبى صلى الله تعالى عليه وسلم
تشريف وزيادة تكرمة قال ابو العالية صلوة الله ثناؤه عليه عند ال
الملئكة وصلوة الملئكة الدعاء قال القاضى ابو الفضل وقد فرق النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث تعليم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة
ولفظ البركة فدل انهما بمعنيين واما التسليم الذى امر الله تعالى به عباده
فقال القاضى ابو بكر بن بكير نزلت هذه الاية على النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم فامر الله اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا
ان يسلموا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره
وفى معنى السلام عليه ثلاثة وجوه احدها السلامة لك ومعك وتكون
السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثانى اى السلام على حفظك ورعايتك
متول له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم الله الثالث ان السلام بمعنى

المسالمة له والانقياد كما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما

فصل اعلم ان الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرض على
الجملة غير محدد بوقت لامر الله تعالى بالصلوة عليه وحمل الائمة والعلماء
له على الوجوب واجمعوا عليه وحكى الطبري ان محمل الاية عنده على
الندب وادعى فيه الاجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب
منه الذي يسقط به الحرج وماثم ترك الفرض مرة كالشهادة له
بالنبوة وما عدا ذلك مندوب مرغب فيه من سنن الاسلام
وشعار اهله قال القاضي ابو الحسن بن القصار المشهور من
اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة على الانسان وفرض عليه ان يأتي
بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي ابو بكر بن بكير
افترض الله على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم
يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال
القاضي ابو محمد بن نصر الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واجبة
في الجملة قال ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه
وغيرهم من اهل العلم الى ان الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان لا يتعين في الصلوة وان من صلى
عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال اصحاب الشافعي
منها الذي امر الله به ورسوله عليه السلام هو في الصلوة وقالوا و

وقالوا اما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبة واما في الصلوة فحكى
الامامان ابو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين والمتاخرين
والمتاخرين من علماء الامة على ان الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
في التشهد غير واجب وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من بعد التشهد الاخر وقبل السلام فصلوته
فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك لم يجزه ولا سلف له في هذا القول
ولا سنة يتبعها وقد بالغ في انكار هذه المسئلة عليه لمخالفته
فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري
وغير واحد وقال ابو بكر بن المنذر يستحب ان لا يصلي احد صلوة
الا صلى فيها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان ترك ذلك
تارك فصلوته مجزئة في مذهب مالك واهل المدينة وسفيان الثوري
واهل الكوفة من اصحاب الرأي وغيرهم وهو قول جل اهل العلم
وحكي عن مالك وسفيان انها في التشهد الاخر مستحبة وان تاركها
في التشهد مسيء وشذ الشافعي فاوجب على تاركها في الصلاة الاعادة
واوجب اسحق الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى ابو محمد
بن ابي زيد عن محمد بن المواز ان الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فريضة قال ابو محمد يريد ليست من فرائض الصلوة وقاله محمد بن عبد
الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب ان محمد بن المواز يراها
فريضة في الصلوة كقول الشافعي وحكى ابو يعلى العبدي المالكي

عن المذهب فيها ثلاثة اقوال في الصلوة الوجوب والسنة والندب
وقد خالف الخطابي من اصحاب الشافعي وغيره الشافعي في هذه
المسئلة قال الخطابي وليست بواجبة في الصلوة وهو قول جماعة
الفقهاء الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على انها ليست من
فروض الصلوة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه وقد
شنع الناس عليه في هذه المسئلة جدا وهذا تشهد ابن مسعود الذي
اختاره الشافعي وهو الذي علمه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليس فيه
الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد عن
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كابي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابي
سعيد الخدري وابو موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير رضي الله
عنهم لم يذكروا فيه الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس
وجابر كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا
السورة من القران ونحوه عن ابي سعيد وقال ابن عمر كان ابو بكر رضي
الله عنه يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه
ايضا على المنبر عمر بن الخطاب وفي الحديث لا صلوة لمن لم يصل علي قال ابن
القصار معناه كاملة او لمن لم يصل علي مرة في عمره وضعف اهل الحديث
كلهم رواية هذا الحديث وفي حديث ابي جعفر عن ابن مسعود عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل
منه قال الدارقطني الصواب انه من قول ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين

الحسين لو صليت صلوة لم اصل فيها على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا على
اهل بيته لرايت انها لا تتم فصل في المواطن التي يستحب فيها الصلوة
والتسليم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورغب من ذلك في تشهد
الصلوة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا القاضي ابو علي
بقراءتي عليه قال حدثنا الامام ابو القاسم البلخي قال حدثنا الفارسي عن ابي
القاسم الخزاعي عن ابي سعيد الهيثم بن كليب عن ابي عيسى الحافظ قال
حدثنا محمود بن غيلان حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا حيوة بن شريح
حدثني ابو هاني الخولاني ان عمرو بن مالك الجنبي اخبره انه سمع فضالة بن
عبيد يقول سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا
ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدا بحمد الله والثناء عليه
بما هو اهله ثم ليصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء
ويروى من غير هذا السند بتمجيد الله تعالى وهو اصح وعن عمر بن الخطاب رضي
الله عنهما قال الدعاء والصلوة معلق بين السماء والارض ولا يصعد الى الله منه شيء
حتى يصلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعن علي عن النبي صلى الله تعالى عليه بمعناه
وقال وعلى آل محمد وروي ان الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وعن ابن مسعود رضي الله عنه اذا اراد احدكم ان يسأل الله شيئا
فليبدأ بحمده والثناء عليه بما هو اهله ثم يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ثم يسأل حاجته فانه اجدر ان ينجح وعن جابر قال رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملؤه ويضعه ثم يضعه
ويرفع متاعه فان احتاج الى شراب شرابه او الوضوء توضأ منه
والا اهراقه ولكن اجعلوني في اول الدعاء اركان واجنحة واسباب
واوقات فان وافق اركانه قوي وان وافق اجنحته صار في
السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه نجح فاركانه
حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله و
وقطعه من الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه
الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلاتين
على لا يرد وفي حديث اخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت
الصلوة على محمد الدعاء وفي دعاء بن عباس الذي رواه عنه حنش
فقال في اخره واستجب دعائي ثم ابتداء بالصلوة على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم فنقول اللهم اني اسئلك ان تصلي على محمد عبدك ونبيك
ورسولك افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين آمين ومن
مواطن الصلوة عند ذكره وسماع اسمه او كتابه او عند الاذان
وقد قال عليه الصلوة والسلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم
يصل علي وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند الذبح
وكره سحنون الصلوة عليه عند التعجب وقال لا يصلى عليه الا على
طريق الاحتساب وطلب الثواب وقال اصبغ عن ابن القاسم موطنان
لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس فلا تقل فيهما بعد ذكر الله محمد

محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله صلى الله على محمد لم تكن تسمية
له مع الله وقوله اشهب قال ولا ينبغي ان تجعل الصلوة على النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فيه استنانا وروى النسائي عن اوس بن
اوس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلوة عليه يوم
الجمعه ومن مواطن الصلوة عليه والسلام دخول قال اسحاق بن
شعبان وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
على اله ويترحم عليه وعلى اله ويبارك عليه وعلى اله ويسلم عليه و
على اله تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك
واذا خرج يقول مثل ذلك ويجعل موضع رحمتك فضلك وقال عمرو
بن دينار في قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال اذا
لم يكن في البيت احد فقل السلام على النبي ورحمة الله السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته
قال ابن العباس المراد بالبيوت هنا المساجد وقال النخعي اذا لم يكن في
المسجد احد فقل السلام على رسول الله واذا لم يكن في البيت احد
فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن علقمة اذا دخلت
المسجد اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله
وملئكته على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل واذا خرج ولم يذكر الصلوة
واحتج بن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله عن ابي

بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هنا الحديث اخر
القسم والاختلاف في الفاظه ومن مواطن الصلوة عليه ايضا الصلوة على
الجنائز وذكر عن ابي امامة انها من السنة ومن مواطن الصلوة التي مضى
عليها عمل الامة ولم تنكرها الصلوة على النبي واله في الرسائل وما يكتب بعد
البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول واحدث عند ولاية بني هاشم فمضى
عمل الناس في اقطار الارض ومنهم من يختتم بها ايضا الكتب وقال عليه السلام
من صلى علي في كتاب لم تزل الملئكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب
ومن مواطن السلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تشهد الصلوة حدثنا
ابو القاسم خلف بن ابرهيم المقرئ الخطيب رحمه الله وغيره قال حدثني
كريمة بنت احمد قالت حدثنا ابو الهيثم حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد
بن اسمعيل حدثنا ابو نعيم حدثنا الاعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله
مسعود عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات
لله والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل
عبد صالح في السماء والارض هذا احد مواطن التسليم عليه وسنته اول
التشهد وقد روى مالك عن ابن عمر انه كان يقول ذلك اذا فرغ من
تشهده واراد ان يسلم واستحب مالك في المبسوط ان يسلم بمثل
ذلك قبل السلام قال محمد بن مسلمة اراد ما جاء عن عائشة وابن عمر
انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته

وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم و
استحب اهل العلم ان ينوي الانسان عند سلامه كل عبد صالح في السماء
والارض من الملئكة وبني ادم والجن قال مالك في المجموعة واحب
للمأموم اذا سلم امامه ان يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم فصل في
كيفية الصلوة عليه والتسليم حدثنا ابو اسحاق ابرهيم بن
جعفر الفقيه بقراءتي عليه حدثنا ابو الاصبغ القاضي عيسى بن سهل
حدثنا ابو عبد الله بن عتاب حدثنا ابو بكر بن واقد وغيره حدثنا ابو عيسى
عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى حدثنا مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم
عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد الساعدي
انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل
على محمد وازواجه وذريته كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد وازواجه
وذريته كما باركت على ال ابرهيم انك حميد مجيد وفي رواية مالك
عن ابي مسعود الانصاري قال قالوا اللهم صل على محمد وعلى اله كما
صليت على ال ابرهيم وبارك على محمد كما باركت على ال ابرهيم انك حميد مجيد
وفي رواية مالك عن ابي مسعود الانصاري قال قالوا اللهم صل على محمد
وعلى اله كما صليت على ال ابرهيم وبارك على محمد كما باركت على ال ابرهيم
في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفي رواية كعب بن عجرة
اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد و

وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وعن عقبة بن عمرو في
حديثه اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى ال محمد وفي رواية ابي سعيد
الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه وحدثنا
القاضي ابو عبد الله التميمي سماعا عليه وابو علي الحسن بن طريف النحوي
بقراتي عليه قالا حدثنا ابو عبد الله بن سعدون الفقيه قال حدثنا ابو بكر
المطوعي قال حدثنا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر بن ابي دارم الحافظ عن علي
بن احمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن
زيد بن علي بن الحسين عن ابيه علي عن ابيه الحسين والحسين عن ابيه علي بن
ابي طالب قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال عدهن
في يدي جبريل عليه السلام وقال هكذا انزلت من عند رب العزة اللهم
صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد
اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك
حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى ال محمد كما ترحمت على ابرهيم وعلى ال محمد
انك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى ال محمد كما تحننت على ابرهيم وعلى ال
ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى ال محمد كما سلمت على ابراهيم
وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت
فليقل اللهم صل على محمد النبي وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل
بيته كما صليت على ابرهيم انك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري

الانصاري سألت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا
واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت
على ابرهيم انك حميد مجيد وعن سلامة الكندي كان علي يعلمنا النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات اجعل شرائف صلواتك
ونوامي بركاتك ورافة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق
والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع
بامرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك
ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس آلاء الله تصل باهله اسبابه
به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم وابهج موضحات الاعلام و
نائرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك المامون وخازن علمك
المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم
افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنات له غير مكدرات
من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم اعل على بناء الناس
بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول
الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم وعنه
ايضا في الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله وملئكته يصلون
على النبي الاية لبيك اللهم ربي وسعديك صلوات الله البر الرحيم و
الملئكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح
لك من شيء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين

وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك السراج المنير عليه السلام وعن عبد الله بن مسعود انه كان يقول اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم انك حميد مجيد وكان الحسن البصري يقول من اراد ان يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم صل على محمد وعلى اله واصحابه واولاده وازواجه وذريته واهل بيته واصهاره وانصاره واشياعه ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين وعن طاوس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا وآته سؤله في الاخرة والاولى كما اتيت ابرهيم وموسى وعن وهيب بن الورد انه كان يقول في دعائه اللهم اعط محمدا افضل ما سئلك له احد من خلقك واعط محمدا افضل ما انت مسؤل به الى يوم القيمة وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه كان يقول اذا صليتم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاحسنوا الصلوة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما

مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وما يؤثر في تطويل الصلوة وتكثير الثناء على اهل البيت وغيرهم كثير وقوله والسلام كما علمتم هو ما علمهم في التشهد من قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وفي التشهد علي السلام على نبي الله السلام على انبياء الله ورسله السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولد وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته جاء في هذا الحديث عن علي الدعاء للنبي بالغفران ومن في حديث الصلوة عليه ايضا قبل الدعا له بالرحمة ولم يات في غيره من الاحاديث المرفوعة المعروفة وقد ذهب ابو عمر بن عبد البر وغيره الى انه لا يدعى للنبي بالرحمة وانما يدعى له بالصلوة والبركة التي تختص به ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة وقد ذكره ابو محمد بن ابي زيد في الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما رحمت على ابرهيم وال ابرهيم ولم يات هذا في حديث صحيح وحجته قوله في السلام السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته

فصل في فضيلة الصلوة على النبي والتسليم عليه والدعا له

حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه حدثنا القاضي يونس بن مغيث حدثنا
ابو بكر بن معوية حدثنا النسائي حدثنا سويد بن نصر حدثنا عبد الله عن حيوة
بن شريح قال اخبرني كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع
عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا
سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا على فانه من صلى على مرة صلى
الله عليه عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي
الا لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون انا هو فمن سئل لي الوسيلة حلت
عليه الشفاعة وروى انس بن مالك ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال
من صلى على صلوة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات
ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب له عشر حسنات وعن انس
رضي الله عنه عنه عليه السلام ان جبريل ناداني فقال من صلى عليك
صلوة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن
بن عوف رضي الله عنه عنه عليه السلام لقيت جبريل فقال اني ابشرك
ان الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه
من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس بن الحدثان وعبيد الله بن ابي طلحة رضي
الله عنهم وعن زيد بن الحباب سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول
من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل المقرب عندك يوم القيمة وجبت
له شفاعتي وعن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله تعالى عليه
وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملئكة تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك

ذلك الكتاب وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم يقول من صلى على صلوة صلت عليه الملئكة ما صلى على فليقلل من
ذلك او ليكثر وعن ابي بن كعب كان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت
الراجفة تتبعها الرادفة جاءت الموت بما فيه فقال ابي بن كعب رضي
الله عنه يا رسول الله اني اكثر الصلوة عليك فكم اجعل لك من صلوتي
قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلث
قال ما شئت وان زدت فهو خير قال النصف قال ما شئت وان زدت
فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول
الله فاجعل لك صلوتي كلها قال اذا تكفى همك ويغفر ذنبك وعن ابي
طلحة رضي الله عنه دخلت على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرايت من بشره
وطلاقته ما لم اره قط وسألته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل
آنفا فاتاني ببشارة من ربي ان الله تعالى بعثني اليك ابشرك انه ليس
احد من امتك يصلي عليك صلوة الا صلى الله عليه وملئكته بها عشرا
وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال لي النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة
القائمة ات محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته
حلت له الشفاعة يوم القيمة وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه من قال
حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا

عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر له
وروى ابن وهب ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكانما
اعتق رقبة وفي بعض الاثار ليردن علي اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلوتهم
علي وفي اخر ان انجاكم يوم القيمة من اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلوة وعن
ابي بكر رضي الله عنه الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم امحق للذنوب
من الماء البارد للنار والسلام عليه افضل من عتق الرقاب فصل
في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم واثمه حدثنا القاضي الشهيد
ابو علي رحمه الله حدثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا
حدثنا ابو يعلى حدثنا السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى حدثنا احمد
بن ابرهيم الدورقي حدثنا ربعي بن ابرهيم عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد
بن ابي سعيد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم انف رجل دخل
رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك ابواه عنده
الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما وفي حديث اخر
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين ثم صعد فقال امين فسئله
معاذ عن ذلك فقال ان جبريل صلى الله تعالى عليه وسلم اتاني فقال يا محمد من
سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله قل آمين
فقلت آمين وقال فيمن ادرك رمضان لم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن
ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان

الله عنه السلام انه قال البخيل الذي اذا ذكرت عنده فلم يصل علي وعن جعفر
بن محمد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ذكرت عنده
فلم يصل علي اخطئ به طريق الجنة وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده
فلم يصل علي وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال ابو القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم
ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا الله ويصلوا على النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم و
عن ابي هريرة انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من نسي الصلوة علي نسي طريق
الجنة وعن قتادة رضي الله عنه عنه عليه السلام من الجفاء ان اذكر عند الرجل
فيصلي علي وعن جابر رضي الله عنه عنه عليه السلام ما جلس قوم مجلسا ثم
تفرقوا على غير صلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا تفرقوا عن انتن من ريح
الجيفة وعن ابي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يجلس
قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا كان عليهم حسرة
وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب حكى ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم
قال اذا صلى الرجل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرة في المجلس اجزا عنه ما
كان في ذلك المجلس فصل في تخصيصه صلى الله تعالى عليه وسلم بتبليغ صلوة
من صلى عليه او سلم من الانام حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي حدثنا الحسين بن محمد
حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابن داسة حدثنا ابو داود
حدثنا ابن عوف حدثنا المقرئ حدثنا حيوة عن ابي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن

عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما
من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر
بن ابي شيبة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله تعالى
من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته وعن ابي مسعود
رضي الله عنه ان لله ملئكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام
ونحوه عن ابي هريرة رضي الله عنه وعن ابن عمر رضي الله عنهما اكثروا من
السلام على نبيكم كل جمعة فانه يؤتى به منكم في كل جمعة وفي رواية فان احدا
لا يصلي علي الا عرضت صلاته علي حين يفرغ منها وعن الحسن عنه عليه السلام
حيث ما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ليس احد من امة محمد يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه وذكر بعضهم ان العبد
اذا صلى على النبي صلى الله تعالى عليه عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي اذا
دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا
ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم
وفي حديث اوس اكثروا علي من الصلوة يوم الجمعة فان صلوتكم معروضة
علي وعن سليمان بن سحيم رايت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في النوم فقلت
يا رسول الله هؤلاء الذين ياتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم قال
نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قال اكثروا من الصلوة علي في الليلة الزهراء واليوم الازهر فانهما يؤديان
عنكم فان الارض لا تاكل اجساد الانبياء وما من مسلم يصلي علي الا حملها

الا حملها ملك حتى يؤديها الي ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا فصل
الاختلاف في الصلوة على غير النبي وسائر الانبياء عليهم السلام قال القاضي
وفقه الله عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلوة على غير النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لا تجوز الصلوة على غير
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وروي عنه لا تنبغي الصلوة على احد الا على النبيين
وقال سفيان يكره ان يصلي الا على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب
مالك انه لا يجوز ان يصلي على احد من الانبياء سوى محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم وهذا غير معروف من مذهبه وقد قال مالك في المبسوط ليحيى
بن اسحاق اكره الصلوة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به قال
يحيى بن يحيى لست آخذ بقوله ولا باس بالصلوة على الانبياء كلهم وعلى
غيرهم واحتج بحديث ابن عمر وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم الصلوة عليه وفيه وعلى ازواجه وعلى اله وقد وجدت معلقا عن ابي
عمران الفاسي روي عن ابن عباس رضي الله عنهما كراهية الصلوة على
غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال وبه نقول ولم يكن يستعمل فيما
مضى وقد روى عبد الرزاق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلوا على انبياء الله ورسله فان الله
بعثهم كما بعثني قالوا والاسانيد عن ابن عباس لينة والصلوة في لسان
العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الاطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح
او اجماع وقد قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملئكته الاية وقال خذ من

من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الاية وقال اولئك
عليهم صلوات من ربهم ورحمة وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم
صل على ال ابي اوفى وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل
على ال فلان وفي حديث الصلوة اللهم صل على محمد وازواجه
وذريته وفي اخر وعلى ال محمد قيل اتباعه وقيل امته وقيل ال
بيته وقيل الاتباع هو الرهط والعشرة وقيل الرجال ولده
وقيل قومه وقيل الذين حرمت عليهم الصدقة وفي رواية انس رضي الله
عنه وسئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من ال محمد قال كل تقي ويجيء
على مذهب الحسن ان المراد بال محمد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه
الشريفة فانه كان يقول في صلوته على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على ال محمد يريد نفسه لانه كان
لا يخل بالفرض ويأتي بالنفل لان الفرض الذي امر الله به هو الصلوة
على محمد نفسه وهذا مثل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لقد اوتي
مزمارا من مزامير ال داود يريد من مزامير داود وفي حديث ابي
حميد الساعدي في الصلوة اللهم صل على محمد وازواجه وذريته
وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما انه كان يصلي على النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ذكره مالك في الموطأ من
رواية يحيى الاندلسي والصحيح من رواية غيره ويدعوا لابي بكر وعمر رضي الله
عنهما وروى ابن وهب عن انس بن مالك عنه كنا ندعوا لاصحابنا بالغيب

بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين
يقومون بالليل ويصومون بالنهار قال الفقيه القاضي والذي ذهب اليه
المحققون واميل اليه ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله وروي عن ابن
عباس واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبياء
عند ذكرهم بل هو شيء مختص به الانبياء توقيرا لهم وتعزيزا كما يختص
الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك
يجب تخصيص النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء بالصلوة والتسليم
ولا يشارك فيه سواهم كما امر الله بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما و
يذكر من سواهم من الائمة وغيرهم بالغفران والرضى كما قال تعالى يقولون
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقال والتابعين لهم
باحسان رضي الله عنهم وقد قال تعالى والذين اتبعوهم باحسان رضي الله
عنهم ورضوا عنه وايضا فهو امر لم يكن معروفا في الصدر الاول كما قال
ابو عمران وانما احدثته الرافضة والشيعة في بعض الائمة فشاركوهم
عند الذكر لهم بالصلوة وساووهم بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك
وايضا فان التشبه باهل البدع منهي عنه فيجب مخالفتهم فيما التزموه من
ذلك وذكر الصلوة على الال والازواج مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بحكم التبع والاضافة اليه لا على التخصيص قالوا وصلوة النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم على من صلى عليه مجراها مجرى الدعاء والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم
والتوقير قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم

بعضا فكذلك يجب ان يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض
وهذا اختيار الامام ابي المظفر الاسفرائني من شيوخنا **فصل في
زيارة قبره صلى الله تعالى عليه وسلم وفضيلة من زاره وسلم عليه و
كيف يسلم ويدعوا** وزيارة قبره عليه السلام سنة من المسلمين
مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها وروى عن ابن عمر قال النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي وعن انس بن مالك قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من زارني بالمدينة محتسبا
كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيمة وفي حديث اخر من زارني
بعد موتي فكانما زارني في حياتي وكره مالك ان يقال زرنا قبر
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اختلف في معنى ذلك فقيل كراهة
الاسم لما ورد من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لعن الله زوارات
القبور وهذا يرده قوله نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وقوله
من زار قبري فقد اطلق اسم الزيارة وقيل ذلك لما قيل ان الزائر
افضل من المزور وهذا ايضا ليس بشيء اذ ليس كل زائر بهذه الصفة
وليس عموما وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا
اللفظ في حقه تعالى وقال ابو عمران انما كره مالك ان يقال طواف
الزيارة وزرنا قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لاستعمال الناس
ذلك بعضهم لبعض وكره تسوية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع
الناس بهذا اللفظ وان يخص بان يقال سلمنا على النبي صلى الله تعالى

الله تعالى عليه وسلم وايضا فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد
الرحال الى قبره صلى الله تعالى عليه وسلم يريد بالوجوب هنا وجوب ندب
وترغيب وتاكيد والاولى عندي ان منعه وكراهة مالك له لاضافة
الى قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانه لو قال زرنا النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم لم يكرهه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا
يعبد بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد فحمى
اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك قطعا للذريعة و
حسما للباب قال اسحاق ابرهيم الفقيه ومما لم يزل من شان من حج
المرور بالمدينة والقصد الى الصلوة في مسجد رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه
ومواطئ قدميه والعمود الذي كان يستند اليه وينزل جبريل عليه السلام
بالوحي فيه عليه وبمن عمره وقصده من الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار
بذلك كله وقال ابن فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا انه
من وقف عند قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فتلا هذه الاية ان
الله وملئكته يصلون على النبي ثم قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها
سبعين مرة ناداه ملك صلى الله تعالى عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة و
عن يزيد بن ابي سعيد المهري قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال
لي اليك حاجة اذا اتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاقرئه
مني السلام قال غيره وكان يبرد اليه البريد من الشام وقال بعضهم

رايت انس بن مالك رضي الله عنه اتى قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فوقف
فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلوة فسلم على الله تعالى عليه وسلم ثم انصرف
قال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ودعا
يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده
وقال في المبسوط لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يدعوا ولكن يسلم ويمضي قال ابن مليكة من احب ان يقوم وجاه النبي صلى
الله تعالى فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على راسه وقال نافع
كان ابن عمر رضي الله عنهما يسلم على القبر رايته مائة مرة واكثر يجيء الى القبر
فيقول السلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم السلام على ابي بكر السلام
على ابي ثم ينصرف وفي الموطا من رواية يحيى بن يحيى الليثي انه كان يقف على قبر النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فيصلي على النبي وعلى ابي بكر وعمر وعند ابن القاسم
والقعنبي ويدعوا لابي بكر وعمر قال مالك في رواية ابن وهب يقول المسلم
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته قال في المبسوط ويسلم على
ابي بكر وعمر قال القاضي ابو الوليد الباجي وعندي انه يدعوا للنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم بلفظ الصلوة ولابي بكر وعمر كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما من
الخلاف وقال ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد الرسول بسم الله وسلام على
رسول الله عليه السلام السلام علينا من ربنا وصلى الله وملئكته
على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وجنتك واحفظني
من الشيطان الرجيم ثم اقصد الروضة وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها

فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيهما وتسئله تمام ما خرجت اليه و
العون عليه وان كانت ركعتاك في غير الروضة اجزاتاك وفي الروضة انه
افضل وقد قال عليه الصلوة والسلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض
الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة ثم يقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلي
عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على ابي بكر وعمر وتدعوا لهما واكثر الصلوة في
مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع ان ياتي مسجد قبا وقبور
الشهداء وقال مالك في كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا
دخل وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك قال محمد واذا خرج جعل اخر
عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن وهب عن
فاطمة بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال
اذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي
ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرجت فصل على النبي صلى الله تعالى عليه
وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك وفي رواية اخرى فيسلم
مكان فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم اني اسئلك من فضلك وفي رواية
اخرى اللهم احفظني من الشيطان وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون
اذا دخلوا المسجد صلى الله وملئكته على محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون
اذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة رضي الله عنها ايضا كان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ذكر مثل حديث

فاطمة رضى الله عنها قبل هذا وفى رواية حمد الله وسمى وصلى على النبى
صلى الله تعا عليه وسلم وذكر مثله وفى رواية بسم الله والصلوة على
رسول الله وعن غيرها كان رسول الله صلى الله تعا عليه وسلم
اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لى ابواب رحمتك ويسر لى ابواب رزقك
وعن ابى هريرة اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبى صلى الله تعا
عليه وسلم وليقل اللهم افتح لى ابواب رحمتك وقال مالك فى المبسوط
وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من اهل المدينة الوقوف بالقبر
وانما ذلك للغرباء وقال فيه ايضا لا باس لمن قدم من سفر او خرج الى
سفر ان يقف على قبر النبى صلى الله تعا فيصلى الله تعا عليه وسلم فيصلى
عليه ويدعو له ولابى بكر وعمر فقيل له فان ناسا من اهل المدينة لا
يقدمون من سفر ولا يريد ولن يفعلون ذلك فى اليوم مرة او اكثر و
ربما وقفوا فى الجمعة او فى الايام المرة والمرتين او اكثر عند القبر فيسلمون
ويدعون ساعة فقال لم يبلغنى هذا عن احد من اهل الفقه ببلدنا و
تركه واسع ولا يصلح اخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغنى عن اول
هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغنى عن اول هذه الامة وصدرها
انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء به من سفر او رده قال ابن القاسم
ورايت اهل المدينة اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا قال و
ذلك راى قال الباجى ففرق بين اهل المدينة والغرباء لان الغرباء قصدوا
ذلك واهل المدينة بها لم يقصدوها من اجل القبر والتسليم وقال عليه السلام

عليه السلام اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا
قبور انبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبرى عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد
الهندى فيمن وقف بالقبر ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا وفى العتبية
يبدا بالركوع قبل السلام فى مسجد النبى صلى الله تعا عليه وسلم واحب
مواضع التنفل فيه مصلى النبى صلى الله تعا عليه وسلم حيث العمود المخلق واما
فى الفريضة فالتقدم الى الصفوف والتنفل فيه للغرباء احب الى من التنفل
فى البيوت فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبى صلى الله تعا عليه وسلم من
الادب سوى ما قدمناه وفضله وفضل الصلوة فيه وفى مسجد مكة وذكر
قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة قال تعا لمسجد اسس على التقوى
من اول يوم احق ان تقوم فيه روى ان النبى صلى الله تعا عليه وسلم سئل
اى مسجد هو قال مسجدى هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن
عمر ومالك بن انس وغيرهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه مسجد قباء
حدثنا هشام بن احمد الفقيه بقراءتى عليه حدثنا الحسين بن محمد الحافظ
حدثنا ابو عمر النمرى حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر ابن
داسة حدثنا ابو داود حدثنا مسدد عن سفيان عن الزهرى عن
سعيد بن المسيب عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله تعا عليه وسلم
قال لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد مسجد الحرام ومسجدى هذا و
المسجد الاقصى وقد تقدمت الاثار فى الصلوة والسلام على النبى صلى
الله تعا عليه وسلم عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص

ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم و
بوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال مالك سمع
عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن انت
فقال رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين ان مسجدنا لا يرفع
فيه الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت
ولا بشيء من الاذى وان ينزه عما يكره قال القاضي رحمه الله حكى ذلك
كله القاضي اسمعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم والعلماء كلهم متفقون ان حكم سائر المساجد هذا الحكم قال
القاضي اسمعيل وقال محمد بن مسلمة ويكره في مسجد الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلوتهم و
ليس مما يختص به المساجد رفع الصوت قد كره رفع الصوت بالتلبية
في مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجدنا وقال ابو هريرة رضي الله
عنه عنه عليه السلام صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه
الا المسجد الحرام قال القاضي اختلف الناس في معنى هذا الاستثناء على
اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب مالك في رواية
اشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابه الى ان معنى الحديث
ان الصلوة في مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من الصلوة
في سائر المساجد بالف صلوة الا المسجد الحرام فان الصلوة في مسجد النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من الصلوة فيه بدون الالف واحتجوا بقول

بقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلوة في المسجد الحرام افضل من
مائة صلوة فيما سواه فتأتي فضيلة مسجد الرسول عليه بتسعمائة و
على غيره الف وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه وهو
قول عمر بن الخطاب ومالك واكثر المدنيين رضي الله عنهم وذهب
اهل مكة والكوفة الى تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن وهب
وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه الساجي عن الشافعي رحمه الله وحملوا
الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلوة في المسجد
الحرام افضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بمثل حديث ابي هريرة رضي الله عنه وفيه وصلوة في
المسجد الحرام افضل من الصلوة في مسجدي هذا بمائة صلوة وروى
قتادة رضي الله عنه مثله فيأتي فضل الصلوة في المسجد الحرام على
هذا على الصلوة في سائر المساجد بمائة الف صلوة ولا خلاف
ان موضع قبره افضل بقاع الارض قال القاضي ابو الوليد الباجي الذي
يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع
المدينة وذهب الطحاوي رحمه الله الى ان التفضيل انما هو في صلوة الفرض
وذهب مطرف من اصحابنا الى ان ذلك في النافلة ايضا قال وجمعة
خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل
رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه قال عليه السلام ما بين بيتي
ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله عن ابي هريرة وابي سعيد وزاد

منبرى على حوضى وفى حديث اخر منبرى على ترعة من ترع الجنة قال الطبرى
فيه معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر ومع انه روى
ما بينه بين حجرتى ومنبرى والثانى ان البيت هنا القبر وهو قول زيد بن
اسلم فى هذا الحديث كما روى بين قبرى ومنبرى قال الطبرى واذا
كان قبره فى بيته اتفقت معانى الروايات ولم يكن بينها خلاف لان
قبره فى حجرته وهو بيته وقوله ومنبرى على حوضى قيل يحتمل انه منبره
بعينه الذى كان فى الدنيا وهو اظهر والثانى ان يكون له هناك منبر و
الثالث ان قصد منبره والحضور عنده لملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض
ويوجب الشرب منه قاله الباجى وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين
احدهما انه موجب لذلك وان الدعاء والصلوة فيه يستحق ذلك من الثواب
كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف والثانى ان تلك البقعة قد ينقلها
الله تعا فتكون فى الجنة بعينها قاله الداودى وروى ابن عمر وجماعة
من الصحابة رضى الله عنهم ان النبى صلى الله تعا عليه وسلم قال فى المدينة
لا يصبر على لاوائها وشدتها احد الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم
القيمة وقال فيمن تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال
انما المدينة كالكير تنفى خبثها وتنصع طيبها وقال لا يخرج احد من المدينة
رغبة عنها الا ابدلها الله خيرا منه وروى عنه عليه السلام من مات
فى احد الحرمين حاجا او معتمرا بعثه الله يوم القيمة لا حساب عليه ولا عذاب
وفى طريق اخر بعث من الآمنين يوم القيمة وعن ابن عمر رضى الله عنهما من

من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فانى اشفع لمن يموت بها وقال
تعا ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة الى قوله امنا قال بعض
المفسرين امنا من النار وقيل كان يأمن من الطلب من احدث حدثا ولجأ
اليه فى الجاهلية وهذا مثل قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس
وامنا على قول بعضهم وحكى ان قوما اتوا سعدون الخولانى بالمنستير
فاعلموه ان كتامة قتلوا رجلا واضربوا عليه النار طول الليل فلم تعمل
فيه وبقى ابيض البدن فقال لعله حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت
ان من حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثلاث حجج
حرم الله شعره وبشره على النار ولما نظر رسول الله صلى الله تعا
عليه وسلم الى الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما اعظمك واعظم
حرمتك وفى الحديث عنه عليه السلام ما من احد يدعو الله عند
الركن الاسود الا استجاب له وكذلك عند الميزاب وعنه عليه السلام
من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر و
حشر يوم القيمة من الآمنين قرأت على القاضى الحافظ ابى على رحمه الله
حدثك ابو العباس العذرى حدثنا ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد الهروى
حدثنا الحسن بن رشيق سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن بن راشد سمعت
ابا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدى قال سمعت سفيان بن عيينة سمعت
عمرو بن دينار سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله تعا
عليه وسلم يقول ما دعا احد بشىء فى هذا الملتزم الا استجيب له قال ابن

عباس رضي الله عنهما انا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا استجيب لي وقال عمرو بن
دينار وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن
عباس الا استجيب لي وقال سفيان وانا فما دعوت الله بشيء في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو الا استجيب لي وقال الحميدي وانا فما
دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان الا
استجيب لي وقال محمد بن ادريس وانا فما دعوت الله بشيء في هذا
الملتزم منذ سمعت من هذا الحميدي الا استجيب لي وقال ابو الحسن محمد
بن الحسن وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من
محمد بن ادريس الا استجيب لي قال ابو اسامة وما اذكر الحسن بن رشيق
قال فيه شيئا وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من الحسن بن رشيق الا استجيب لي من امر الدنيا وارجو ان
يستجاب لي من امر الاخرة قال العذري وانا فما دعوت الله بشيء
في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابي اسامة الا استجيب لي قال ابو
علي وانا فقد دعوت الله فيه باشياء كثيرة استجيب لي بعضها وارجو من
سعة فضله ان يستجيب لي بقيتها قال القاضي ابو الفضل رحمه الله قد ذكرنا
نبذا من هذه النكت في هذا الفصل وان لم يكن من هذا الباب لتعلقها
بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة والله الموفق بالصواب
برحمته القسم الثالث فيما يجب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما يستحيل

بلغ مقابلة على الاصل على حسب الطاقة
رجب سنة ١٠٦٨

يستحيل في حقه او يجوز عليه وما يمتنع او يصح من احوال البشرية ان
تضاف اليه قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل
افان مات او قتل الاية وقال تعالى ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت
من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام وقال وما ارسلنا
قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق
وقال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الاية فمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وسائر الانبياء من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما اطاق
الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا اي لما كان الا في صورة البشر التي يمكنكم مخاطبتهم اذ لا
يطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته و
قال قل لو كان في الارض ملئكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء
ملكا رسولا اي لا يمكن في سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه
او لمن خصه الله تعالى واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبياء والرسل
فالانبياء والرسل وسائط بين الله وبين خلقه يبلغونهم اوامره و
نواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه من امره وخلقه وجلاله
وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم واجسادهم وبنيتهم متصفة
باوصاف البشر طارئ عليه ما يطرأ على البشر من الاعراض والاسقام
والموت والفناء ونعوت الانسانية وارواحهم وبواطنهم متصفة باعلى
من اوصاف البشر متعلقة بالملأ الاعلى متشبهة بصفات الملئكة سليمة من التغير

والاوفات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية اذ لو كانت بواطنهم
خالصة للبشرية كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن الملئكة ورؤيتهم ومخاطبتهم و
مخالطتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت
الملئكة وبخلاف صفات البشر لما اطاق البشر ومن ارسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم
من قول الله تعالى فجعلوا من جهة الاجسام والظواهر مع البشر ومن جهة الارواح
والبواطن مع الملئكة كما قال عليه السلام لو كنت متخذا من امتي خليلا لا
اتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال
تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني اظل يطعمني ربي ويسقيني
فبواطنهم منزهة عن الافات مطهرة من النقايص والاعتلالات وهذه جملة لن
يكتفي بمضمونها كل همة بل الاكثر يحتاج الى بسط وتفصيل على ما يأتي به بعد هذا
بلغ في البابين بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل **الباب الاول فيما يختص بالامور**
الدينية والكلام في عصمة نبينا وسائر الانبياء صلوات الله تعالى عليهم اجمعين
قال القاضي ابو الفضل اعلم ان الطوارئ من التغييرات والافات على اٰحاد البشر
لا تخلو ان تطرئ على جسمه او على حواسه بغير قصد واختيار كالامراض والاسقام
او تطرئ بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم المشايخ
بتفصيله الى ثلثة انواع عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع
البشر تطرئ عليهم الافات والتغييرات بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه
كلها والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على
جبلة البشر فقد قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم وتنزيه

وتنزيهه عن كثير من الافات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار
كما سنبينه ان شاء الله تعالى فيما يأتي به من التفاصيل **فصل في**
حكم عقد قلب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من وقت نبوته اعلم
منحنا الله واياك توفيقه ان ما يتعلق منه بطريق التوحيد والعلم
بالله تعالى وصفاته والايمان به وبما اوحي اليه فعلى غاية المعرفة
ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك او الشك
او الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا ما
وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة ان يكون في
عقود الانبياء سواه ولا يعترض على هذا بقول ابرهيم عليه السلام
قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اذ لم يشك ابرهيم عليه السلام في اخبار الله
تعالى له باحياء الموتى ولكن اراد طمانينة القلب وترك المنازعة بمشاهدة
الاحياء فحصل له العلم الاول بوقوعه واراد العلم الثاني بكيفيته
ومشاهدته **الوجه الثاني** ان ابرهيم الخليل عليه السلام انما اراد اختبار
منزلته عند ربه وعلم اجابته دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله
اولم تؤمن اي تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك **الوجه الثالث**
انه سأل زيادة يقين وقوة طمانينة وان لم يكن في الاول شك اذ العلوم
الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها وطريان الشك على الضروريات
ممتنع ومجوز في النظريات فاراد الانتقال من النظر او الخبر الى المشاهدة
والترقي في علم اليقين الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل

بن عبد الله سئل كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله
الوجه الرابع انه لما احتج على المشركين بان ربه يحيي ويميت طلب ذلك من ربه
ليصح احتجاجه عيانا الوجه الخامس قول بعضهم هو سؤال على طريق الادب
المراد اقدرني على احياء الموتى وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الامنية الوجه
السادس انه ارى من نفسه الشك وما شك لكن ليجاب فيزداد قربة
وقول نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم نحن احق بالشك من ابرهيم نفي لان
يكون ابرهيم شك وابعاد للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابرهيم اي
نحن موقنون بالبعث واحياء الله الموتى فلو شك ابرهيم لكنا اولى
بالشك منه اما على طريق الادب وان يريد امته الذين يجوز عليهم الشك
او على طريق التواضع والاشفاق وان حملت قصة ابرهيم على اختبار
حاله وزيادة يقينه فان قلت فما معنى قوله فان كنت في شك
مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك الايتين فاحذر
ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس
او غيره من اثبات شك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما اوحي اليه
وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس رضي
الله عنهما لم يشك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يسئل ونحوه عن ابن جبير
والحسن وحكى قتادة رضي الله عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال
ما اشك ولا اسئل وعامة المفسرين على هذا فاختلفوا في معنى الاية
فقيل المراد قل يا محمد للشاك ان كنت في شك الاية قال وفي السورة نفسها

نفسها ما دل على هذا التاويل قوله قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني
الاية وقيل المراد بالخطاب العرب وغير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال لئن
اشركت ليحبطن عملك الاية الخطاب له والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية مما
يعبد هؤلاء ونظيره كثير وقال بكر بن العلاء الا تراه يقول ولا تكونن
من الذين كذبوا بايات الله وهو عليه السلام كان المكذب فيما يدعو اليه
فكيف يكون ممن كذب به فهذا كله يدل على ان المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الاية
قوله الرحمن فسئل به خبيرا المامور ههنا غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ليسئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والنبي عليه السلام هو الخبير المسؤل لا
المستخبر السائل وقال ان هذا الشك الذي امر غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
بسؤال الذين يقرؤن الكتاب انما هو فيما قصه الله تعالى من اخبار الامم لا
فيما دعى اليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله تعالى واسئل من ارسلنا
من قبلك من رسلنا الاية المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قاله العتبي وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا
من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام ثم ابتدأ الكلام اجعلنا من دون الرحمن
الهة الى اخر الاية على طريق الانكار اي ما جعلنا حكاه مكي وقيل امر النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ان يسئل الانبياء ليلة الاسراء عن ذلك فكان
اشد يقينا من ان يحتاج الى السؤال فروي انه قال لا اسئل قد اكتفيت
قاله ابن زيد وقيل سل امم من ارسلنا هل جاؤهم بغير التوحيد وهو معنى
قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة والمراد بهذا والذي قبله اعلام

بما بعث به الرسل وانه تعالى يأذن في عبادة غيره لاحد ردا على مشرك
العرب وغيرهم في قولهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وكذلك
قوله تعالى والذي اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا
تكونن من الممترين اي في علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك
وليس المراد به شككه فيما ذكر في اول الاية وقد يكون ايضا على مثل
ما تقدم اي قل لمن امترى يا محمد في ذلك لا تكونن من الممترين بدليل
قوله في اول الاية افغير الله ابتغي حكما الاية وان النبي صلى الله عليه
وسلم يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله ءانت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دونه وقد علم انه لم يقل وقيل معناه ما كنت
في شك فسئل تزدد طمانينة وعلما الى علمك ويقينك وقيل ان كنت
تشك فيما شرفناك وفضلناك به فسئلهم عن صفتك في الكتب ونشر
فضائلك وحكي عن ابي عبيدة ان المراد ان كنت في شك من غيرك فيما انزلناه
فان قيل فما معنى قوله حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على
قراءة التخفيف قلنا المعنى في ذلك ما قالته عائشة رضي الله عنها معاذ الله
ان تظن ذلك الرسل بربها وانما معنى ذلك الرسل لما استيأسوا
ظنوا ان من وعدهم بالنصر من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين
وقيل ان الضمير في ظنوا عائد على الاتباع والامم لا على الانبياء و
الرسل وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء و
بهذا المعنى قرء مجاهد كذبوا بالفتح ولا تشغل بالك من شاذ التفسير

بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء عليهم السلام و
كذلك ما ورد في حديث السيرة ومبتداء الوحي من قوله لخديجة رضي
الله عنها لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما اتاه الله بعد رؤية
الملك ولكن لعله خشي ان لا تحتمل قوته مقاومة الملك واعباء الوحي فينخلع
قلبه او تزهق نفسه هذا على ما ورد في الصحيح انه قاله بعد لقاء الملك
او يكون ذلك قبل لقاء الملك واعلام الله تعالى له بالنبوة لاول ما عرضت
عليه من العجائب وسلم عليه الحجر والشجر وبدائه المنامات والتباشير
كما روي في بعض طرق هذا الحديث ان ذلك كان اولا في المنام ثم اري
في اليقظة مثل ذلك تانيسا له عليه السلام لئلا يفجاه الامر مشاهدة
ومشافهة فلا يحتمله لاول حالة بنية البشرية وفي الصحيح عن عائشة رضي
الله عنها اول ما بدئ به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الوحي الرؤيا
الصادقة قالت ثم حبب اليه الخلاء وقالت الى ان جاءه الحق وهو في غار
حراء وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال مكث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة
عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان
سنين يوحى اليه وقد روى ابن اسحاق عن بعضهم ان النبي صلى الله تعالى عليه و
سلم قال وذكر جواره بغار حراء قال فجاءني وانا نائم فقال اقرأ فقلت وذكر
نحو حديث عائشة رضي الله عنها في غطه له واقرائه له اقرأ باسم ربك السورة
قال فانصرف عني وهببت من نومي فكانما صورت في قلبي ولم يكن ابغض
الي من شاعر او مجنون ثم قلت لا تحدث عني قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق

من الجبل فلاطرحن نفسي منه فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت
مناديا ينادى من السماء يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فرفعت راسى
فاذا جبريل على صورة رجل وذكر الحديث فقد بين في هذا ان
قوله لما قال وقصده وما قصد انما كان قبل لقاء جبريل عليه السلام
وقبل اعلام الله له بالنبوة واظهاره اصطفائه له بالرسالة
ومثله حديث عمرو بن شرحبيل انه عليه السلام قال لخديجة
رضي الله عنها انى اذا خلوت وحدى سمعت نداء وقد خشيت
والله ان يكون هذا لامر ومن رواية حماد بن سلمة ان النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم قال لخديجة رضي الله عنها انى لاسمع صوتا وارى
ضوء واخشى ان يكون بي جنون وعلى هذا يتأول لو صح قوله في
بعض هذه الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون والفاظا يفهم منها معانى
الشك في صحيح ما راه وانه كان كله في ابتداء امره وقبل لقاء الملك له و
اعلام الله انه رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ لا تصح طرقها واما
بعد اعلام الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه
شك فيما القى اليه وقد روى ابن اسحاق عن شيوخه ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرقى بمكة من العين قبل ان ينزل عليه فلما
نزل عليه القران اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة رضي الله
عنها اوجه اليك من يرقيك قال اما الان فلا وحديث خديجة رضي الله
عنها واختبارها امر جبريل عليه السلام بكشف راسها الحديث نبوة

نبوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان الذي يأتيه ملك ويزول
الشك عنها لا انها فعلت ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وليختبر هو حاله
بذلك بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام
عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها ان ورقة بن نوفل امر خديجة رضي الله
عنها ان تختبر الامر بذلك وفي حديث اسمعيل بن ابي حكيم انها قالت لرسول
الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك
قال نعم فلما جاء جبريل اخبرها فقالت له اجلس الى شقى وذكر الحديث
اخره وفيه قالت ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وابشر
وآمنت به فهذا يدل على انها مستثبتة بما فعلته لنفسها ومستظهرة لايمانها
لا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى
من شواهق الجبال لا يقدح في هذا الاصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم
يسنده ولا ذكر رواته ولا من حدث به ولا ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا الا من جهة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
مع انه قد يحمل على انه كان اول الامر كما ذكرناه او انه فعل ذلك لما اخرجه
من تكذيب من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على اثار ان لم يؤمنوا
بهذا الحديث اسفا ويصح معنى هذا التأويل حديث رواه شريك عن عبد
الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة
للتشاور في شان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واتفق رأيهم على ان يقولوا
انه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فاتاه جبريل فقال يا

ايها المزمل يا ايها المدثر او خاف ان الفترة لامر او سبب منه فخشى ان
تكون عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهى عن ذلك
فيعترض به ونحوه هذا فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه
له بما وعدهم من العذاب وقول الله تعالى في يونس فظن ان لن نقدر عليه
معناه ان لن نضيق عليه مسلكه في خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه انه
لا يقضى عليه العقوبة وقيل نقدر عليه ما اصابه وقد قرئ نقدر عليه
بالتشديد وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه وقال ابن زيد معناه افظن
ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق ان يظن نبى ان يجهل صفة
من صفات ربه وكذلك قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول
ابن عباس والضحاك وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة الله معاداة الله كفر
لا يليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء وقيل مستحييا من قومه ان يسموه
بالكذب او يقتلوه كما ورد في الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره
به من التوجه الى امر امره الله به على لسان نبى اخر فقال له يونس عليه
السلام غيرى اقوى عليه منى فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا وقد روى
عن ابن عباس ان ارسال يونس ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت
واستدل من الاية بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه
شجرة من يقطين وارسلناه الاية ويستدل ايضا بقوله ولا تكن
كصاحب الحوت اذ نادى وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله
من الصالحين فتكون هذه القصة اذا قبل نبوته فان قيل فما معنى قوله

قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في كل يوم
مائة مرة وفي طريق في اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك
ان يكون هذا الغين وسوسة او ريبا وقع في قلبه عليه السلام بل اصل
الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه قاله ابو عبيد واصله من غين السماء
وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره والغين شىء يغشى القلب ولا يغطيه كل
التغطية كالغيم الرقيق الذى يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس و
كذلك لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين
في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذى ذكر وهو اكثر الروايات وانما هذا
عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات
قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان
صلى الله تعالى عليه وسلم دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة و
معاناة الاهل ومقاومة الولى والعدو ومصلحة النفس وكلفه من
اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة
خالقه ولكن لما كان صلى الله تعالى عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة و
اعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو
همه وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه
راى عليه السلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من
على حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا اولى
وجوه الحديث واشهرها والى معنى ما اشرنا اليه مال كثير من الناس وحام

حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه
وهو مبنى على جواز الفترات والغفلات والسهو فى غير طريق البلاغ على
سيانى وذهبت طائفة من ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة ممن قال
بتنزيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذا جملة واجله ان يجوز عليه
فى حال سهوا وفترة الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره ويغمه فكره من
امر امته عليه السلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا
وقد يكون الغين هنا على قلبه السكينة التى تغشاه لقوله تعالى وانزل
الله سكينته عليه ويكون استغفاره عليه السلام عندها اظهارا
للعبودية والافتقار وقال ابن عطاء استغفاره وفعله هذا تعريف
للامة يحملهم على الاستغفار وقال غيره ويستشعرون الحذر ولا يركنون
الامن وقد يحتمل ان يكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام تغشى قلبه
فيستغفر حينئذ شكرا لله وملازمة لعبوديته كما قال فى ملازمة العباد
افلا اكون عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه الاخيرة يحمل ما روى فى
طرق هذا الحديث عنه عليه السلام انه ليغان على قلبى فى اليوم اكثر من
سبعين مرة فاستغفر الله فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد عليه السلام
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقوله لنوح
عليه السلام فلا تسئلن ما ليس لك به علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين
فاعلم انه لا يلتفت فى ذلك الى قول من قال فى اية نبينا عليه السلام
لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله وان وعدك الحق اذ فيه

اثبات الجهل بصفة من صفات الله وذلك لا يجوز على الانبياء والمقصود
وعظهم ان لا يتشبهوا فى امورهم بسمات الجاهلين كما قال انى اعظك
وليس فى الاية منها دليل على كونهم على تلك الصفة التى نهاهم عن الكون
عليها فكيف واية نوح عليه السلام قبلها فلا تسئلن ما ليس لك به علم
انى اعظك فحمل ما بعدها على قبلها اولى لان مثل هذا يحتاج الى اذن
وقد تجوز اباحة السؤال فيه ابتداء فنهاه الله ان يسئله عما طوى
عنه علمه واكنه من غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل الله نعمته
عليه باعلامه ذلك بقوله انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح حكى معناه
مكى كذلك امر نبينا فى الاية الاخرى بالتزام الصبر على اعراض قومه و
لا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه ابو بكر
بن فورك وقيل معناه الخطاب لامة محمد فلا يكونن من الجاهلين حكاه
ابو محمد مكى وقال مثله فى القران كثير فهذا الفصل يوجب القول بعصمة
الانبياء منه بعد النبوة قطعا فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه
لا يجوز عليهم شئ من ذلك فما معنى اذا وعيد الله لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
على ذلك ان فعله وتحذيره منه كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك الاية
وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الاية وقوله اذا
لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الاية وقوله لاخذنا منه باليمين
وقوله وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله وقوله فان
يشاء الله يختم على قلبك وقوله فان لم تفعل فما بلغت رسالته وقوله

يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله
واياك انه عليه السلام لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان لا يخالف
امر ربه ولا ان يشرك ولا يتقول على الله ما لا يجب او يفتري عليه او يضل
او يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن الله تعالى يسر امره بالمكاشفة والبيان
في البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذا السبيل فكانه ما بلغ وطيب
نفسه وقوى قلبه بقوله والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهرون
لا تخافا لتشتد بصائرهم في الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهم خوف
العدو والضعف للنفس واما قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل
الاية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا
وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهؤلاء يفعله وكذلك قوله وان تطع اكثر
من في الارض يضلوك فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا الاية
وقوله فان يشاء الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما
اشبهه فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
لا يجوز عليه ذلك وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه انه
اطاعهم والله ينهاه عما يشاء ويأمره بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين
يدعون ربهم الاية وما كان طردهم عليه السلام وما كان من الظالمين
فصل واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب
انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء
من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار عن الانبياء بتنزيههم عن هذه

عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والايمان بل
على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة كما نبهنا عليه
في الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل
الاخبار ان احدا نبئ واصطفي ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك
ومستند هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم بان القلوب
تنفر عن كل من كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا قد رمت نبينا
بكل ما افترته وعير كفار الامم انبياءها بكل ما امكنها واختلقته مما نص
الله عليه او نقلته الينا الرواة ولم نجد في شيء من ذلك تعييرا لواحد
منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو
كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين ولكان
توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل افظع واقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم
عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد اباؤهم من قبل ففي اطباقهم على الاعراض عنه
دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما
لم يسكتوا عند تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها
كما حكاه الله عنهم وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم عن هذا
بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم الاية وبقوله واذ اخذ الله
ميثاق النبيين الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره الله في الميثاق
وبعيد ان ياخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم ياخذ ميثاق النبيين بالايمان
به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب

هذا مما لا يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد اتاه
جبريل وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك
ثم غسله وملاه حكمة وايمانا كما تظاهرت به اخبار المبداء ولا يشبه عليك
بقول ابرهيم في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فانه قد قيل كان هذا
في الطفولية وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف وذهب معظم
الحذاق من العلماء والمفسرين الى انه انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم
وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد فهذا ربي قال الزجاج
قوله هذا ربي اى على قولكم كما قال تعالى اين شركائى اى عندكم ويدل على انه
لم يعبد شيئا من ذلك ولا اشرك قط بالله طرفة عين قول الله تعالى عنه اذ
قال لابيه وقومه ما تعبدون ثم قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم
الاقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين وقال اذ جاء ربه بقلب سليم اى
سليم من الشرك وقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام فان قلت فما معنى
قوله لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين قيل انه ان لم يؤيدني
بمعونته اكن مثلكم في ضلالكم وعبادتكم على معنى الاشفاق والحذر والا
فهو معصوم في الازل من الضلال فان قلت فما معنى قوله تعالى وقال الذين
كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن
الرسل قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها
فلا يشكل عليك لفظة العود وانها تقتضي انهم انما يعودون الى ما كانوا
فيه من ملتهم فقد تاتي هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء

ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا
قبل كذلك ومثله قول الشاعر فعادا بعد ابوالا وما كانا قبل كذلك
. فان قلت فما معنى قوله ووجدك ضالا فهدى فليس هو من الضلال
الذى هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها قال الطبرى وقيل
ووجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى
ارشادهم ونحوه عن السدى وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك اى لا
تعرفها فهداك اليها والضلال ههنا التحير ولهذا كان عليه السلام
يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به الى ربه ويتشرع به حتى هداه الله
الى الاسلام قال معناه القشيرى وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه و
هذا مثل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم قاله على بن عيسى قال ابن عباس رضى الله
عنهما لم تكن له ضلالة معصية وقيل هدى اى بين امرك بالبراهين وقيل
ووجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة وقيل المعنى وجدك
فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن محبتى لك في الازل
لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتى وقرء الحسن بن على ووجدك ضال فهدى
اى اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك ضالا اى محبا لمعرفتى والضلال
الحب كما قال انك لفى ضلالك القديم اى محبتك القديمة ولم يريدوا ههنا
في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبى الله لكفروا ومثله عند هذا قوله انا
لنريها في ضلال مبين اى محبة بينة وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان
ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله وانزلنا اليك الذكر الاية وقيل ووجدك

لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك فهدى بك السعداء ولا اعلم احدا قال من
المفسرين فيهما ضالا عن الايمان وكذلك في قصة موسى عليه السلام قوله
فعلتها اذا وانا من الضالين اي من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد
قاله ابن عرفة وقال الازهري معناه من الناسين وقد قيل ذلك في قوله
ووجدك ضالا فهدى اي ناسيا كما قال تعالى ان تضل احديهما فان قلت
ما معنى قوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فالجواب ان السمرقندي
قال معناه ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرء القران ولا كيف تدعوا الخلق
الى الايمان وقال بكر نحوه قال ولا الايمان الذي هو الفرائض والاحكام قال
قال فكان قبل مؤمنا بتوحيد الله ثم نزلت الفرايض التي لم يكن يدريها قبل
فزاد بالتكليف ايمانا بتوحيده وهو احسن وجوهه فان قلت فما معنى
قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين فاعلم انه ليس بمعنى قوله والذين هم عن
اياتنا غافلون بل حكى ابو عبيد الهروي ان معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف
عليه اذ لم تعلمها الا بوحينا وكذلك الحديث الذي يرويه عثمان بن ابي شيبة
بسنده عن جابر ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين
مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه فقال
الاخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام فلم يشهدهم بعد فهذا حديث
احمد بن حنبل جدا وهذا موضوع او شبيه بالموضوع وقال الدارقطني يقال
ان عثمان وهم في اسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت
اليه والمعروف عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله

قوله بغضت الي الاصنام وقوله في الحديث الاخر الذي روته ام ايمن حين كلمه عمه
واله في حضور بعض اعيادهم وعزموا عليه فيه بعد كراهته لذلك فخرج معهم
ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لي شخص ابيض طويل يصيح
بي وراءك لا تمسه فما شهد بعد لهم عيدا وقوله في قصة بحيرا حين استحلف
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باللات والعزى اذ لقيه بالشام في سفرته مع
عمه ابي طالب وهو صبي ورأى فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال
له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسئلني بهما فوالله ما ابغضت شيئا
قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسئلك عنه فقال
سل عما بدا لك وكذلك المعروف من سيرته عليه السلام وتوفيق الله
تعالى له انه كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان
يقف هو بعرفة لانه كان موقف ابرهيم عليه السلام فصل قال
القاضي ابو الفضل رضي الله عنه قد بان بما قدمناه عقود الانبياء
في التوحيد والايمان والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه فاما ما
عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها انها مملوءة علما ويقينا على الجملة
وانها قد احتوت من المعرفة والعلم بامور الدين والدنيا ما لا شيء
فوقه ومن طالع الاخبار واعتنى بالحديث وتامل ما قلناه وجده
وقد قدمنا منه في حق نبينا في الباب الرابع اول قسم من هذا
الكتاب ما ينبه على ما وراءه الا ان احوالهم في هذه المعارف
تختلف فاما ما تعلق منها من امر الدنيا فلا يشترط في حق الانبياء العصمة

من عدم معرفة الانبياء ببعضها او اعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا
وصم عليهم فيه اذ هممهم متعلقة بالاخرة وانبائها وامر الشريعة وقوانينها
وامور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من اهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا
من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون كما سنبين من هذا في الباب
الثاني ان شاء الله تعالى ولكنه لا يقال انهم لا يعلمون شيئا من امر الدنيا
فان ذلك يؤدي الى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد ارسلوا
الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم
وهذا لا يكون مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية واحوال الانبياء وسير
هم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كله مشهورة واما ان كان
هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي الا العلم به ولا يجوز عليه جهله
جملة لانه لا يخلو ان يكون حصل عقده عنده ذلك عن وحي الله فهو لا
يصح الشك منه فيه على ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين او
يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شيء على القول بتجويز وقوع
الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين وعلى مقتضى حديث ام سلمة رضي الله
عنها اني انما اقضي بينكم برأي فيما لم ينزل علي فيه شيء خرجه الثقات و
كقصة اسرى بدر والاذن للمتخلفين على رأي بعضهم فلا يكون ايضا ما يعتقده
مما يثمره اجتهاده الا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي لا يلتفت الى خلاف
من خالف فيه ممن اجاز عليهم الخطاء في الاجتهاد لا على القول بتصويب
المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا ولا على القول الاخر بان الحق

بان الحق في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الخطاء في الاجتهاد
في الشرعيات ولان القول في تخطئة المجتهدين انما هو بعد استقرار الشرع
ونظر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه
شيء ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه صلى الله تعالى عليه وسلم
قلبه فاما ما لم يعقد عليه من امر النوازل الشرعية فقد كان
لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله شيئا شيئا حتى استقر علم جملتها
عنده اما بوحي من الله او اذن ان يشرع في ذلك ويحكم بما اراه
الله وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت حتى استقر
علم جميعها عنده عليه السلام وتقررت معارفها لديه على التحقيق
ورفع الشك والريب وانتفاء الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل
بشيء من تفاصيل الشرع الذي امر بالدعوة اليه اذ لا يصح دعوته الى
ما لا يعلمه واما تعلق بعقده من ملكوت السموات والارض و
خلق الله وتعيين اسمائه الحسنى واياته الكبرى وامور الاخرة واشراط
الساعة واحوال السعداء والاشقياء وعلم ما كان وما يكون مما لم
يعلمه الا بوحي فعلى ما تقدم من انه معصوم فيه لا يأخذه فيما اعلم به
منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم
بجميع تفاصيل ذلك وان كان عنده من علم ذلك ما ليس عنده جميع البشر
لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اني لا اعلم الا ما علمني ربي ولقوله ولا خطر
على قلب بشر ولا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقول موسى عليه السلام

بحضر هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
اسئلك باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله اسالك بكل اسم
هولك سميت به نفسك او استأثرت به في علم الغيب عندك وقد قال تعالى
وفوق كل ذى علم عليم قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهى العلم الى الله وهنا
ما لا خفاء به اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد قلب
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى التوحيد والشرع والمعارف والامور الدينية
فصل واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الشيطان
وكفايته منه لا فى جسمه بانواع الاذى ولا على خاطره بالوسواس وقد
اخبرنا القاضى ابو على الحافظ قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون العدل
حدثنا ابو بكر البرقانى وغيره حدثنا ابو الحسن الدارقطنى حدثنا اسمعيل
الصفار حدثنا عباس الترقفى حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن منصور عن
سالم بن ابى الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنهم قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه من
الله قال واياى ولكن الله تعالى اعاننى عليه فاسلم زاد غيره عن منصور فلا
يأمرنى الا بخير وعن عائشة رضى الله عنها بمعناه وروى فاسلم انا منه
وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروى فاسلم يعنى القرين انه انتقل
عن حال كفره الى الاسلام فصار لا يأمر الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث
ورواه بعضهم فاستسلم قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه فاذا كان
هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على بنى ادم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته

صحبته ولا اقدر على الدنو منه وقد جاءت الاثار بتصدى الشياطين له فى
غير موطن رغبة فى اطفاء نوره واماتة نفسه وادخال شغل عليه اذ
يئسوا من اغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له فى صلوته فاخذه النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم واسره ففى الصحاح قال ابو هريرة رضى الله عنه عليه
السلام ان الشيطان عرض لى قال عبد الرزاق فى صورة هر فشد على
يقطع على الصلوة فامكننى الله منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية
حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول اخى سليمان رب اغفر لى وهب لى ملكا
الاية فرده الله خاسئا وفى حديث ابى الدرداء رضى الله عنه عنه عليه السلام
ان عدو الله ابليس جاءنى بشهاب من نار ليجعله فى وجهى والنبى صلى
الله تعالى عليه وسلم فى الصلوة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له ثم اردت
اخذه وذكر نحوه وقال لاصبح موثقا يتلاعب به ولدان اهل المدينة
وكذلك فى حديثه فى الاسراء وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل
ما يتعوذ به منه ذكره فى الموطأ ولما لم يقدر على اذاه بمباشرته تسبب
بالتوسط الى عداه كقضيته مع قريش فى الايتمار بقتل النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم وتصوره فى صورة الشيخ النجدى ومرة اخرى فى غزوة يوم
بدر فى صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم
الاية ومرة ينذر بشانه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله امره
وعصمه ضره وشره وقد قال عليه السلام ان عيسى عليه السلام كفى من لمسه
فجاء ليطعن بيده فى خاصرته حين ولد فطعن فى الحجاب وقال عليه السلام حين

ثقل في مرضه وقيل له خشينا ان يكون بك ذات الجنب فقال انها من الشيطان
ولم يكن الله ليسلطه علي فان قيل فما معنى قوله تعا واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله الاية فقد قال بعض المفسرين انها راجعة الى قوله واعرض عن
الجاهلين ثم قال واما ينزغنك اى يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض
عنهم فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما قال من بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي وقيل ينزغنك يغرينك ويحركنك والنزغ ادنى الوسوسة
فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه او رام الشيطان من اغوائه
به وخواطر ادانى وساوسه ما لم يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ منه فيكفى
امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل
له قدرة عليه وقد قيل في هذه الاية غير هذا وكذلك لا يصح ان يتصور له
الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا في اول الرسالة ولا بعدها والاعتماد
في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبي صلى الله تعا عليه وسلم في ان ما يأتيه من
الله الملك ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله له او ببرهان يظهره على
يديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فان قيل فما معنى قوله وما
ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته
الاية فاعلم ان للناس في معنى هذه الاية اقاويل منها السهل والوعث والسمين
والغث واولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمني ههنا القراءة
والقاء الشيطان فيها اشغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتى يدخل
عليه الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام السامعين من التحريف

من التحريف وسوء التأويل ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم الله اياته
وسيأتي الكلام على هذه الاية بعد باشبع من هذا ان شاء الله تعا وقد حكى
السمرقندي انكار قول من قال بتسلط الشيطان على ملك سليمان عليه السلام
وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان عليه السلام
مبينة بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الولد الذي ولد له وقال ابو محمد
مكي في قصة ايوب عليه السلام وقوله اني مسني الشيطان بنصب وعذاب
انه لا يجوز لاحد ان يتأول ان الشيطان هو الذي امرضه والقى الضر في بدنه
ولا يكون ذلك الا بفعل وامره ليبتليهم ويثيبهم قال مكي وقيل ان الذي اصابه
الشيطان ما وسوس به الى اهله فان قلت فما معنى قوله تعا عن يوشع عليه السلام
وما انسانيه الا الشيطان وقوله تعا عن يوسف عليه السلام فانساه الشيطان
ذكر ربه وقول نبينا صلى الله تعا عليه وسلم حين نام عن الصلاة يوم الوادي
ان هذا واد به شيطان وقول موسى عليه السلام في وكزته هذا من عمل
الشيطان فاعلم ان هذا الكلام قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب
في وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله كما قال تعا كانه رؤس
الشياطين وقال صلى الله تعا عليه وسلم فليقاتله فانما هو شيطان وايضا
فان قول يوشع عليه السلام لا يلزمنا الجواب عنه اذ لم تثبت له في ذلك الوقت
نبوة مع موسى عليه السلام قال تعا واذ قال موسى لفتاه والمروي انما نبئ
بعد موت موسى وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القران
وقصة يوسف عليه السلام قد ذكر انها كانت قبل نبوته وقد قال المفسرون

في قوله انساه الشيطان قولين احدهما ان الذي انساه الشيطان ذكر
ربه احدهما صاحب السجن ورب الملك اي انساه ان يذكر للملك شان يوسف
عليه السلام وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط
على يوسف ويوشع عليهما السلام بوساوس ونزغ وانما هو اشغال خاطر
هما بامور اخر وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما ما نسيا ه واما قوله عليه
السلام ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسه
له بل ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان
اتى بلالا فلم يزل يهديه الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك
الوادي انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد
به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلوة واما ان جعلناه تنبيها على سبب
الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلوة به وهو دليل مساق حديث زيد
بن اسلم فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله والله
اعلم فصل واما اقواله عليه السلام فقامت الدلائل الواضحة بصحة
المعجزة على صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم
فيه من الاخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا وعمدا ولا سهوا
وغلطا اما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام
قول الله صدق فيما قال اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا واما
وقوعه على جهة الغلط في ذلك فبهذه السبيل عند الاستاذ ابي اسحاق
الاسفرائني ومن قال بقوله ومن جهة الاجماع فقط وورد الشرع بانتفاء

بانتفاء ذلك وعصمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة
نفسها عند القاضي ابي بكر الباقلاني ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى
دليل المعجزة لا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه
اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه خلف في القول في ابلاغ الشريعة والاعلام
بما اخبر عن ربه وما اوحاه اليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد و
لا في حال الرضى والسخط والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو
قلت يا رسول الله اكتب كل ما اسمع منك قال نعم قلت في الرضى
والغضب قال نعم فاني لا اقول في ذلك كله الا حقا ولنزد ما اشرنا
اليه من دليل المعجزة عليه بيانا فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه وانه
لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله الا صدقا وان المعجزة قائمة مقام قول
الله له صدقت فيما تذكره عني وهو يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم
ما ارسلت به اليكم وابين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا
وحي يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما اتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف
مخبره على اي وجه كان ولو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره
ولا اختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من
غير خصوص فتنزيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا و
اجماعا قاله ابو اسحاق فصل وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين
سؤالات منها ما روي من ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما قرأ سورة

والنجم وقال افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال تلك
الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى ويروى ترتضى وفي رواية ان شفاعتها
لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى وفي الاخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة
ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى
على آلهتهم وما وقع في بعض الروايات ان الشيطان القاها على لسانه وان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم كان تمنى ان لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه وفي
رواية اخرى ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وان جبريل
جاءه فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله تسلية له وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الاية وقوله وان كادوا ليفتنونك فاعلم اكرمك الله ان لنا في الكلام
على مشكل هذا الحديث ماخذين احدهما في توهين اصله والثاني على التسليم
اما الماخذ الاول فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه
ثقة بسند سليم متصل وانما اولع به وبمثله المفسرون والمورخون المولعون
بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضي بكر بن العلاء
المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء والتفسير وتعلق
بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده و
اختلاف كلماته فقائل يقول انه في الصلوة واخر يقول قالها في نادي
قومه حين انزلت عليه السورة واخر يقول بل حدث نفسه فسها واخر يقول
ان الشيطان قالها على لسانه وان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما عرضها على جبريل

جبريل قال ما هكذا اقرأتك واخر يقول بل اعلمهم الشيطان ان النبي صلى الله
عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك قال والله ما هكذا
انزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواة ومن حكيت عنه هذه الحكاية من
المفسرين والتابعين لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق
عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع منه حديث شعبة عن ابي بشر عن سعيد
بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال فيما احسب الشك في الحديث
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة قال ابو بكر البزار
هذا حديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باسناد متصل
يجوز ذكره الا هذا ولم يسنده عن شعبة الا امية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد
بن جبير وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما فقد بين
لك ابو بكر انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه
عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه واما حديث
حديث الكلبي فما لا يجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار
اليه البزار رحمه الله والذي منه في الصحيح ان النبي عليه السلام قرأ والنجم وهو
بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس هذا توهينه من طريق
النقل فاما من جهة المعنى فقد قامت الحجة واجمعت الامة على عصمته صلى الله تعالى
عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من
مدح آلهة غير الله وهو كفر او ان يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن
حتى يجعل فيه ما ليس منه حتى ينبهه جبريل وذلك كله ممتنع في حقه عليه السلام او

يقول ذلك النبي من قبل نفسه عمدا وسهوا وهو معصوم عن ذلك كله او
ان يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقى الشيطان او يكون للشيطان عليه سبيل
او ان يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال تعالى ولو تقول
علينا بعض الاقاويل الاية وقال اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات
الاية ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك ان
هذا الكلام لو كان كما روى لكان بعيد الالتيام متناقض الاقسام ممتزج المدح
بالذم متخاذل التاليف والنظم ولما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا من
بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى
على ادنى متامل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام
علمه ووجه ثالث انه قد علم من عادة المنافقين ومعاندة المشركين وضعفة
القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لاول وهلة وتخليط العدو على النبي
صلى الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين والشمات
بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى
شبهة ولم يحك احد في هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الا
الاصل ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ولاقامت
بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الاسراء حتى كانت في ذلك
لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما روى في قصة القضية ولا فتنة اعظم
من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب للمعادى حينئذ اشد من هذه الحادثة
لو امكنت فما روى عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل

فدل على بطلها واجتثاث اصلها ولا شك في ادخال بعض شياطين
الانس او الجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء
المسلمين وجه رابع ذكر الرواة لهذه القضية ان فيها نزلت وان كادوا
ليفتنونك الايتين وهاتين الايتان تردان الخبر الذى رووه لان الله
تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفترى وانه لولا ان ثبته لكاد يركن
اليهم فمضمون هذا ومفهومه ان الله عصمه من ان يفترى وثبته حتى لم يركن
اليهم شيئا قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في اخبارهم الواهية انه زاد على
الركون والافتراء بمدح الهتهم وانه قال عليه السلام افتريت على الله وقلت
عليه ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الاية وهى تضعف الحديث لو صح فكيف ولا
صحة له وهذا مثل قوله في الاية الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت
طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وقد
روى عن ابن عباس رضى الله عنهما كل ما في القران كاد فهو ما لا يكون قال الله
تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ولم يذهب واكاد اخفيها ولم يفعل
قال القشيرى القاضى ولقد طالبه قريش وثقيف اذ مر بالهتهم ان يقبل
بوجهه اليها ووعدوه الايمان به ان فعل فما فعل وما كاد ليفعل قال ابن
الانبارى ما قارب الرسول ولا ركن وقد ذكرت في معنى الاية تفاسير
اخر ما ذكرناه من نص الله على عصمة رسوله يرد سفسافها فلم يبق في الاية
الا ان الله امتن على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار وراموا من
فتنته ومرادنا من ذلك كله تنزيهه وعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو

مفهوم الاية واما المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث لو
صح وقد اعاذنا الله من صحته ولكن على ذلك من حال فقد اجاب
عن ذلك ائمة المسلمين باجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روى عن
قتادة ومقاتل ان النبي صلى الله تعا عليه وسلم اصابته سنة عند
قرائة هذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح
اذ لا يجوز على النبي مثله في حالة من احواله ولا يخلقه الله على لسانه
ولا يستولي الشيطان عليه في نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب
من جميع العمد والسهو وفي قول الكلبي ان النبي صلى الله تعا عليه وسلم
حدث نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب
عن ابي بكر بن عبد الرحمن قال وسهى فلما اخبر بذلك قال انما ذلك من
الشيطان وكل هذا لا يصح ان يقوله عليه السلام لا سهوا ولا قصدا
ولا يتقوله الشيطان على لسانه وقيل لعل النبي صلى الله تعا عليه وسلم
قاله اثناء تلاوة على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول ابرهيم هذا
ربي على احد التاويلات وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان
الفصل بين الكلامين ثم رجع الى تلاوة وهذا ممكن مع بيان الفصل
وقرينة تدل على المراد وانه ليس من المتلو وهو احد ما ذكره القاضي ابو
بكر ولا يعترض على هذا بما روى انه كان في الصلوة فقد كان الكلام فيها
قبل غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في تاويله عنده وعند غيره من المحققين
على تسليم ان النبي صلى الله تعا عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القرآن

القرآن ترتيلا ويفصل الآي تفصيلا في قرائته كما رواه الثقات عنه فيمكن
ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات
محاكيا نغمة النبي صلى الله تعا عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها
من قول النبي صلى الله تعا عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين
بحفظ السورة قبل ذلك على ما انزلها الله وتحققهم من حال النبي صلى الله تعا
عليه وسلم في ذم الاوثان وعيبها ما عرف منه وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه
نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك في اسماع
المشركين وقلوبهم ويكون ما روى من حزن النبي صلى الله تعا عليه وسلم لهذه
الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال تعا وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي الاية فمعنى تمنى تلا قال تعا لا يعلمون الكتاب الا اماني
اي تلاوة وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس
به ويحكم اياته وقيل معنى الاية هو ما يقع للنبي صلى الله تعا عليه وسلم من
السهو اذا قرء فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الاية انه
حدث فيها نفسه وقال اذا تمنى اي حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن
عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في القرائة انما يصح فيما ليس طريقه تغيير
المعاني وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس من القرآن بل السهو عن اسقاط اية منه
او كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره
في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تاويله ايضا ان مجاهدا
روى هذه القصة والغرانقة العلى فان سلمنا القصة قلنا لا يبعد ان هذا كان

قرانا والمراد بالغرانقة العلى وان شفاعتهن لترتجى الملئكة وذلك ان الكفار
كانوا يعتقدون الاوثان والملئكة بنات الله كما حكى الله عنهم ورد عليهم في هذه
السورة بقوله الكم الذكر وله الانثى فانكر الله كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة
من الملئكة صحيح فلما تأوله المشركون على ان المراد بذلك الذكر الهتهم ولبس
عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله ما القى الشيطان
واحكم اياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للابس
كما نسخ كثيرا من القران ورفعت تلاوته وكان في انزال الله تعالى لذلك حكمة و
في نسخه حكمة ليضل به من يشاء ويهدى من يشاء وما يضل به الا الفاسقين
وليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان
الظالمين لفى شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا
به فتخبت له قلوبهم الاية وقيل ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما قرا هذه
السورة وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان
يأتى بشىء من ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا فى تلاوة
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويشنعوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا
القران والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل الى الشيطان لحمله لهم
عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاله فحزن
لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله بقوله وما ارسلنا من قبلك الاية
وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القران واحكم اياته ودفع ما لبس به
العدو كما ضمنه تعالى من قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر الاية ومن ذلك ما روى من

من قصة يونس عليه السلام انه وعد قومه بالعذاب عن ربه فلما تابوا كشف
عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب مغاضبا فاعلم اكرمك الله
انه ليس في خبر من الاخبار الواردة في هذا الباب ان يونس قال لهم ان الله مهلككم
وانما فيه انه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه ولكنه
قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله
عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم العذاب
الخزى الاية وروى في الاخبار انهم راوا دلائل العذاب ومخائله قاله ابن مسعود
رضى الله عنه وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشى الثوب القبر
فان قلت فما معنى ما روى ان عبد الله بن ابى سرح كان يكتب لرسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار الى قريش فقال لهم انى كنت اصرف
محمدا حيث اريد كان يملى على عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب
وفى حديث اخر فيقول له النبى صلى الله تعالى اكتب كذا فيقول اكتب كذا
فيقول اكتب كيف شئت ويقول اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا
فيقول اكتب كيف شئت وفى الصحيح عن انس رضى الله عنه ان نصرانيا كان
يكتب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما اسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدرى محمد
الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه
الحق بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية اولا لا توقع في قلب مؤمن
ريبا اذ هى حكاية عمن ارتد وكفر بالله تعالى ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف
بكافر افترى هو ومثله على الله ورسوله ما هو اعظم من هذا والعجب لسليم

العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين
مفترٍ على الله ورسوله ولم يرد عن احد من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد
ما قاله وافتراه على نبي الله وانما يفتري الذين لا يؤمنون بايات الله واولئك
هم الكاذبون وما وقع من ذكرها في حديث انس وظاهر حكايتها له فليس فيه
ما يدل انه شاهدها ولعله حكى ما سمع وقد علل البزار حديثه ذلك وقال
رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه ورواه حميد عن انس رضي الله عنه وقال اظن
حميداً سمعه من ثابت قال صلى الله تعالى عليه وسلم قال القاضي ابو الفضل ولهذا والله
اعلم لم يخرج اهل الصحة حديث ثابت ولا حميد والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع
عن انس الذي اخرجه اهل الصحة وذكرناه وليس فيه عن انس رضي الله عنه قول شيء
من ذلك من قبل نفسه الا من حكايته عن المرتد النصراني ولو كانت صحيحة لما كان
فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما اوحي اليه ولا جواز للنسيان
والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم القران وانه من عند الله اذ ليس
فيه لو صح اكثر من ان الكاتب قال له عليم حكيم او كتبه فقال له النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول
قبل اظهار الرسول لها اذ كان ما تقدم مما املاه الرسول يدل عليها و
يقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه و
فطنته كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق الى قافيته او مبتدا
الكلام الحسن الى ما يتم به ولا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في اية
ولا سورة وكذلك قوله عليه السلام ان صح كل صواب فقد يكون هذا فيما

فيما كان فيه من مقاطع الاي وقرانان انزلتا جميعا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فاملى احديهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى
فبل ذكر النبي فذكرها للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لها كما قدسناه فصوبها
له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد
وجد ذلك في بعض مقاطع الاي مثل قوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك
وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد قرء جماعة
فانك انت الغفور الرحيم وليست من المصحف وكذلك كلمات جاءت على
وجهين في غير المقاطع قرء بهما معا الجمهور وثبتتا في المصحف مثل و
انظر الى العظام كيف ننشرها وننشزها ويقض الحق ويقص الحق وكل هذا
هذا لا يوجب ريبا ولا ينسب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم غلطا ولا
وهما وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم الى الناس غير القران فيصف الله تعالى ويسميه في ذلك كيف
يشاء فصل هذا القول فيما طريقه واما ما ليس سبيله سبيل
البلوغ من الاخبار التي لا مستند لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا يضاف
الى وحي بل في امور الدنيا واحوال نفسه فالذي يجب اعتقاده تنزيه
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن ان يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف
مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه معصوم من ذلك في حال رضاه
وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق
السلف واجماعهم عليه وذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم

الى تصديق جميع احواله والثقة بجميع اخباره فى اى باب كانت وعن اى شئ وقعت
وانه لم يكن لهم توقف ولا تردد فى شئ منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك
هل وقع فيها سهو ام لا ولما احتج ابن ابى الحقيق اليهودى على عمر رضى الله عنه
حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لهم واحتج عليه
عمر رضى الله عنه بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت من خيبر فقال
اليهودى كانت هزيلة من ابى القاسم فقال عمر رضى الله عنه كذبت يا عدو الله
وايضا فان اثاره واخباره وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى تفاصيلها
ولم يرد فى شئ منها استداركه عليه السلام لغلط فى قول قاله او اعترافه
بوهم فى شئ اخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته عليه السلام رجوعه
عما اشار به على الانصار فى تلقيح النخل وكان ذلك رايا لا خبرا وغير ذلك
من الامور التى ليست من هذا الباب كقوله والله لا احلف على يمين فارى
خيرا منها الا فعلت الذى حلفت عليه وكفرت عن يمينى وقوله انكم تختصمون
الى الحديث وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما فى هذا
من مشكل فى هذا الباب والذى بعده ان شاء الله مع اشباهها وايضا
فان الكذب متى عرف من احد فى شئ من الاخبار بخلاف ما هو على اى
وجه كان استريب بخبره واتهم فى حديثه ولم يقع قوله فى النفوس موقعا
ولهذا ما ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة
وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وايضا فان تعمد الكذب فى امور
الدنيا معصية والاكثار منه كبيرة باجماع مسقط للمروة وكل هذا مما يتنزه

ينزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة منه فيما يستشنع ويشنع
مما يخل بصاحبها ويزرى بقائلها لاحقة بذلك واما فيما لا يقع هذا الموقع
فان عددناها من الصغائر فهل تجرى على حكمها فى الخلاف فيها مختلف فيه و
الصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره سهوه وعمده اذ عمدة النبوة
البلاغ والاعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
وتجويز شئ من هذا قادح فى ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع
عن يقين بانه لا يجوز على الانبياء خلف فى هذا القول فى وجه من الوجوه
لا بقصد ولا بتسامح مع من تسامح فى تجويز ذلك عليهم حال السهو مما ليس
طريقه البلاغ نعم وبانه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به
فى امورهم واحوال دنياهم لان ذلك كان يزرى ويريب بهم وينفر القلوب
عن تصديقهم بعد وانظر احوال عصر النبى صلى الله عليه من قريش وغيرها
من الامم وسؤالهم عن حاله فى صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا
به من ذلك واعترفوا به مما عرف واتفق اهل النقل على عصمة نبينا صلى الله
تعالى عليه وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الاثار فيه فى الباب الثانى اول
الكتاب ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه فصل فان قلت فما معنى قوله
صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث السهو الذى حدثنا به الفقيه ابو اسحاق
ابرهيم بن جعفر قال حدثنا القاضى ابو الاصبغ بن سهل قال حدثنا حاتم بن محمد
حدثنا ابو عبد الله محمد بن الفخار حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى
عن مالك عن داود بن الحصين عن ابى سفيان مولى ابن ابى احمد انه قال سمعت

ابا هريرة رضى الله عنه يقول صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلوة
العصر فسلم فى ركعتين فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله اقصرت الصلوة
ام نسيت فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كل ذلك لم يكن وفى رواية
اخرى ما قصرت الصلوة وما نسيت الحديث بقصته فاخبر بنفى الحالتين وانهما لم تكن
وقد كان احد ذلك كما قال ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله فاعلم
وفقنا الله واياك ان للعلماء فى ذلك اجوبة بعضها بصدد الانصاف ومنها ما هو
بنية التعسف والاعتساف وها انا اقول اما على القول بتجويز الوهم والغلط
فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو الذى زيفناه من القولين فلا اعتراض
بهذا الحديث وشبهه واما على مذهب من يمنع السهو والنسيان فى افعاله جملة
ويرى انه فى مثل هذا عامد لصورة النسيان ليسن فهو صادق فى خبره لانه لم ينس ولا
قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل فى هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه
مثله وهو مرغوب عنه نذكره فى موضعه واما على احالة السهو عليه فى الاقوال وتجويز
السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه اجوبة منها ان النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكاره القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا
واما النسيان فاخبر صلى الله تعالى عليه وسلم عن اعتقاده وانه لم ينس فى ظنه فكانه
قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به وهذا صدق ايضا وجه ثان ان قوله
لم انس راجع الى السلام اى انى سلمت قصدا وسهوت عن العدد لم انس
فى نفس السلام وهذا محتمل وفيه بعد وجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه
بعضهم وان احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن اى لم يجتمع القصر والنسيان

والنسيان بل كان احدهما ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الاخرى الصحيحة و
هو قوله ما قصرت الصلوة ولا نسيت هذا ما رايت فيه لائمتنا وكل من هذه
الوجوه يحتمل اللفظ على بعد بعضها وتعسف الاخر منها قال القاضى ابو الفضل
رضى الله عنه والذى اقول ويظهر لى انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله
لم انس انكار للفظ الذى نفاه عن نفسه وانكره على غيره بقوله بئس ما لاحدكم
ان يقول نسيت اية كذا وكذا ولكنه نسى ولقوله فى بعض روايات الاحاديث
الاخر لست انسى ولكن انسى فلما قال له السائل اقصرت الصلوة ام نسيت
انكر قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه وانه ان كان جرى شئ من ذلك
فقد نسى حتى سئل غيره فتحقق انه نسى واجرى عليه ذلك ليسن فقوله على
هذا لم انس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة
ولكنه نسى ووجه اخر استثرته من كلام بعض المشايخ وذلك انه قال ان
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان
قال لان النسيان غفلة وآفة والسهو انما هو شغل قال فكان النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم يسهو فى صلوته ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات
الصلوة ما فى الصلوة شغلا بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق على هذا
المعنى لم يكن فى قوله ما قصرت ولا نسيت خلف فى قوله وعندى ان قوله
ما قصرت ولا نسيت بمعنى الترك الذى هو احد وجهى النسيان اراد والله
اعلم انى لم اسلم من ركعتين تاركا لاكمال الصلوة ولكنى نسيت ولم يكن ذلك
من تلقاء نفسى والدليل على ذلك قوله عليه السلام فى الحديث الصحيح ان

لا نسي او انس لاسن واما قصة كلمات ابرهيم عليه السلام المذكورة في الحديث
انها كذبات الثلاث المنصوصة في القران منها اثنتان قوله اني سقيم وبل فعله كبير
هم هذا وقوله للملك عن زوجته انها اختي فاعلم اكرمك الله ان هذه كلها خارجة
عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة
عن الكذب اما قوله اني سقيم فقال الحسن وغيره معناه سا سقيم اي ان كل
مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه عن الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل بل
سقيم بما قدر على من الموت وقيل سقيم القلب بما اشاهده من كفركم وعنادكم
وقيل بل كانت الحمى تاخذه عند طلوع نجم معلوم فلما راه اعتذر بعادته وكل هذا
ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف ما
اراد بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون بها وانه اثناء نظره في ذلك و
قبل استقامة حجته عليهم في حال سقم ومرض حال مع انه لم يشك هو ولا ضعف
ايمانه ولكنه ضعف في استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول
حتى الهمه الله باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكواكب والقمر والشمس ما نصه الله
وقد قدمنا بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الاية فانه علق خبره فانه علق خبره
بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق
ايضا ولا خلف فيه واما قوله اختي فقد بين في الحديث وقال فانك اختي في الاسلام
وهو صدق والله تعالى يقول انما المؤمنون اخوة فان قلت فهذا النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب ابرهيم الا ثلاث كذبات وقال في حديث
الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا

حقا في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابرهيم
عليه السلام بمؤاخذته بها واما الحديث كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اراد
غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول انما هو ستر مقصده لئلا ياخذه
عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع اخر والبحث عن اخباره
والتعريض بذكره لا انه يقول تجهزوا الى الغزوة كذا او وجهتنا الى موضع
كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف فان قلت
فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل اي الناس اعلم فقال انا اعلم
فعتب الله تعالى عليه ذلك اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه قال بل عبدنا
بمجمع البحرين اعلم منك وهذا خبر قد انباء الله انه ليس كذلك فاعلم انه وقع في
هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما هل تعلم احدا
اعلم منك فاذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق ولا خلف فيه ولا شبهة
وعلى الطريق الاخر فمحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به لان حاله في النبوة و
الاصطفاء يقتضي ذلك فيكون اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا
لا خلف فيه وقد يريد بقوله انا اعلم بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد
وامور الشريعة وسياسة الامة ويكون الخضر اعلم منه بامور اخر مما لم يعلمه احد
الا باعلام الله من علوم غيبه كالقصص المذكورة في خبرهما فكان موسى اعلم على
الجملة بما تقدم وهذا اعلم على الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا
علما وعتب الله ذلك عليه فيما قاله العلماء انكار هذا القول عليه لانه لم يرد العلم
اليه كما قالت الملئكة لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه لم يرض قوله شرعا وذلك والله

اعلم لئلا يقتدى به فيه من لم يبلغ كماله فى التزكية نفسه وعلو
درجته من امته فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك
من الكبر والعجب والتعاطى والدعوى وان نزه عن هذه الرذائل
الانبياء فغيرهم بمدرجة سبيلها ودرك نيلها الا من عصم الله
تعـ فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال عليه السلام
تحفظا من مثل هذا مما قد اعلم به انا سيد ولد آدم ولا فخر وهذا الحديث
احد حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله فيه انه اعلم من موسى ولا يكون
الولى اعلم من النبى واما الانبياء فيتفاضلون فى المعارف وبقوله
وما فعلته عن امرى فدل انه بوحى ومن قال انه ليس بنبى قال يحتمل
ان يكون فعله بامر نبى آخر وهذا يضعف لانه ما علمنا كان فى زمن
موسى نبى غيره الا اخاه هرون وما نقل احد من اهل الاخبار فى ذلك
شيئا يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس على العموم وانما هو على
الخصوص وفى قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة خضر ولهذا
قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر
اعلم فيما دفع اليه من موسى وقال آخر انما الجى موسى الى الخضر للتاديب
لا للتعليم فصل واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها
القول باللسان فيما عدا الخبر الذى وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب
فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة فاجمع المسلمون على عصمة
الانبياء من الفواحش والكبائر الموبقات ومستند الجمهور فى ذلك الاجماع

الاجماع الذى ذكرناه وهو مذهب القاضى ابى بكر ومنعها غيره بدليل العقل
مع الاجماع وهو الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحق وكذلك لا خلاف
انهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير فى التبليغ لان كل ذلك
يقتضى العصمة منه المعجزة مع الاجماع على ذلك من الكافة والجمهور القائلين
بانهم معصومون من ذلك من قبل الله معتصمون باختيارهم وكسبهم الا حسينا
النجار فانه قال لا قدرة لهم على المعاصى واما الصغائر فجوزها جماعة من السلف
وغيرهم على الانبياء وهو مذهب ابى جعفر الطبرى وغيره من الفقهاء و
المحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طائفة اخرى
الى الوقف وقالوا ان العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يات فى الشرع قاطع باحد
الوجهين وذهبت طائفة اخرى من المحققين ومن الفقهاء والمتكلمين
الى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر قالوا لاختلاف الناس فى الصغائر
وتعيينها من الكبائر واشكال ذلك وقول ابن عباس رضى الله عنهما وغيره
ان كل ما عصى الله به فهو كبيرة وانه انما سمى منها الصغير بالاضافة الى ما
هو اكبر منه ومخالفة البارى فى اى امر كان يوجب كونه كبيرة قال القاضى
ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال فى معاصى الله صغيرة الا على معنى
انها تغتفر باجتناب الكبائر ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكبائر اذا لم
يتب منها فلا يحبطها شئ والمشية فى العفو عنها الى الله وهو قول القاضى
ابى بكر وجماعة ائمة الاشعرية وكثير من الفقهاء وقال بعض ائمتنا
ولا يجب على القولين ان يختلف انهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها

اذ يلحقها ذلك بالكبائر ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروة
واوجبت الازراء والخساسة فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبياء اجماعا لان مثل
هذا يحط منصب المتسم به ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه والانبياء
منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فادى الى مثله لخروجه
بما ادى اليه من اسم المباح الى الحظر وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة
المكروه قصدا وقد استدل بعض الائمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى
امتثال افعالهم واتباع اثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك
من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة رحمهم الله عليهم من غير التزام
قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك وحكى ابن خويزمنداد
وابو الفرج عن مالك التزام ذلك وجوبا وهو قول الابهري وابن القصار
واكثر اصحابنا واكثر اهل العراق وابن سريج والاصطخري وابن خيران من
الشافعية واكثر الشافعية على ان ذلك ندب وذهبت طائفة اخرى
الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الامور الدينية وعلم به مقصد
القربة ومن قال بالاباحة في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغائر
لم يمكن الاقتداء بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده به من
القربة او الاباحة او الحظر او المعصية ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال
امر لعله معصية لا سيما على من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا
من الاصوليين ونزيد هذا حجة بان نقول من جوز الصغائر ومن نفاها عن
نبينا عليه السلام مجمعون انه عليه السلام لا يقر على منكر من قول او فعل

او فعل وانه متى رأى شيئا فسكت عنه صلى الله تعالى عليه وسلم دل على جوازه
فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه في نفسه وعلى هذا المأخذ
يجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل واذ الحظر او الندب على الاقتداء بفعله
ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه وايضا فقد علم من دين الصحابة قطعا الاقتداء
بافعال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء باقواله
فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع صلى الله تعالى عليه وسلم
نعاله واحتجاجهم برؤية ابن عمر رضي الله عنهما اياه جالسا لقضاء حاجته
مستقبلا بيت المقدس واحتج غير واحد منهم في غير شيء مما بابه العبادة
والعادة بقوله رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يفعله وقال صلى
الله تعالى عليه وسلم هلا اخبرتيها اني اقبل وانا صائم وقالت عائشة رضي الله
محتجة كنت افعله انا ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وغضب رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الذي اخبر بمثل هذا عنه فقال يحل الله لرسوله
ما يشاء فقال واني لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده والاثار في هذا اعظم من
ان نحيط عليها لكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم افعاله واقتداؤهم بها
ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم
عن ذلك ولما انكر عليه السلام على الاخر قوله واعتذاره بما ذكرناه واما المباحات
فجائز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل هي ماذون فيها وايديهم كايدي غيرهم
مسلطة عليها الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم من
انوار المعرفة واصطفوا به من تعلق بالهم بالله والدار الاخرة لا ياخذون من

المباحات الا الضرورات مما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم
وضرورة دنياهم وما اخذ على هذه السبيل التحق طاعة وصار قربة
كما بينا منه اول الكتاب طرفا فى خصال نبينا عليه السلام فبان لك
عظيم فضل الله على نبينا وعلى سائر انبيائه عليهم السلام بان جعل
افعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية
فصل وقد اختلف فى عصمتهم من المعاصى قبل النبوة فمنعها
قوم وجوزها اخرون والصحيح ان شاء الله تعالى تنزيههم من كل عيب
وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسئلة تصورها كالممتنع
فان المعاصى والنواهى انما تكون مع تقرر الشرع وقد اختلف الناس
فى حال نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا لشرع
من قبله ام لا فقال جماعة لم يكن متبعا لشىء وهذا قول الجمهور فالمعاصى
على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة فى حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية
انما تتعلق بالاوامر والنواهى وتقرر الشريعة ثم اختلف حجج القائلين
بهذه المقالة عليها وذهب سيف السنة ومقتدى فرق الامة القاضى ابو
بكر بن الطيب الى ان طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق
السمع وحجته انه لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره فى العادة اذ كان
من مهم امره واولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة
ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شىء من ذلك جملة وذهبت طائفة الى امتناع
ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا

هذا على التحسين والتقبيح وهى طريقة غير سديدة واستناد ذلك
الى النقل كما تقدم للقاضى ابى بكر اولى واظهر وقالت فرقة اخرى
بالوقف فى امره عليه السلام وترك قطع الحكم عليه بشىء فى ذلك
اذ لم يحل الوجهين منهما العقل ولا استبان عندها فى احدهما طريق
النقل وهو مذهب ابى المعالى وقالت فرقة ثالثة انه كان عاملا بشرع
من كان قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم
عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة
فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابرهيم وقيل موسى وقيل عيسى عليهم السلام
فهذه جملة المذاهب فى هذه المسئلة والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضى
ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شىء من ذلك لنقل كما قدمناه
ولم يخف جملة ولا حجة لهم فى ان عيسى اخر الانبياء فلزمت شريعته من
جاء بعدها اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم يكن لنبى دعوة عامة
الا لنبينا عليه وسلم ولا حجة ايضا للاخر فى قوله تعالى ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا
وللاخر فى قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فمحمل هذه الاية على اتباعهم
فى التوحيد كقوله اولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده وقد سمى تعالى
فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب عليهما السلام على
قول من يقول انه برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم فى هذه الاية شرائعهم
مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة
الله تعالى وبعد هذه فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول فى سائر الانبياء

غير نبينا عليه السلام او بخالفونه بينهم اما من منع الاتباع عقلا فيطرد
اصله في كل رسول بلا مرية واما من مال الى النقل فاين ما تصور له وتقرر
اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله
يلتزمه بمساق حجته في كل شيء فصل هذا حكم ما تكون المخالفة فيه
من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف واما
ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف الشرعية مما
تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه فاحوال الانبياء
في ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم سواء ثم ذلك على نوعين
ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل
بالفعل واخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه
اما الاول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب
وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعصمته
من جوازه عليه قصدا او سهوا فكذلك قالوا الافعال في هذا
الباب لا يجوز طرو المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لانها بمعنى القول
من جهة التبليغ والاداء وطرو هذه العوارض عليها يوجب التشكيك
وتسبب المطاعن واعتذروا عن احاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد
هذا والى هذا مال الاستاذ ابو اسحق وذهب الاكثر من الفقهاء والمتكلمين
الى ان المخالفة في الافعال البلاغية والاحكام الشرعية سهوا وعن غير
قصد منه جائز عليه كما تقرر من احاديث السهو في الصلوة وفرقوا بين

بين ذلك وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول ومخالفة
ذلك تناقضها واما السهو في الافعال فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة
بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر كما عليه السلام انما انا بشر
انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني نعم بل حالة النسيان والسهو
هنا في حقه عليه السلام سبب افادة علم وتقرير شرع كما قال عليه السلام
اني لا انسى او انسى لاسن بل قد روي لست انسى ولكن انسى لاسن وهذه
الحالة زيادة له في التبليغ وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص واغراض
الطعن فان القائلين بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل لا تقر على السهو
والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح
وقبل انقراضهم على قول الاخرين واما ما ليس طريقه البلاغ وبيان الاحكام
من افعاله عليه السلام وما يختص به من امور دينه واذكار قلبه مما لم يفعله
ليتبع فيه فالاكثر من طبقات علماء الامة على جواز السهو والغلط عليه فيها و
لحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من مقاسات الخلق
وسياسات الامة ومعانات الاهل وملاحظة الاعداء ولكن ليس على سبيل
التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما قال عليه السلام انه
ليغان على قلبي فاستغفر الله وليس في هذا شيء يحط من رتبته ويناقض معجزته
وذهبت طائفة الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه
عليه السلام من جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب و
المقامات ولهم في هذه الاحاديث مذاهب نذكرها بعد هذا ان شاء الله

فصل في الكلام على الاحاديث المذكورة فيها السهو منه عليه السلام

وقد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السلام وما يمتنع واحلنا
في الاخبار جملة وفي الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه في الافعال الدينية
على الوجه الذي رتبنا واشرنا الى ما ورد في ذلك ونحن نبسط القول فيه
الصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه عليه السلام في الصلوة ثلثة احاديث
اولها حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين الثاني حديث ابن بحينة في
القيام من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث مبنية على السهو في الفعل
الذي قررناه وحكمة الله فيه ليستن به اذ البلاغ بالفعل اجلى منه بالقول
وارفع للاحتمال وشرطه انه لا يقر على هذا السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس
وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه وان النسيان والسهو في الفعل في حقه
عليه السلام غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق وقد قال عليه السلام
انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال رحم الله فلانا
لقد اذكرني كذا وكذا آية كنت اسقطهن ويروى انسيتهن وقال عليه
السلام اني لا انسى او انسى لاسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار انه ليس
بشك وان معناه التقسيم اي انسى انا او ينسيني الله قال القاضي ابو الوليد
الباجي يحتمل ما قالاه ان يريد اني انسى في اليقظة وانسى في النوم او انسى
على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء والسهو او انسى مع اقبالي
عليه وتفرغي له فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض

السبب فيه ونفى الاخر عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر وذهبت
طائفة من اصحاب المعاني والكلام على الحديث الى ان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم كان يسهو في الصلوة ولا ينسى لان النسيان ذهول وغفلة وآفة
قال والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسهو في صلوته ويشغله عن حركات
الصلوة ما في الصلوة شغلا بها لا غفلة عنها واحتج بقوله في الرواية
الاخرى اني لا انسى وذهبت طائفة الى منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه
عليه السلام كان عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض
المقاصد لا يحلى منه بطائل لانه كيف يكون متعمدا ساهيا في حال ولا حجة
لهم في قولهم انه امر بتعمد صورة النسيان ليسن وقد اثبت احد الوصفين
ونفى مناقضة التعمد والقصد وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون
وقد مال الى هذا عظيم من المحققين من ائمتنا وهو ابو المظفر الاسفرائني
ولم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله اني لا
انسى ولكن انسى اذ ليس فيه نفي حكم النسيان بالجملة وانما فيه نفي لفظه وكراهة
لقبه كقوله بئس ما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا ولكنه نسي او نفي الغفلة
وقلة الاهتمام بامر الصلوة عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي بعضها ببعضها
كما ترك الصلوة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها
فشغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي ترك يوم الخندق اربع صلوات الظهر
والعصر والمغرب والعشاء وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلوة في
الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم

حكم صلوة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له فان قلت فما تقول في نومه
عن الصلوة يوم الوادي وقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم ان
للعلماء عن ذلك اجوبة منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه في
غالب الاوقات وقد يندر منه غير ذلك كما يندر من غيره خلاف عادته و
يصحح هذا التأويل قوله عليه السلام في الحديث نفسه ان الله قبض ارواحنا
وقول بلال فيه ما القيت على نومة مثلها قط ولكن مثل هذا انما يكون منه
لامر يريده الله من اثبات حكم وتأسيس سنة واظهار شرع وكما قال في الحديث
الاخر ولو شاء الله لايقظنا ولكن اراد ان تكون لمن بعدكم الثاني ان قلبه لا
يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه لما روي انه كان محروسا وانه
كان صلى الله تعالى عليه وسلم ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضأ
وحديث ابن عباس رضي الله عنهما المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم
فيه نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم اذ لعل ذلك لملامسة
الاهل او الحدث اخر فكيف وفي اخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه
ثم اقيمت الصلوة فصلى ولم يتوضأ وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم
وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه عن روية الشمس وليس هذا من فعل القلب
وقد قال عليه السلام ان الله قبض ارواحنا ولو شاء لردها الينا في حين
غير هذا فان قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلأ لنا الصبح
فقيل في الجواب انه كان من شانه عليه السلام التغليس بالصبح ومراعاة اول
الفجر لا يصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا

بلالا بمراعاة اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته
فان قيل فما معنى نهيه عليه السلام عن القول نسيت وقد قال عليه
السلام اني انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال لقد
ذكرني كذا وكذا اية كنت انسيتها فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض
في هذه الالفاظ اما نهيه عن ان يقال نسيت اية كذا فمحمول على
ما نسخ حفظه من القران اي ان الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن
الله اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من سهو او غفلة
من قبله تذكرها صلح ان يقال فيه انسي وقد قيل ان هذا منه صلى
الله تعالى عليه وسلم على سبيل الاستحباب ان يضيف الفعل الى خالقه
والاخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه عليه السلام
لما اسقط من هذه الايات جائز عليه بعد بلاغ ما امر بتبليغه وتوصيله
العباده ثم يستذكرها من امته او من قبل نفسه الا ما قضى الله
سبحانه بنسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره وقد يجوز ان ينسى
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما هذا سبيله كرة ويجوز ان ينسى
منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم
يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه
بلاغه فصل في الرد على من اجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا
به في ذلك اعلم ان المجوزين للصغائر على الانبياء من الفقهاء والمحدثين
ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من

القران والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم الى تجويز الكبائر وخرق
الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما تقابلت الاحتمالات في مقتضاه
وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن
مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة على خطاء
قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح وها نحن ناخذ في النظر
فيها ان شاء الله تعالى فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله واستغفر لذنبك و
للمؤمنين والمؤمنات وقوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك
وقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم
فيما اخذتم عذاب عظيم وقوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى الاية وما قص الله
تعالى من قصص غيره من الانبياء كقوله وعصى ادم ربه فغوى وقوله فلما آتاهما
صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما الاية وقوله عنه ربنا ظلمنا انفسنا الاية و
قوله عن يونس سبحانك اني كنت من الظالمين وما ذكره من قصته وقصة
داود وقوله وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب
الى قوله مآب وقوله ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته مع اخوته و
قوله عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان
وقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في دعائه اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت
واسررت واعلنت ونحوه من ادعيته عليه السلام وذكر الانبياء في الموقف
ذنوبهم في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة وقوله انه ليغان على قلبي

قلبي فاستغفر الله وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه اني لاستغفر الله
واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح والا تغفر لي
وترحمني الاية وقد كان قال الله له ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم
مغرقون وقال تعالى عن ابرهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين
وقوله عن موسى تبت اليك وقوله ولقد فتنا سليمان الى ما اشبه
هذه الظواهر فاما احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر فهذا قد اختلف فيه المفسرون فقيل المراد ما كان قبل النبوة و
بعدها وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع اعلمه الله تعالى انه مغفور له و
قيل ما كان قبل النبوة والمتاخر عصمتك بعدها حكاها احمد بن نصر وقيل
المراد بذلك امته عليه السلام وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتاويل
حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيك ادم وما تاخر من ذنوب
امتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطا وبمثله والذي قبله يتاول
قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمومنات قال مكي مخاطبة النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم ههنا هي مخاطبة لامته وقيل ان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم لما امر ان يقول وما ادري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار فانزل الله
تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وبمآل المؤمنين في الاية الاخرى
بعدها قاله ابن عباس رضي الله عنهما فمقصد الاية انك مغفور لك غير مؤاخذ
بذنب ان لو كان قال بعضهم المغفرة ههنا تبرئة من العيوب واما قوله و
وضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة

وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته
منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت ظهره حكى معناه السمرقندي وقيل المراد بذلك
ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل
حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك
وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه القشيري وقيل معناه
خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض
اي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة
فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها او يكون الوضع عصمة الله له
وكفايته له من ذنوب لو كانت لانقضت ظهره او يكون من ثقل الرسالة او ما
ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه
من وحيه واما قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبي صلى
الله عليه وسلم فيه من الله نهي فيعد معصية ولا عده الله تعالى عليه معصية بل لم يعده
اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله
من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما يشاء فيما لم ينزل
عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله تعالى فاذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم
اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم ياذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما
فعل وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عفا الله لكم
عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري

للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب
قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنبا قال الداودي روي انها تكرمة
له قال مكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك وحكى السمرقندي
ان معناها عافاك الله واما قوله في اسارى بدر ما كان لنبي ان يكون
له اسرى الايتين فليس فيه الزام ذنب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بل فيه
بيان ما خص به وفضل من بين سائر الانبياء عليهم السلام فكانه قال
ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه السلام احلت
لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض
الدنيا الاية قيل المعنى بالخطاب لمن اراد ذلك منهم وتجرد غرضه و
لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم
المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال حتى
خشي عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق فا
فاختلف المفسرون في معنى الاية هذه فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا
اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل
المعنى لولا ايمانكم بالقران وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم
على الغنائم ويزداد هذا القول تفسيرا وبيانا بان يقال لولا ما كنتم مؤمنين
بالقران وكنتم ممن احلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل
لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب

والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا
طيبا وقيل بل كان عليه السلام قد خير في ذلك وقد روي عن علي رضي الله
عنه قال جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوم بدر فقال
خير اصحابك في الاسارى ان شاؤا القتل وان شاؤا الفداء على ان يقتل
منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه فانهم
لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره
من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب
اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين والى نحو هذا اشار الطبري وقوله
عليه السلام في هذه القصة لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه الا عمر اشارة الى
هذا وتصويب رأيه ورأى من اخذ بما خذه في اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة
عدوه وان هذه القضية لو استوجبت عذابا نجا منه عمر ومثله وعين عمر لانه
اول من اشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك عذابا لحله فيما سبق
وقال الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز ان نظن ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل اليه الامر فيه
وقد نزهه الله تعالى عن ذلك وقال القاضي ابو بكر بن العلاء اخبر الله نبيه في
هذه الاية ان تأويله وافق ما كتب له من احلال الغنائم والفداء وقد كان قبل
هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان
وصاحبه فما عتبهم الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله
يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان الاسرى كان على تأويل وبصيرة

وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليهم لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر
وكثرة اسرها والله اعلم باظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح
المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب هذا معنى كلامه
واما قوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى الايات فليس فيه اثبات ذنب له
عليه وسلم بل اعلام الله تعالى ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وان الصواب
والاولى له كان لو كشف لك حال الرجلين لاختار الاقبال على الاعمى وفعل
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا
عنه واستيلافا له كما شرعه الله له لا معصية ومخالفة له وما قصه الله
عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده والاشارة
الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى وقيل اراد بعبس وتولى
الكافر الذي كان مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قاله ابو تمام واما
قصة آدم عليه السلام وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه
الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه
تعالى عليه بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه فغوى اي جهل وقيل اخطا
فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل
فنسي ولم نجد له عزما قال ابن زيد نسي عداوة الشيطان له و
ما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك الاية
وقيل ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس رضي الله عنهما انما سمي الانسان
انسانا لانه عهد اليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما

اغتر بحلف ابليس لهما انى لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله
حانثا وقد روى عذر ادم عليه السلام بمثل هذا وبعض الاثار وقال
ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع وقد قيل نسى ولم ينو
المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما اى قصدا للمخالفة واكثر المفسرين
على ان العزم هنا الحزم والصبر وقيل كان عند اكله سكران وهذا فيه
ضعف لان الله وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان ناسيا لم تكن
معصية وكذلك ملتبسا عليه غالطا اذ الاتفاق على خروج الناسى و
الساهى عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انه يمكن
ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله وعصى آدم ربه فغوى
ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان
وقيل بل اكلها متاولا وهو لا يعلم انها الشجرة التى نهى عنها لانه تاول
نهى الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس وهذا قيل انما كانت التوبة
من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تاول وقيل تاول ان الله لم
ينهه عنها نهى تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى ادم ربه
فغوى وقال فتاب عليه وقال في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه وانى
نهيت عن اكل الشجرة فعصيت فسياتى الجواب عنه وعن اشباهه مجملا اخر
الفصل ان شاء الله تعالى واما قصة يونس فقد مضى الكلام على بعضها آنفا و
ليس في قصة يونس عليه السلام نص على ذنب وانما فيه ابق وذهب مغاضبا
وقد تكلمنا عليه وقيل انما نقم الله عليه خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب

العذاب وقيل بل لما اوعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال والله لا القاهم
بوجه كذاب ابدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل
ضعف عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم وهذا كله
ليس فيه نص على معصية الا على قول مرغوب عنه وقوله ابق الى الفلك
المشحون قال المفسرون تباعد واما قوله انى كنت من الظالمين فالظلم
وضع الشيء في غير موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما
ان يكون لخروجه عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب
بالعذاب على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يؤاخذ وقال الواسطي
في معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا
ومثل هذا قول آدم وحوا ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب في وضعهما
غير الموضع الذى انزلا فيه واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض
واما قصة داود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت الى ما سطره فيها اد
الاخبار يون عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين
ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذى نص الله
عليه قوله وظن داود انما فتناه الى قوله وحسن مآب وقوله فيه اواب فمعناه
فتناه اى اختبرناه واواب قال قتادة مطيع وهذا التفسير اولى قال ابن عباس
وابن مسعود رضى الله عنهما ما زاد داود على ان قال للرجل انزل لى عن امراتك
واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وهذا
الذى ينبغى ان يعول عليه من امره وقد قيل خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه

ان يستشهد وحكى السمرقندى ان ذنبه الذى استغفر منه قوله لاحد الخصمين
لقد ظلمك فظلمه بقول خصم والى نفى ما اضيف فى الاخبار الى داود من ذلك
ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين قال الداودى ليس فى
قصة داود واوريا خبر يثبت ولا يظن بنبى محبة قتل مسلم وقيل ان الخصمين
اللذين اختصما اليه رجلان فى نعاج غنم على ظاهر الاية واما قصة يوسف
عليه السلام واخوته فليس على يوسف عليه السلام منها تعقب واما اخوته
فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم فى القران
عند ذكر الانبياء عليهم السلام قال المفسرون يريد من نبى من ابناء الاسباط
وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوا اصغار الاسنان ولهذا
لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله معنا غدا يرتع ونلعب
وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله تعالى اعلم واما قوله تعالى فيه ولقد
همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه فعلى طريق كثير من الفقهاء والمحدثين
ان هم النفس لا يؤاخذ به وليست سيئة لقوله عليه السلام عن ربه اذا هم
عبدى بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية فى همه اذا واما مذهب
المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة واما
لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق
فيكون ان شاء الله تعالى هم يوسف عليه السلام من هذا ويكون قوله وما ابرئ
نفسى الاية اى ما ابرئها من هذا الهم او يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف
بمخالفة النفس لما زكى قبل وبرئ فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابى عبيدة ان يوسف

ان يوسف عليه السلام لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتأخير اى ولقد
همت به ولولا ان راى برهان ربه لهم بها وقد قال الله تعالى عن المراة
ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه
السوء والفحشاء وقال وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ
الله انه ربى احسن مثواى الاية قيل فى ربى الله تعالى وقيل الملك وقيل هم
بها اى بزجرها ووعظها وقيل هم بها اى غمها امتناعه وقيل هم بها نظر اليها و
قيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم
ما زال النساء يملن الى يوسف عليه السلام ميل شهوة حتى نبأه الله فالقى
عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من راه عن حسنه واما خبر موسى
عليه السلام مع قتيله الذى وكزه فقد نص الله تعالى على انه من عدوه قال
كان من القبط الذين على دين فرعون ودليل السورة فى هذا كله انه قبل نبوة
موسى عليه السلام وقال قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية
فى ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له
قال ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغى لنبى ان يقتل حتى يؤمر وقال النقاش
لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل ان
هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى فى قصته وفتناك فتونا
اى ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء قيل فى هذه القصة وما جرى مع فرعون وقيل
القاؤه فى التابوت واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله ابن جبير
ومجاهد من قولهم فتنت الفضة فى النار اذا خلصتها واصل الفتنة معناه الاختبار

واظهار ما بطن الا انه استعمل في عرف الشرع في اختبار ادى الى ما يكره و
كذلك ما روي في الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاء فلطم عينه ففقأها
الحديث وليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام بالتعدي وفعل ما لا يجب
له اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل لان موسى عليه السلام دافع
عن نفسه من اتاه لاتلافها وقد تصور له في صورة ادمي ولا يمكن
انه علم حينئذ انه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب
عين تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله فلما جاءه بعد
واعلمه الله انه رسوله اليه استسلم وللمتقدمين والمتاخرين على هذا
الحديث اجوبة هذا اسدها عندي وهو تاويل شيخنا الامام ابي عبد الله
المازري وقد تاوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة
وفقء عين حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف
واما قصة سليمان عليه السلام وما حكى فيها اهل التفسير من ذنبه
وقوله ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكي عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال سليمان لاطوفن الليلة على مائة امراة
او تسع وتسعين كلهن ياتين بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له
صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امراة واحدة جاءت
بشق رجل فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال
ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله قال اصحاب المعاني والشق هو الجسد
الذي القي على كرسيه حين عرض عليه وهو عقوبته ومحنته وقيل بل مات

مات فالقي على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لانه
لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته ان
سلب ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان يكون الحق لاختانه على خصمهم وقيل اخذ
بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما نقله الاخباريون من خرافاتهم على ما فعله
من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في امته بالجور في حكمه
لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الانبياء عليهم السلام من
مثله وان سئل لم لم يقل سليمان عليه السلام في القصة المذكورة ان شاء الله
فعنه اجوبة احدها ما روي في الحديث الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك لينفذ
مراد الله تعالى الثاني انه لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله هب لي ملكا لا ينبغي
لاحد من بعدي لم يفعل هذا سليمان غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده
في ذلك على ما ذكره المفسرون ان لا يسلط عليه احد كما سلط عليه الشيطان
الذي سلبه اياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك وقيل بل اراد ان
يكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص غيره من انبياء الله
ورسله بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته كالانة الحديد لابيه
واحياء الموتى لعيسى عليه السلام واختصاص محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالشفاعة
ونحو هذا واما قصة نوح عليه السلام فظاهرة العذر وانه اخذ فيها بالتاويل
وظاهر اللفظ واراد علم ما طوي عنه من ذلك لا انه شك في وعد الله فبين
له انه ليس من اهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه
انه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاخذ بهذا التاويل وعتب عليه واشفق

هو من اقدامه على ربه لسواله مالم يوذن له في السوال فيه وكان نوح عليه السلام
فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الاية غير هذا وكل هذا لا يقتضي
على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من تاويله واقدامه بالسوال فيمن لم يوذن
له فيه ولا نهى عنه وما روى في الصحيح من ان نبيا قرصته نملة فحرق قرية
النمل فاوحى الله اليه ان قرصتك نملة احرقت امة من الامم تسبح فليس في هذا
الحديث ان هذا النبي اتا معصية بل فعل ما راه مصلحة وصوابا بقتل من
يوذى جنسه ويمنع المنفعة بما اباح الا ترى ان هذا النبي كان نازلا
تحت شجرة فلما اذته النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الاذى عليه وليس
فيما اوحى اليه ما يوجب عليه معصية بل ندبه الى احتمال الصبر وترك التشفي
كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين اذ ظاهر فعله انما كان لاجل انها
اذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية
النمل هناك ولم يات في كل هذا امرا ونهى عنه فيعصى به ولا نص فيما
اوحى الله اليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله اعلم **فان**
قيل فما معنى قوله عليه عليه ما من احد الا الم بذنب او كاد الا يحيى ابن
زكرياء او كما قال عليه السلام فالجواب عنه كما تقدم من ذنوب الانبياء
التي وقعت عن غير قصد وعن سهو وغفلة **فصل فان قلت فاذا**
نفيت عنهم صلوات الله تعالى عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف
المفسرين وتاويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى وما تكرر
في القران والحديث من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفا

١٩٨

واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب
ويستغفر من لا شيء **فاعلم** وفقنا الله واياك ان درجة الانبياء عليهم
السلام في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظيم
سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه تعالى والاشفاق من المواخذة
بما لا يواخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم باموره لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم
و وخذوا عليها وعوتبوا بسببها وحذروا من المواخذة بها واتوا على
وجه التاويل او السهو او تزيد من امور الدنيا المباحة خائفون وجلون
وهي ذنوب بالاضافة الى علو منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم
لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب ماخوذ من الشيء الدني الرذل
ومنه ذنب كل شيء اي اخره واذناب الناس رذالهم فكان هذه ادنى
افعالهم واسوء ما يجري من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم
وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية
لله تعالى واعظامه في السر والعلانية وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح و
الفواحش ما تكون بالاضافة اليه هذه الهنات في حقه كالحسنات كما قيل
حسنات الابرار سيئات المقربين اي يرونها بالاضافة الى علي احوالهم كا
لسيئات وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف
ما كانت من سهو او تاويل فهي مخالفة وترك **وقوله** غوى اي جهل ان
تلك الشجرة هي التي نهي عنها والغي الجهل وقيل اخطا ما طلب من الخلود
اذ اكلها وخابت منيته **وهذا** يوسف عليه السلام قد ووخذ بقوله لاحد

صاحبى السجن اذكرنى عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن
بضع سنين قيل انسى يوسف عليه السلام ذكر الله وقيل انسى صاحبه
ان يذكره لسيده الملك قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لولا كلمة يوسف
ما لبث فى السجن ما لبث قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له
اتخذت من دونى وكيلا لاطيلن حبسك فقال يا رب انسى قلبى كثرة
البلوى وقال بعضهم يؤاخذ الانبياء عليهم السلام بمثاقيل الذر لمكانتهم
عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم فى اضعاف ما اتوا
به من سوء الادب وقد قال المحتج للفرقة الاولى على سياق ما قلناه
اذا كان الانبياء عليهم السلام يؤاخذون بهذا مما لم يؤخذ به غيرهم
من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم ارفع فحالهم اذا فى هذا اسوء
حالا من غيرهم فاعلم اكرمك الله انا لا نثبت لك المؤاخذة فى هذا على
حد مؤاخذة غيرهم بل نقول انهم يؤاخذون بذلك فى الدنيا ليكون
ذلك زيادة فى درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سبب
المناه رتبتهم كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقال لداود
فغفرنا له ذلك الاية وقال تعالى بعد قول موسى تبت اليك انى اصطفيتك
على الناس وقال تعالى بعد ذكر فتنة سليمان وانابته فسخرنا له الريح الى
وحسن مآب وقال المتكلمين وزلات الانبياء فى الظاهر زلات
وفى الحقيقة كرامات وزلف واشار الى نحو ما قدمناه وايضا..
فلينبه غيرهم من البشر منهم او ممن ليس فى درجتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستغفر

فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا
الصبر على المحن بملاحظة ما وقع باهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم
ولهذا قال صالح المرى ذكر داود بسطة للتوابين وقال ابن عطا لم يكن ما نقص
الله من قصة الموت نقصا له ولكن استزادة من نبينا عليه السلام
وايضا فيقال لهم فانكم ومن وافقكم تقولون بغفران الصغائر باجتناب
الكبائر ولا خلاف بعصمة الانبياء من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر
عليهم هى مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة بها اذا عندكم وخوف الانبياء
وتوبتهم منها وهى مغفورة لو كانت فما اجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة
بافعال السهو والتاويل وقد ان كثرة استغفار النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم وتوبته وغيره من الانبياء على وجه ملازمة الخضوع والعبودية
والاعتراف بالتقصير شكرا لله على نعمه كما قال عليه السلام وقد امن
من المؤاخذة وبما تقدم وتاخر افلا اكون عبدا شكورا وقال انى اخشاكم
لله واعلمكم بما اتقى قال الحارث بن اسد خوف الملئكة والانبياء خوف
اعظام وتعبد لله لانهم آمنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم وتستن بهم
اممهم كما قال عليه السلام لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وايضا
فان فى التوبة والاستغفار معنى اخر لطيفا اشار اليه بعض العلماء وهو استدعاء
محبة الله قال الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فاحداث الرسل
والانبياء الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة فى كل حين استدعاء لمحبة
الله والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال الله تعالى لنبيه بعد ان غفر له

ما تقدم وما تاخر من ذنبه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار
الاية وقال فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فصل
قد استبان لك ايها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته عليه
السلام عن الجهل بالله وصفاته او كونه على حالة تنافي العلم بشيء
من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا و
لا بشيء مما قرره من امور الشرع واداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا
وعصمته عن الكذب وخلف القول مذ نباه الله وارسله الله قصدا
او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا و
تنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر اجماعا وعن الصغائر
تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان
عليه فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب وجد و
مزح فيجب لك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه
الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فائدتها وخطرها فان من يجهل ما يجب
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه
لا يامن ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب ان يضاف اليه
فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الاسفل من النار اذ
ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا
ما احتاط عليه السلام على الرجلين اللذين راياه ليلا وهو معتكف في المسجد
مع صفية فقال لهما انها صفية ثم قال لهما ان الشيطان يجري من ابن ادم

ادم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئا فتهلكا هذه ادمد
اكرمك الله احدى فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل جاهلا لا يعلم
بجهله اذا سمع شيئا منها يرى ان الكلام فيها جملة من فضول العلم وان السكوت
اولى وقد استبان لك انه متعين للفائدة التي ذكرناها وفائدة ثانية يضطر
اليها في اصول الفقه وتبتني عليها مسائل لا تتعد من الفقه وتتخلص بها
من تشغيب مختلفي الفقهاء في عدة منها وهي الحكم في اقوال النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم واصل كبير من اصول الفقه ولا بد من بنائه
على صدق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في اخباره وبلاغه وانه لا يجوز
عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة في افعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع
الصغائر وقع خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم
فلا نطول به وفائدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم والمفتي فيمن اضاف الى النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا من هذه الامور ووصفه بها فمن لم يعرف
ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف فكيف يصمم
في الفتيا في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله فيه نقص او مدح فاما
ان يجترئ على سفك دم مسلم حرام او يسقط حقا ويضيع حرمة النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وبسبيل هذا ما قد اختلف ارباب الاصول وائمة العلماء والمحققين
في عصمة الملائكة فصل في القول عصمة الملائكة اجمع المسلمون ان
الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق ائمة المسلمين ان حكم المرسلين منهم
حكم النبيين عليهم السلام سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وانهم

في حقوق الانبياء والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم واختلفوا في غير
المرسلين منهم فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا
بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون و
بقوله وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن
المسبحون وبقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون
الاية وقوله كرام بررة ولا يمسه الا المطهرون ونحوه من السمعيات
وذهبت طائفة الى ان هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا
باشياء ذكرها اهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شاء الله
بعد ونبين الوجه فيها ان شاء الله تعالى والصواب عصمة جميعهم وتنزيه
نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورأيت
بعض شيوخنا اشار الى ان لا حاجة بالفقيه الى الكلام في عصمتهم وانا اقول
ان للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة الانبياء من الفوائد التي ذكرناها
سوى فائدة الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة ههنا فمما احتج به
من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار
ونقله المفسرون وما روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهم في خبرهما
لم يروا منها شيئا لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وليس هو شيئا يؤخذ بقياس والذي منه في القران اختلف المفسرون
في معناه وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه
الاخبار من كتب اليهود وافترائهم كما قصه الله اول الايات من افترائهم بذلك

بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة و
ها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه الاشكالات ان شاء الله تعالى فا
ختلف اولا في هاروت وماروت هل هما ملكان او انسيان وهل هما
المراد بالملكين ام لا وهل القراءة ملكين او ملكين وهل ما في قوله و
ما انزل وما يعلمان من احد نافية او موجبة فاكثر المفسرين على ان الله
امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر
ومن تركه امن قال الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس
له تعليمهما الناس له تعليم انذار اي يقولان لمن جاء تطلب تعلمه لا
تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتخيلوا بكذا فانه سحر
فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية
وهي لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران انه ذكر عنده
هاروت وماروت وانهما يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرا
بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على
جلالته وعلمه ينزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما اذن
لهما في تعلمه بشريطة ان يبينا انه امتحان من الله وابتلاء فكيف لا ينزههما
عن كبائر المعاصي والكفر المذكورة في تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد
ان ما نافية وهو قول عباس رضي الله عنهما قال مكي وتقدير الكلام وما
كفر سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعهم في
ذلك اليهود وما انزل على الملكين وقال مكي قيل هما جبريل وميكائيل

عليهما السلام بل ادعى اليهود عليهما المجئ به كما ادعوا على سليمان عليه السلام
فاكذبهم الله في ذلك ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر
ببابل هاروت وماروت وقيل هما رجلان نعتمان وقال الحسن هاروت
وماروت علجان من اهل بابل وقرئ وما انزل على الملكين بكسر اللام و
تكون ما ايجابا على هذا وكذلك قراة عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه
قال الملكان هنا داود وسليمان وتكون ما نفيا على ما تقدم وقيل كانا
ملكين من بني اسرائيل فمسخهما الله حكاه السمرقندي والقراة بكسر اللام
شاذة فمحمل الاية على تقدير ابي محمد مكي حسن بيّن ينزه الملئكة ويذهب
الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله بانهم مطهرون وكرام بررة
ولا يعصون الله ما امرهم ومما يذكرونه من قصة ابليس وانه كان من الملئكة
ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى اخر ما حكوه وانه استثناه من الملئكة
بقوله فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك
وانه ابو الجن كما ادم ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال
شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم الملئكة في الارض حين افسدوا
والاستثناء من غير الجنس شايع في كلام العرب شايع وقد قال الله تعالى
ما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما رووه في الاخبار ان خلقا من الملئكة
عصوا الله فحرقوا وامروا ان يسجدوا لادم فابوا فحرقوا ثم
اخرون كذلك حتى سجد له من ذكر الله الا ابليس في اخبار لا اصل
لها تردها صحاح الاخبار فلا يشتغل بها الباب الثالث فيما بلغ

يختصهم في الامور الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية قد
قدمنا انه عليه السلام وسائر الانبياء والرسل عليهم السلام
من البشر وان جسمهم وظاهرهم خالص للبشر يجوز عليهم من الافات
والتغيرات والالام والاسقام وتجرع كاس الحمام وما يجوز على البشر و
هذا كله ليس بنقيصة فيه لان الشئ انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو
اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب الله على اهل هذه الدار فيها تحيون
وفيها تموتون ومنها تخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة الغير فقد
مرض عليه السلام واشتكى واصابه الحر والقر وادركه الجوع والعطش
ولحقه الغضب والضجر وناله الاعياء والتعب ومسه الضعف والكبر
وسقط فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم
وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله تعالى
عليه وسلم ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه
سمات البشر التي لا محيص عنها واصاب غيره من الانبياء عليهم السلام ما
هو اعظم منها فقتلوا قتلا ورموا في النار ونشروا بالمناشير ومنهم من
وقاه الله ذلك في بعض الاوقات ومنهم من عصمه كما عصم بعد نبينا صلى
الله تعالى عليه وسلم من الناس فلئن لم يكف نبينا ربه يد ابن قمئة يوم احد
ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته اهل الطائف فلقد اخذ على عيون
قريش عند خروجه الى ثور وامسك عنه سيف غورث وحجر ابي
جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الاعصم فقد وقاه ما هو اعظم

من سم اليهودية وهكذا سائر انبيائه مبتلى ومعافاه و ذلك من تمام حكمته
ليظهر شرفهم في هذه المقامات و يبين امرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم
لبشريتهم ويرفع الالتباس عن اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من
العجائب على ايديهم ضلال النصارى بعيسى ابن مريم وليكون في محنهم تسلية
لاممهم ووفور لاجورهم عند ربهم تماما على الذي احسن اليهم قال بعض
المحققين وهذه الطوارى و التغييرات المذكورة انما تختص باجسامهم
البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بني ادم لمشاكلة الجنس
واما بواطنهم فمنزهة عن ذلك غالبا معصومة منه متعلقة بالملاء الاعلى
والملئكة لاخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال عليه السلام ان
عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني
ربي ويسقين وقال لست انسى ولكن انسى ليستن بي فاخبر ان سره
وباطنه و روحه بخلاف جسمه وظاهره وان الافات التي تحل ظاهره
من ضعف وجوع و سهر ونوم لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره من
البشر في حكم الباطن لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه
وهو عليه السلام في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى جاء في
بعض الاثار انه كان محروسا من الحدث في نومه ليكون قلبه يقظان كما
ذكرناه وكذلك غيره اذا جاع ضعف لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت
بالكلية جملته وهو عليه السلام قد اخبر انه لا يعتريه ذلك وانه بخلافهم
لقوله لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقين وكذلك اقول انه في

انه في هذه الاحوال كلها من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على
باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما
يعتري غيره من البشر مما نأخذ بعد في بيانه فصل فان قلت
فقد جاءت الاخبار الصحيحة انه سحر عليه السلام كما حدثنا الشيخ
ابو محمد العتابي بقراءتي عليه قال حدثنا حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن علي
بن خلف حدثنا محمد بن احمد حدثنا محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا عبيد
بن اسمعيل قال حدثنا ابو اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة
رضي الله عنها قالت سحر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى انه ليخيل
اليه انه فعل الشيء وما فعله وفي رواية اخرى حتى انه كان يخيل اليه
انه كان يأتي النساء ولا يأتيهن الحديث واذا كان هذا من التباس
الامر على المسحور فكيف حال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك و
كيف جاز عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله واياك ان الحديث
صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتدرعت به لسخف عقولها
وتلبيسها على امثالها الى التشكيك في الشرع وقد نزه الله الشرع والنبي
عما يدخل في امره لبسا انما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل
يجوز عليه كانواع الامراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته واما ما ورد
انه كان يخيل اليه انه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه
داخلة في شيء من تبليغه او شريعته او يقدح في صدقه لقيام الدليل
والاجماع على عصمته من هذا وانما هذا فيما يجوز طروه عليه من امر

دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر
البشر فغير بعيد ان يخيل اليه من امورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان
وايضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الآخر من قوله حتى يخيل اليه انه
يأتي اهله ولا يأتيهن وقد قال سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر ولم يأت
في خبر منها انه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله ولم
يفعله وانما كانت خواطر وتخيلات وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان
يتخيل الشيء انه فعله وما فعله لكنه تخيل لا يعتقد صحته فتكون اعتق
اداته كلها على السداد واقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه ولائمتنا
من الاجوبة عن هذا الحديث مع ما اوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا
من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تأويل اجلى
وابعد من مطاعن ذوي الاضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو ان
عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير
وقال فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فجعلوه في بئر حتى كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ينكر بصره ثم
دله الله على ما صنعوا فاستخرجه من البئر وروى نحوه عن الواقدي
وعن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى
بن يعمر حبس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن عائشة رضي الله عنها سنة
فبينا هو نائم اتاه ملكان فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه الحديث
قال عبد الرحمن حبس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن عائشة رضي الله تعالى

تعالى عنها خاصة سنة حتى انكر بصره وروى محمد بن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما مرض
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحبس عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه
ملكان وذكر القصة فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات ان السحر
انما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وانه انما اثر
في بصره وحبسه عن وطء نسائه وطعامه واضعف جسمه وامرضه ويكون
معنى قوله يخيل اليه انه يأتي النساء ولا يأتيهن اي يظهر له من نشاطه ومتقدم
عادته القدرة على النساء فاذا دنا منهن اصابته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن
كما يعتري من اخذ واعترض ولعله لمثل هذا اشار سفيان بقوله وهذا اشد
ما يكون من السحر ويكون قول عائشة رضي الله عنها في الرواية الاخرى انه
ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في
الحديث فيظن انه يرى شخصا من بعض ازواجه او شاهد فعلا من غيره ولم يكن
على ما يخيل اليه لما اصابه في بصره وضعف نظره لا لشيء طرأ عليه في
ميزه واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من اصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل
لبسا ولا يجد به الملحد المعترض انسا **فصل هذه حاله في جسمه فاما احواله
في امور الدنيا** فنحن نسبرها على اسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل اما
العقد منها فقد يعتقد في امور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه او يكون
منه على الشك او الظن بخلاف امور الشرع كما حدثنا ابو بحر سفيان بن العاص
وغير واحد سماعا وقراءة قالوا حدثنا ابو العباس احمد بن عمر قال حدثنا ابو
العباس الرازي حدثنا ابو احمد بن عمرويه حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم

حدثنا عبد الله بن الرومي وعباس العنبري واحمد المعقري قالوا حدثنا
النضر بن محمد قال حدثني عكرمة حدثنا ابو النجاشي قال حدثنا رافع بن خديج
قال قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل فقال
ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا فتركوه فنقصت
فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر اذا امرتكم بشيء من امر دينكم فخذوا به واذا
امرتكم بشيء من راي فانما انا بشر وفي رواية انس انتم اعلم بامر دنياكم وفي حديث
اخر انما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما
في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انما انا بشر فما
حدثتكم عن الله تعالى فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فانما انا بشر اخطئ
واصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في امور الدنيا وظنه
من احوالها لا ما قال من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها
وكما حكى ابن اسحاق انه عليه السلام لما نزل بادنى مياه بدر قال له الحباب
بن المنذر اهذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ام هو الراي والحرب
والحرب والمكيدة قال لا بل هو الراي والحرب والمكيدة قال فانه ليس
بمنزل انهض حتى نأتي ماء من القوم فننزله نغور ما وراءه من القلب فنشرب
ولا يشربون فقال اشرت بالراي وفعل ما قاله وقد قال الله تعالى
وشاورهم في الامر واراد مصالحة بعض عدوه على ثلث ثمرة المدينة ما
فاستشار الانصار فلما اخبروه برأيهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه من امور
الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه

فيه ما ذكرنا اذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة وانما هي امور اعتيادية
يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوارح بعلوم الشريعة مقيد
البال بمصالح الامة الدينية ولكن هذا انما يكون في بعض الامور
ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمار
ها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه عليه السلام
من المعرفة بامور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق اهلها ما هو
معجزة من هذا الباب فصل واما ما يعتقد في امور احكام البشر الجارية
على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل لقوله عليه السلام انما انا
بشر وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي
له على نحو مما اسمع منه فمن قضيت له من حق اخيه بشيء فلا يأخذ منه
شيئا فانما اقطع له قطعة من النار حدثنا الفقيه ابو الوليد رحمه الله
حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا ابو عمر حدثنا ابو محمد حدثنا ابو بكر
حدثنا ابو بكر داود حدثنا محمد بن كثير حدثنا سفيان عن هشام بن عروة
عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم الحديث وفي رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم ان
ابلغ من بعض فاحسب انه صادق فاقضي له وتجري احكامه عليه السلام
على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة
ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكم الله تعالى في ذلك فانه تعالى لو

شاء لاطلعه على سرائر عباده ومخبئات ضمائر امته فتولى الحكم بينهم بمجرد
يقينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف او بينة او يمين او شبهة ولكن لما امر الله
امته باتباعه والاقتداء في افعاله واحواله وقضاياه وسيره وكان
هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء
به في شيء من ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لاحد في شريعته لانا
لا نعلم ما اطلع عليه هو في تلك القضية لحكمه هو اذن في ذلك بالمكنون
من اعلام الله له بما اطلعه عليه من سرائرهم وهذا ما لا تعلمه الامة
فاجرى الله تعالى احكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره
من البشر ليتم اقتداء امته به في تعيين قضاياه وتنزيل احكامه ويأتون
ما اتوا من ذلك على علم ويقين من سنته اذ البيان بالفعل اوقع
منه بالقول وارفع لاحتمال اللفظ وتاويل المتاول فكان حكمه
على الظاهر اجلى في البيان واوضح في وجوه الاحكام واكثر فائدة
لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي بذلك كله حكام امته ويستوثق
بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه من علم الغيب
الذي استاثرت به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى
من رسول فيعلمه منه بما شاء ويستاثر بما شاء ولا يقدح هذا في
نبوته ولا يفصم عروة من عصمته فصل واما اقواله الدنيوية من
اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله فقد قدمنا
ان الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى اي وجه من عمد او سهو او صحة او

او مرض او رضى او غضب وانه معصوم منه صلى الله تعالى عليه وسلم هذا
فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب فاما المعاريض الموهم
ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها في الامور الدنيوية لا سيما
لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره
وكما روي من ممازحته ودعابته لبسط امته وتطييب قلوب المومنين
من صحابته وتاكيدا في تحببهم ومسرة نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن
الناقة وقوله لمرأة التي سألته عن زوجها اهو الذي بعينه بياض
وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينه بياض وقد
قال عليه السلام اني لامزح ولا اقول الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فاما
ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهي في الامور الدنيوية فلا يصح
منه ايضا ولا يجوز عليه ان يامر احدا بشيء او ينهى احدا عن شيء وهو يبطن
خلافه وقد قال عليه السلام ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين فكيف
ان تكون له خيانة قلب فان قلت فما معنى اذا قوله تعالى في قصة زيد
واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك الاية فاعلم اكرمك
الله ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذا الظاهر
وان يأمر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين
واصح ما في هذا الباب ما حكاه اهل التفسير عن علي بن حسين ان الله تعالى كان
اعلم نبيه ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له امسك
عليك زوجك واتق الله واخفى منه في نفسه ما اعلمه به من انه سيتزوجها مما

الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو بن فايد
عن الزهري قال نزل جبريل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعلمه ان الله
يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي اخفى في نفسه ويصحح هذا قول
المفسرين في قوله بعد هذا وكان امر الله مفعولا اي لا بد لك ان تتزوجها
ويوضح هذا ان الله لم يبد من امره معها غير زواجه لها فدل انه الذي اخفاه
عليه السلام مما كان اعلمه به تعالى وقوله تعالى في القصة ما كان على النبي من
حرج فيما فرض الله له سنة الله الاية فدل على انه لم يكن عليه حرج في الامر
قال الطبري ما كان الله ليؤثم نبيه فيما احل مثال فعله لمن قبله من الرسل
قال الله سنة الله في الذين خلوا من قبل اي من النبيين فيما احل لهم ولو كان
على ما روي في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
عندما اعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق به من
مد عينيه لما نهي عنه من زهرة الحيوة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم
الذي لا يرضاه ولا يتسم به الاتقياء فكيف سيد الانبياء قال القشيري
وهذا اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم و
فضله فكيف يقال راها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا
كان النساء يحتجبن منه عليه السلام وهو زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق
زيد لها وتزويج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال
سنته كما قال ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنين
حرج في ازواج ادعيائهم ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندي فان قيل

قيل فما الفائدة في امر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لزيد بامساكها فهو ان الله
اعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن طلاقها اذ لم تكن
بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس
يتزوج امراة ابنه فامره الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك لامته كما قال
تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وقد قيل كان امره
لزيد بامساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا
عليه انه راها فجاة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن ادم من
استحسان الحسن ونظرة الفجاة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها
وانما تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل والاولى ما ذكرناه عن علي
بن حسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء واستحسنه القاضي القشيري
وعليه عول ابو بكر بن فورك وقال انه معنى ذلك عند المحققين من اهل التفسير
قال والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق في ذلك و
اظهار خلاف ما في نفسه وقد نزهه الله عن ذلك بقوله تعالى ما كان على
النبي من حرج فيما فرض الله له قال ومن ظن ذلك بالنبي فقد اخطا قال
وليس معنى الخشية هنا الخوف وانما معناه الاستحياء اي يستحيي منهم ان
يقولوا تزوج زوجة ابنه وان خشيته عليه السلام من الناس كانت من
ارجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة
ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء كما كان فعتبه الله على هذا ونزهه
عن الالتفات اليهم فيما احله له كما عتبه على مراعاة رضى ازواجه في سورة

التحريم بقوله لم تحرم ما احل الله لك الاية كذلك قوله ههنا وتخشى
الناس والله احق ان تخشيه وقد روي عن الحسن وعائشة رضي الله
عنها لو كتم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا لكتم هذه الاية
لما فيه من عتبه وابداء ما اخفاه فصل فان قلت قد تقررت
عصمته عليه السلام في اقواله في جميع احواله وانه لا يصح منه فيها
خلف والاضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا
مزح ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته عليه السلام الذي حدثنا
به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله قال حدثنا القاضي ابو الوليد قال حدثنا
ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو الهيثم وابو اسحاق قالوا حدثنا محمد بن يوسف
حدثنا محمد بن اسمعيل قال حدثنا علي بن عبد الله حدثنا عبد الرزاق
حدثنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال
لما حضر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا فقال
بعضهم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث
وفي رواية ائتوني اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي ابدا فتنازعوا فقالوا
ما له اهجر استفهموه فقال دعوني فان الذي انا فيه خير وفي بعض
طرقه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يهجر وفي رواية هجر وفي اهجر ويروى
اهجرا وفيه فقال عمر ان النبي صلى الله تعالى وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا
كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية واختلف

واختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى
الله عليه كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر قال ائمتنا في هذا الحديث ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم غير معصوم من الامراض وما يكون من عوارضها من شدة
وجع وغشي ونحوه مما يطرا على جسمه معصوم ان يكون منه من القول اثناء ذلك
ما يطعن في معجزته ويؤدي الى فساد في شريعته من هذيان واختلال
في كلام هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث هجر اذ معناه
هذى يقال هجر هجرا اذا هذى واهجر هجرا اذا افحش واهجر تعدية هجر
وانما الاصح والاولى اهجر على طريق الانكار على من قال لا يكتب وهكذا
روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث الزهري
المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا ضبطه الاصيلي
بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق وهكذا رويناه عن مسلم في حديث
سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف الف
الاستفهام والتقدير اهجر وان يحمل قول القائل هجر واهجر دهشة من
قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله تعالى عليه
وسلم اختلف فيه عليه والامر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل
لفظه واجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا انه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما حملهم
الاشفاق على حراسته والله يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا
واما على رواية اهجرا وهي رواية ابي اسحاق المستملي في الصحيح في حديث
ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا الى المختلفين

عنده صلى الله تعالى عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم اى جئتم باختلاف فكم
على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول
والهجر بضم الهاء الفحش في المنطوق وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث
وكيف اختلفوا بعد امره لهم عليه السلام ان يأتوه بالكتاب فقال
بعضهم اوامر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يفهم ايجابها من ندبها من
اباحتها بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله عليه السلام لبعضهم ما
فهموا انه لم تكن منه عزمة بل امر رده الى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك
فقالوا استفهموه فلما اختلفوا كف عنه اذ لم تكن عزمة ولما رواه من
صواب راى عمر ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر اما اشفاقا على النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم من تكليفه فى تلك الحال املاء الكتاب وان تدخل عليه مشقة من
ذلك كما قال ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد اشتد به الوجع وقيل خشى
عمر رضى الله عنه ان يكتب امورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة
ورأى ان الارفق بالامة فى تلك الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب
الصواب فيكون المصيب والمخطئ ماجورا وقد علم عمر تقرر الشرع و
تاسيس الملة وان الله قال اليوم اكملت لكم دينكم وقوله عليه السلام ..
اوصيكم بكتاب الله وعترتى وقول عمر رضى الله عنه حسبنا كتاب الله رد
على من نازعه لا على امر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قيل ان عمر رضى الله عنه
خشى تطرق المنافقين ومن فى قلبه مرض لما كتب فى ذلك الكتاب في الخلوة وان
يتقولوا فى ذلك الاقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك وقيل كان من

من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لهم على طريق المشهورة والاختبار هل يتفقون
على ذلك ام يختلفون فلما اختلفوا تركه وقالت طائفة اخرى ان معنى
الحديث ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان مجيبا فى هذا الكتاب لما طلب
منه لا انه ابتدأ بالامر به بل اقتضاه منه بعض اصحابه فاجاب رغبتهم و
كره ذلك غيرهم لعلل التى ذكرنا واستدل فى مثل هذه القصة بقول
العباس لعلى انطلق بنا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان كان الامر
فينا علمناه وكراهة على هذا وقوله والله لا افعل الحديث واستدل
بقوله دعونى فان الذى انا فيه خير اى الذى انا فيه خير من ارسال الامر
وترككم وكتاب الله وان تدعونى بما طلبتم وذكر ان الذى طلب كتابه
امر الخلافة بعده وتعيين ذلك فصل فان قيل فما وجه حديثه ايضا
الذى حدثناه ابو محمد الحسنى بقراءتى عليه حدثنا ابو على الطبرى حدثنا عبد
الغافر الفارسى حدثنا ابو احمد الجلودى قال حدثنا ابرهيم بن سفيان حدثنا
مسلم بن الحجاج حدثنا قتيبة حدثنا ليث عن سعيد بن ابى سعيد عن سالم مولى
النصريين قال سمعت ابا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وانى قد اتخذت عند الله عهدا
لن تخلفنيه فاى مؤمن آذيته او سببته او جلدته فاجعلها له كفارة وقربة
تقربه بها اليك يوم القيمة وفى رواية فانما احد دعوت عليه دعوة وفى رواية
ليس لها باهل وفى رواية فايما رجل من المسلمين سببته ولعنته او جلدته
فاجعلها له زكاة وصلوة ورحمة وكيف يصح ان يلعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد
او يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله **فاعلم** شرح
الله صدرك ان قوله عليه السلام او لا ليس لها باهل اى عندك يا رب
فى باطن الامر فانه حكم عليه السلام على الظاهر كما قال والحكمة التى ذكرنا
ها فحكم عليه السلام بجلده او ادبه بسبه او لعنه بما اقتضاه عنده
حال ظاهره ثم دعا عليه السلام لشفقته على امته ورأفته ورحمته
للمؤمنين التى وصفه الله بها وحذره ان تتقبل فيمن دعا عليه دعوته
ان يجعل دعائه وفعله له رحمة فهو معنى قوله ليس لها باهل لا انه عليه
السلام يحمله الغضب ويستفزه الضجر لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من
مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله اغضب كما يغضب البشر ان الغضب
يحمله على ما لا يجب بل لا يجوز ان يكون المراد بهذا ان الغضب لله حمله
على معاقبته بلعنته او سبه وانه كما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان
وقد يحمل انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم امته الخوف والحذر من تعدى
حدود الله وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعواته على غير واحد فى غير
مواطن على غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة العرب وليس المراد بها الاجابة
كقوله تربت يمينك ولا اشبع الله بطنك وعقرى حلقى وغيرها من دعواته
وقد ورد فى صفته فى غير حديث انه عليه السلام لم يكن فحاشا وقال
انس رضى الله عنه لم يكن سبابا ولا فحاشا ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند
المعتبة ماله ترب جبينه فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم اشفق عليه السلام

السلام من موافقة امثالها الاجابة فعاهد ربه كما قال فى الحديث ان يجعل ذلك
للمقول له زكاة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك اشفاقا على المدعو عليه وتأنيسا
له لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر من لعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتقبل
دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط وقد يكون ذلك سؤالا منه لربه لمن جلده
او سبه على حق وبوجه صحيح ان يجعل ذلك كفارة لما اصاب وتمحية لما اجترم
وان يكون عقوبته له فى الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء فى الحديث الاخر
ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو له كفارة **فان قلت** فما معنى حديث
الزبير وقول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له حين تخاصم مع الانصارى فى شراج
الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصارى ان كان ابن عمتك
يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير
ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث **فالجواب** ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عن ان
يقع بنفس مسلم منه فى هذه القصة امر يريب ولكنه صلى الله تعالى عليه وسلم ندب
الزبير اولا الى الاقتصار الى بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض
بذلك الاخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبى صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ولهذا
ترجم البخارى على هذا الحديث باب اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم عليه بالحكم وذكر
فى اخر الحديث فاستوفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حينئذ حقه للزبير
وقد جعل المسلمون هذا الحديث اصلا فى قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله
تعالى عليه وسلم فى كل ما فعله فى حال غضبه ورضاه وانه وان نهى ان يقضى القاضى
وهو غضبان فانه فى حكمه فى حال الغضب والرضى سواء لكونه فيهما معصوما وغضب

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في هذا انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث
الصحيح الحديث في اقادته عكاشة من نفسه لم يكن لتعمد حمله الغضب عليه بل وقع
في الحديث نفسه ان عكاشه قال له وضربتني بالقضيب فلا ادري اعمدا
ام اردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اعيذك يا عكاشه
ان يتعمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكذلك في حديثه الاخر مع
الاعرابي حين طلب عليه السلام الاقتصاص منه فقال الاعرابي قد عفوت
عنك وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام
ناقته مرة بعد اخرى والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ينهاه ويقول لك تدرك
حاجتك وهو يأبى فضربه بعد ثلاث مرات وهذا منه عليه السلام لمن
لم يقف عند نهيه عليه السلام صواب وهو موضع ادب لكنه عليه السلام
اشفق اذ كان حق نفسه من الامر حتى عفا عنه **واما** حديث سواد بن
عمرو اتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانا متخلق فقال ورس ورس
حط حط وغشني بقضيب في يده في بطني فاوجعني قلت القصاص يا رسول
الله فكشف لي عن بطنه انما ضربه عليه السلام لمنكر رآه به ولعله لم يرد بضربه
بالقضيب الا تنبيهه فلما كان منه ايجاع لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه

فصل واما افعاله عليه السلام الدنيوية فحكمه فيها من توقي
المعاصي والمكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما
ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل ان هذا فيها على الندور اذ عامة افعاله
على السداد والصواب بل اكثرها او كلها جارية مجرى العبادات والقرب

والقرب على ما بيناه اذ كان عليه السلام لا يأخذ منها لنفسه الا ضرورته
وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته و
يسوس امته وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين معروف يصنعه
وبر يوسعه او كلام حسن يقوله او يسمعه او تالف شارد او قهر معاند
او مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح اعماله منتظم في زاكي وظائف
عباداته وقد كان يخالف في افعاله الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال
ويعد للامور اشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي اسفاره الراحلة
ويركب البغلة في معارك الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها
ليوم الفزع واجابة الصارخ **وكذلك** في لباسه وسائر احواله بحسب
اعتبار مصالحه ومصالح امته وكذلك يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة
لامته وسياسة وكراهية لخلافها وان كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك
الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الامور الدينية مما
له الخيرة في احد وجهيه كخروجه من المدينة لاحد وكان مذهبه التحصن
بها **و**تركه قتل المنافقين وهو على يقين من امورهم مؤالفة لغيرهم ورعاية
للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لان يقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء
في الصحيح وتركه بناء الكعبة على قواعد ابرهيم مراعاة لقلوب قريش و
تعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم
عداوتهم للدين واهله فقال لعائشة في الحديث الصحيح لولا حدثان قومك
بالكفر لاتممت البيت على قواعد ابراهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا

منه كانتقاله من ادنا مياه بدر الى اقربها للعدو من قريش **وكقوله** لو استقبلت
من امري ما استدبرت ما سقت الهدي ويبسط وجهه للكافر والعدو رجاء
استيلافه ويبصر الجاهل ويقول ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره
ويبذل له الرغائب ليحبب اليه شريعته ودين ربه ويتولى في منزله ما
يتولاه الخادم من مهنته ويتسمت في ملائه حتى لا يبدو منه شيء من اطرافه
وحتى كان على رؤس جلسائه الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم و
يتعجب مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه قد وسع الناس بشره
وعدله لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن عن جلسائه يقول
ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين **فان قلت** فما معنى قوله لعائشة
في الداخل عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل الان له القول وضحك معه
فلما خرج سألته عن ذلك فقال ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره
وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال فالجواب
ان فعله عليه السلام كان استيلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه و
يدخل في الاسلام بسببه اتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك الى الاسلام و
مثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا الى السياسة الدينية
وقد كان يستالفهم باموال الله العريضة فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان
لقد اعطاني وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى صار احب الخلق الي وقوله
فيه بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله
ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا

هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جائزا بل كان واجبا
في بعض الاحيان كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين في الشهود فان
قيل ما معنى الاصل المعضل الوارد في حديث بريرة من قوله عليه السلام لعائشة
رضي الله عنها واخبرته ان موالي بريرة ابو بيعها الا ان يكون لهم الولاء فقال
لها عليه السلام اشتريها واشترطي لهم الولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال
ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله كل شرط ليس في كتاب
الله فهو باطل والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد امرها بالشرط لهم وعليه
باعوا ولولاه والله لما باعوها من عائشة كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا
ذلك عليها ثم ابطله عليه السلام وهو قد حرم الغش والخديعة فاعلم
اكرمك الله ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل
من هذا ولتنزيه النبي عن ذلك ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي
لهم الولاء اذ ليست في اكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ قد يقع
لهم بمعنى عليهم قال الله اولئك لهم اللعنة وقال وان اسأتم فلها فعلى هذا
اشترطي عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ووعظه
لما سلف لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك **ووجه ثان** ان قوله عليه السلام
اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الامر لكن على معنى التسوية والاعلام بان شرطه
لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لهم قبل ان الولاء لمن اعتق
فكانه قال اشترطي او لا تشترطي فانه شرط غير نافع والى هذا ذهب
الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك

يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث ان معنى قوله اشترطي لهم الولاء اى اظهري
لهم حكمه وبيني عندهم سنته ان الولاء انما هو لمن اعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله
تعا عليه وسلم مبينا لذلك وموبخا على مخالفة ما تقدم منه فيه فان قيل فما معنى
فعل يوسف عليه السلام باخيه اذ جعل السقاية في رحل اخيه واخذه باسم
سرقتها وما جرى على اخوته في ذلك وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم
اكرمك الله ان الاية تدل على ان يوسف كان عن امر الله لقوله تعا كذلك
كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الاية فاذا كان
كذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وايضا فان يوسف كان اعلم اخاه بان
انا اخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى
يقين من عقبى الخير له به وازاحة السوء والمضرة عنه بذلك واما قوله
ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف فيلزم عليه الجواب لحل شبهة
ولعل قائله ان حسن له التأويل كائنا من كان ظن على صورة الحال ذلك
وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا ولا
يلزم ان تقوم الانبياء ما لم يأت انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم
الاعتذار عن زلات غيرهم فصل فان قيل فما الحكمة في اجراء الامراض
وشدتها عليه وعلى غيره من الانبياء على جميعهم السلام وما الوجه فيما
ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب ويعقوب ودانيال
ويحيى وزكريا وعيسى وابرهيم ويوسف وغيرهم عليهم السلام وهم خيرته
من خلقه واحباؤه واصفياؤه فاعلم وفقنا الله واياك ان افعال الله تعا

الله تعا كلها عدل او كلماته جميعا حق وصدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده
كما قال لهم لننظر كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن عملا وليعلم الله الذين
امنوا ولما يعلم الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين حتى نعلم المجا
المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم فامتحانه اياهم بضروب
المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم واسباب لاستخراج
حالات الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل والتفويض و
الدعاء والتضرع منهم وتأكيد لبصائرهم في رحمة الممتحنين والشفقة
على المبتلين وتذكرة لغيرهم وموعظة لسواهم ليتأسوا في البلاء
بهم ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر ومحو لهنات
فرطت منهم او غفلات سلفت لهم ليلقوا الله طيبين مهذبين وليكون
اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل حدثنا القاضي ابو علي الحافظ حدثنا ابو
الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي
قال حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى
الترمذي حدثنا قتيبة حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن
مصعب بن سعد عن ابيه قال قلت يا رسول الله اى الناس اشد
بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه
فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض ما عليه خطيئة وكما قال
تعا وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير الايات الثلاث وعن ابي هريرة
رضي الله عنه ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله

وماعليه خطيئة وعن انس رضي الله عنه عنه عليه السلام اذا اراد الله بعبده
الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة وفي حديث اخر اذا احب الله عبداً
ابتلاه ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم الله تعالى كان بلاؤه
اشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب وكما روي عن لقمان انه قال يا
بني الذهب والفضة يختبران بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء وقد
حكي ان ابتلاء يعقوب بيوسف عليهما السلام كان سببه التفاته في صلوته
اليه ويوسف نائم محبة له وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل حمل
مشوي وهما يضحكان وكان لهم جارة يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت
جدة له عجوزة لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب عليه السلام وابنه
فعوقب يعقوب عليه السلام بالبكاء اسفا على يوسف عليه السلام الى ان
سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته
يأمر مناديا ينادي على سطحه الا من كان مفطرا فليتغد عند ال يعقوب عليه السلام
وعوقب يوسف عليه السلام بالمحنة التي نص الله عليها وروي عن الليث
ان سبب بلاء ايوب عليه السلام انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه في
ظلمه واغلظوا له الا ايوب عليه السلام فانه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه
الله ببلائه ومحنة سليمان عليه السلام لما ذكرناه من نيته في كون الحق
في جنبة اصهاره او للعمل بالمعصية في داره ولا علم عنده وهذه فائدة
شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها
ما رايت الوجع على احد اشد منه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن

وعن عبد الله رضي الله عنه رايت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في مرضه
يوعك وعكا شديدا فقلت انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل
اني اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين
قال اجل ذلك كذلك وفي حديث ابي سعيد ان رجلا وضع يده على
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال والله ما اطيق ان اضع يدي عليك
من شدة حماك فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انا معشر الانبياء
يضاعف لنا البلاء ان كان النبي ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليبتلى بالفقر وان كانوا ليفرحون بالبلاء
كما تفرحون بالرخاء وعن انس عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان عظم
الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله
الرضى ومن سخط فله السخط وقد قال المفسرون في قوله تعالى من
يعمل سوءا يجز به ان المسلم يجزى بمصائب الدنيا فتكون له كفارة
وروي هذا عن عائشة وابي ومجاهد وقال ابو هريرة عنه عليه
السلام من يرد الله به خيرا يصب منه وقال في رواية عائشة
رضي الله عنها ما من مصيبة تصيب المسلم الا يكفر الله بها عنه حتى
الشوكة يشاكها وقال في رواية ابي سعيد ما يصيب المؤمن من نصب
ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها
الا كفر الله بها من خطاياه وفي حديث ابن مسعود ما من يصيبه اذى
الا حات الله عنه خطاياه كما يحت ورق الشجر وحكمة اخرى اودعها الله في

الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى
نفوسهم ويخف عليهم مؤنة النزع وشدة السكرات بتقدم المرض وضعف
الجسم والنفس لذلك خلاف موت الفجاءة واخذه كما يشاهد من اختلاف
احوال الموت في الشدة واللين والصعوبة والسهولة ولقد قال عليه
السلام مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا وفي
رواية ابي هريرة رضي الله عنه من حيث اتتها الريح تكفاها فاذا سكنت
اعتدلت وكذلك المؤمن يكفا بالبلاء ومثل الكافر كمثل الارزة صماء معتدلة
حتى يقصمها الله معناه ان المؤمن مرزا مصاب بالبلاء والامراض راض بتصريفه
بين اقدار الله منطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة تسخطه كطاعة
خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لجوبها وترنحها من حيث ما
اتتها فاذا ازاح الله عن المؤمن رياح البلاء فاء واعتدل صحيحا كما اعتدلت
خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع
بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذا السبيل لم يصعب عليه مرض
الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته بما تقدمه
من الالام ومعرفة ماله من الاجر وطينه نفسه على المصائب ورقتها وضعفها
بتوالي المرض او شدته والكافر بخلاف هذا معافاة في غالب حاله ممتع في
صحة جسمه كالارزة الصماء حتى اذا اراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة
واخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته اشد عليه حسرة ومقاساة
نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذابا ولعذاب الاخرة اشد كما انجعاف

كانجعاف الارزة وكما قال تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك
عادة الله في اعدائه كما قال تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه
حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة الاية فجاء جميعهم بالموت على حال عتو
وغفلة وصبحهم به على غير استعداد بغتة ولهذا ما كره السلف موت
الفجاءة ومنه في حديث ابرهيم كانوا يكرهون اخذة كاخذة الاسف
اي الغضب يريد موت الفجاءة وحكمة ثالثة ان الامراض نذير الممات وبقدر
شدة الخوف من نزول الموت فيستعد من اصابته وعلم تعاهدها له للقاء
ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الانكار ويكون قلبه معلقا بالمعاد
فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله وقبل العباد ويؤدي الحقوق
الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصية في من يخلفه وامر يعهد وهذا
نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قد
طلب التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال او حق في بدن واقاد من
نفسه وماله وامكن من القصاص من نفسه على ما ورد في حديث الفضل وحديث
الوفاة واوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته بالانصار عيبته ودعا
الى كتب كتاب لئلا تضل امته بعده اما في النص على الخلافة او الله اعلم بمراده
ثم رأى الامساك عنه افضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين واو
واوليائه المتقين وهذا كله تحرمه الكفار لاملاء الله لهم ليزدادوا اثما
وليستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة
تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون

ولذلك قال عليه السلام في رجل مات فجأة سبحان الله كانه على غضب
المحروم من حرم وصيته وقال موت الفجأة راحة للمؤمن واخذة اسف للكافر
او الفاجر وذلك لان الموت يأتي المؤمن وهو غالبا مستعد له منتظر لحلوله
فهان امره عليه كيفما جاء وافضى الى راحته من نصب الدنيا واذيها كما قال
عليه السلام مستريح ومستراح منه وتأتي الكافر او الفاجر منيته على غير
استعداد ولا اهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تأتيهم بغتة فتبهتهم
فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت اشد شيء عليه
وفراق الدنيا افظع امر صدمه واكره شيء له والى هذا المعنى اشار عليه
السلام بقوله من احب لقاء الله احب الله لقائه ومن كره لقاء الله كره
الله لقائه **الفصل الرابع في تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه** او
سبه عليه السلام قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه قد تقدم من
الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم واكرام وبحسب هذا حرم الله
تعالى اذاه في كتابه واجمعت الامة على قتل متنقصه من المسلمين وسابه قال
الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة و
اعد لهم عذابا مهينا وقال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب
اليم وقال الله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا
ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وقال تعالى في تحريم
التعريض له يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا

بلغ مقابلة على اصل ابن حجر فصحح ١٠٦٨ والحمد لله على ذلك

واسمعوا الاية وذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك و
اسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبيه
بهم وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى
سبه والاستهزاء به وقيل بل لما فيها من مشاركة اللفظ لانها عند اليهود بمعنى
اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك اذ
مضمنه انهم لا يرعونه الا برعايته لهم وهو عليه السلام واجب الرعاية بكل حال
وهذا هو عليه السلام قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي
ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه اذ كان صلى الله تعالى عليه وسلم
استجاب لرجل نادى يا ابا القاسم فقال لم اعنك انما دعوت هذا فنهى
حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتأذى باجابة دعوة غيره لمن لم يدعه ويجد بذلك
المنافقون والمستهزؤن ذريعة الى اذاه والازراء به فينادونه فاذا
التفت قالوا انما اردنا هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا بحقه على
عادة المجان والمستهزئين فحمى عليه السلام حمى اذاه بكل وجه فحقق
العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة
وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو
الجمهور والصواب ان شاء الله وان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره وعلى
سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه لان الله كان
منع من ندائه به بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ولما

كان المسلمون يدعونه يا رسول الله ويا نبي الله وقد يدعونه بكنيته ابا
القاسم بعضهم في بعض الاحوال وقد روى انس رضي الله عنه عنه عليه السلام
ما يدل على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر فقال تسمون
اولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروى ان عمر رضي الله عنه كتب الى اهل الكوفة
لا يسمى احد باسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حكاه ابو جعفر الطبري وحكى
محمد بن سعد انه نظر الى رجل اسمه محمد ورجل يسبه ويقول له فعل
الله بك يا محمد وصنع فقال عمر رضي الله عنه لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب
لا ارى محمدا عليه السلام يسب بك والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه
عبد الرحمن واراد ان يمنع لهذا ان يسمى احد باسماء الانبياء اكراما لهم
بذلك وغير اسماءهم وقال لا تسموا باسماء الانبياء ثم امسك
والصواب جواز هذا كله بعده عليه السلام بدليل اطباق الصحابة
على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بابي القاسم **وروى**
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذن في ذلك لعلي بن ابي طالب رضي
الله تعالى عنه وقد اخبر عليه السلام ان ذلك اسم المهدي وكنيته وقد
سمى به النبي صلى الله تعالى عليه محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن
ثابت بن قيس وغير واحد وقال ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان
وثلاثة وقد فصلت الكلام في هذا القسم على ما بين كما قدمناه **الباب
الاول في بيان ما هو في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم** سب او نقص
من تعريض او نص اعلم وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبي صلى الله تعالى

الله تعالى عليه وسلم او عابه او الحق به نقصا في نفسه او نسبه او دينه او
خصلة من خصاله او عرض به او شبهه بشيء من طريق السب له او
الازراء عليه او التصغير لشانه او الغض منه او العيب له فهو ساب له
والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول
هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان او تلويحا و
كذلك من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق
بمنصبه على طريق الذم او عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام و
هجر ومنكر من القول وزور او عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه
او غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا
كله اجماع من العلماء وائمة الفتوى من لدن الصحابة رضي الله عنهم الى هلم
جرى قال ابو بكر بن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من سب
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقتل وممن قال مالك بن انس والليث
واحمد واسحاق وهو مذهب الشافعي **قال القاضي ابو الفضل**
رحمه الله وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه ولا يقبل توبته
عند هؤلاء وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه والثوري واهل الكوفة
والاوزاعي في المسلم لكنهم قالوا هي ردة وروى مثله الوليد
بن مسلم عن مالك وحكى الطبري عن ابي حنيفة واصحابه فيمن تنقصه
عليه السلام او برئ منه او كذبه وقال سحنون فيمن سبه ذلك
ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل

قتله حدا او كفرا كما سنبينه في الباب الثاني ان شاء الله تعالى ولا نعلم اختلافا
في استباحة دمه بين علماء الامصار وسلف الامة وقد ذكر غير
واحد الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد
علي بن احمد الفارسي الى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف
ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع العلماء ان شاتم النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله له وحكمه
عند الامة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر واحتج ابرهيم بن
حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك
بن نويرة بقوله عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صاحبكم وقال ابو
سليمان الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله
اذا كان مسلما وقال ابن القاسم عن مالك في كتاب ابن سحنون
والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب
من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب قال
بن القاسم في العتبية او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الامة
القتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره وبره وفي المبسوط عن
عثمان بن كنانة من شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من المسلمين قتل
او صلب حيا ولم يستتب والامام مخير في صلبه حيا او قتله ومن رواية
ابي المصعب وابن ابي اويس سمعنا مالكا يقول من سب النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب

ولا يستتاب وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم
يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب
لان توبته لا تعرف وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي صلى الله
من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري مثله عن اشهب عن مالك
وروى بن وهب عن مالك من قال ان رداء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
ويروى زر النبي وسخ اراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلماء
على ان من دعا على نبي من الانبياء بالويل او بشيء من المكروه انه يقتل
بلا استتابة وافتى ابو الحسن القابسي فيمن قال في النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم الحمال يتيم ابي طالب بالقتل وافتى ابو محمد بن ابي زيد بقتل
رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ مر بهم رجل
قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي في صفة المار
في خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس يخرج
من قلب سليم الايمان وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال
ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اسود يقتل وقال في رجل قيل له لا
وحق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال فعل الله برسول الله كذا
وكذا وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال اشد من
كلامه الاول ثم قال انما اردت برسول الله العقرب فقال ابن ابي سليمان
للذي سأله اشهد عليه وانا شريكك يريد في قتله وثواب ذلك قال

حبيب بن الربيع لان ادعاءه التاويل في لفظ صراح لا يقبل لانه امتهان و
هو غير معزر لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا موقر له فوجب
اباحة دمه وافتى ابو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل ادوا
شك الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ان سألت او جهلت
فقد جهل وسال النبي بالقتل وافتى فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم
المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه به من استخفافه بحق النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن
حيدرة وزعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات لاكلها
الى اشباه هذا وافتى فقهاء القيروان واصحاب سحنون بقتل
ابراهيم الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان ممن
يحضر مجلس القاضي ابي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور
منكرة من هذا الباب في الاستهزاء بالله وانبيائه ونبينا صلى الله
تعالى عليه وسلم فاحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وامر
بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكسا ثم انزل واحرق بالنار
وحكى بعض المورخين انه لما رفعت خشبته وزالت عنها الايدي استدارت
وحولته عن القبلة فكان آية للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ في دمه
فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر حديثا عنه
عليه السلام انه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم وقال القاضي ابو عبد الله
بن المرابط من قال ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هزم يستتاب فان

فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته اذ هو على
بصيرة من امره ويقين من عصمته وقال حبيب ابن ربيع القروي مذهب
مالك واصحابه ان من قال فيه عليه السلام ما فيه نقص قتل دون استتابة
وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان من قصد النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم باذى او نقص معرضا او مصرحا وان قل فقتله واجب فهذا الباب
كله مما عده العلماء سبا او تنقصا يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم
ولا متاخرهم وان اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعد ان
شاء الله تعالى وكذلك اقول حكم من غمصه او عيره برعاية الغنم او السهو
او النسيان او السحر او ما اصابه من جرح او هزيمة لبعض جيوشه او اذى
من عدوه او شدة من زمنه او بالميل الى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد
به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك ويأتي ما يدل عليه

فصل في ايجاب قتل من سبه او عابه صلى الله تعالى عليه وسلم فمن القران

لعنة الله تعالى لموذيه في الدنيا والاخرة وقرانه تعالى اذاه باذاه ولا
خلاف في قتل من سب الله وان اللعن انما يستوجبه من هو كافر و
حكم الكافر القتل فقال ان الذين يوذون الله ورسوله الاية وقال
في قاتل المومن مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين
اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك
لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون
وقاتلهم الله انى يوفكون اي لعنهم الله ولانه فرق بين اذيهما واذى المومنين

مادون القتل من الضرب والنكال فكان حكم مؤذي الله ونبيه اشد
من ذلك وهو القتل وقال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم الاية فسلب الايمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه
ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا وقال تعالى يا ايها الذين امنوا
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى قوله ان تحبط اعمالكم ولا
يحبط العمل الا الكفر والكافر يقتل وقال تعالى واذا جاوك حيوك بما لم
يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقال تعالى ومنهم
الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن ثم قال والذين يؤذون
رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى ولئن سألتهم ليقولن انما كنا
نخوض ونلعب الى قوله قد كفرتم بعد ايمانكم قال اهل التفسير كفرتم
بقولكم في رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واما الاجماع فقد ذكرناه
واما الاثار فحدثنا الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن غلبون عن
الشيخ ابي ذر الهروي اجازة قال حدثنا ابو الحسن الدارقطني
وابو عمر بن حيويه حدثنا محمد بن نوح حدثنا عبد العزيز بن محمد بن الحسين
بن زباله حدثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى الكاظم
عن ابيه عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن ابيه عن الحسين بن علي
عن ابيه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سب نبيا
فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح امر النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف وقوله من لكعب بن الاشرف فانه يؤذي

يؤذي الله ورسوله ووجه اليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره
من المشركين وعلل باذاه له فدل ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى وكذلك
قتل ابا رافع قال البراء وكان يؤذي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ويعين عليه وكذلك امره يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان
بسبه عليه السلام وفي حديث اخر ان رجلا كان يسبه عليه السلام فقال
من يكفيني عدوي فقال خالد انا فبعثه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقتله
وكذلك لم يقتل جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث
وعقبة بن ابي معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا الا من
بادر باسلامه قبل القدرة عليه وقد روى البزار عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان عقبة بن ابي معيط نادى يا معشر قريش ما لي اقتل من بينكم
صبرا فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر عبد الرزاق ان النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم سبه رجل فقال من يكفيني عدوي فقال الزبير انا فبارزه الزبير
فقتله وروى ايضا ان امراة كانت تسبه عليه السلام فقال من
يكفيني عدوتي فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها وروى ان رجلا كذب
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه وروى
ابن قانع ان رجلا جاء الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله
سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وبلغ المهاجر بن ابي امية امير اليمن لابي بكر رضي الله عنه ان امراة

هنالك في الردة عنت لسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقطع يدها ونزع
ثنيتها فبلغ ذلك ابا بكر فقال له لولا ما فعلت لامرتك بقتلها لان حد
الانبياء ليس يشبه الحدود وعن ابن عباس هجت امراة من خطمة النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل من قومها انا يا رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنهض فقتلها فاخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اعمى كانت له
ام ولد تسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيزجرها فلا تنزجر فلما كانت ذات
ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتشتمه فقتلها واعلم النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فاهدر دمها وفي حديث ابي برزة الاسلمي كنت
يوما جالسا عند ابي بكر رضي الله عنه فغضب على رجل من المسلمين وحكى
القاضي اسماعيل وغير واحد من الائمة في هذا الحديث انه سب ابا بكر رضي الله
عنه ورواه النسائي اتيت ابا بكر رضي الله عنه وقد غلظ لرجل فرد عليه قال
فقلت يا خليفة رسول الله دعني اضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك لاحد
الا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف
عليه احد فاستدل الائمة بهذا الحديث على قتل من اغضب النبي صلى الله تعالى
بكل ما اغضبه او اذاه او سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الى عامله
بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب
اليه عمر انه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس الا رجل سب
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسال الرشيد

الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر له ان فقهاء
العراق افتوه بجلده فغضب مالك وقال يا امير المؤمنين ما بقاء الامة
بعد نبيها من شتم الانبياء قتل ومن شتم اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
جلد قال القاضي ابو الفضل رحمه الله كذا وقع في هذه الحكاية رواها
غير واحد من اصحاب مناقب مالك ومؤلفي اخباره وغيرهم ولا ادري
من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا
مذاهب العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم يشتهر بعلم او من لا يوثق
بفتواه او يميل به هواه او يكون ما قاله يحمل على غير السب فيكون
الخلاف هل هو سب او غير سب او يكون رجع وتاب عن سبه فلم
يقله مالك على اصله والا فالاجماع منعقد على قتل من سبه كما قدمناه
ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه
عليه السلام فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سوء طويته و
كفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين
عن مالك والاوزاعي وقول الثوري وابي حنيفة والكوفيين رحمهم الله
والقول الاخر انه دليل على الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر الا ان
يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله اما
صريح كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه
بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر ايضا فهذا كافر
بلا خلاف قال تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة

الكفر وكفروا بعد اسلامهم قال اهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقول محمد
حقا لنحن شر من الحمير وقيل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل سمن
كلبك يأكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقد قيل
ان قائل مثل هذا ان كان مستترا به ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه قد غير
دينه وقد قال عليه السلام من غير دينه فاضربوا عنقه ولان لحكم النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم في الحرمة مزية على امته وساب الحر من امته يحد
فكانت العقوبة لمن سبه صلى الله تعالى عليه وسلم القتل لعظيم قدره وشفوف
منزلته على غيره فصل فان قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
اليهودي الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه ولا قتل الاخر
الذي قال له ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله وقد تأذى النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم من ذلك وقال قد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر ولا
قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في اكثر الاحيان فاعلم وفقنا الله و
اياك ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اول الاسلام يستألف عليه
الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم
ويقول لاصحابه انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا
تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه
وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي
عنهم ويحتمل من اذاهم ويصبر على جفائهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر عليه وكان
يرفقهم بالعطاء والاحسان وبذلك امره الله تعالى فقال ولا تزال تطلع على خائنة

خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقال
ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وذلك
لحاجة الناس للتألف اول الاسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر واظهره
الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر امره كفعله بابن خطل ومن
عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم او غلبة ممن
لم ينتظم قبل بسلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الايمان به ممن كان يؤذيه
كابن الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك نذر دم جماعة سواهم
ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهم ممن اذاه حتى القوا بايديهم ولقوه
مسلمين وبواطن المنافقين مستترة وحكمه عليه السلام على الظاهر واكثر
تلك الكلمات انما كان يقولها القائل منهم خفية ومع امثاله ويحلفون
عليها اذا نميت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
وكان مع هذا يطمع في فيئتهم ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم فيصبر عليه السلام
على هناتهم وجفوتهم كما صبر اولوا العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا
كما فاء ظاهرا واخلص سرا كما اظهر جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم للدين
وزراء واعوان وحماة وانصار كما جاءت به الاخبار وبهذا اجاب بعض ائمتنا
رحمهم الله عن هذا السؤال وقيل لعله لم يثبت عنده عليه السلام من اقوال
هم ما رفع وانما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب من صبي
او عبد او امرأة والدماء لا يستباح الا بعدلين وعلى هذا يحمل امر اليهودي في
السام وانهم لووا به السنتهم ولم يبينوه الا ترى كيف نبهت عليه عائشة ولو كان

صرح بذلك لم تنفرد بجملة وهذا ابنة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه على فعلهم و
قلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بالسنتهم وطعنا في الدين فقال
ان اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال بعض
اصحابنا من البغداديين ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه
فيهم ولم يات انه قامت بينة على نفاقهم فلذلك تركهم وايضا فان الامر كان سرا و
باطنا وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان من اهل الذمة والعهد والجوار والناس
قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين
في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين وانصار
الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لنفاقهم وما يبدوا
منهم وعلمه بما اسروا في انفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب الشارد
وارجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والدخول في
الاسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو والظالم ان القتل انما كان للعداوة
وطلب اخذ الترة وقد رايت معنا ما حررته منسوبا الى مالك بن انس رحمه الله
ولهذا قال عليه السلام لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال اولئك
الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من
حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستواء الناس في علمها وقد قال
محمد بن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقاله
القاضي ابو الحسن بن القصار وقال قتادة في تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون
والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها

الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الاية قال
معناه اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن اسلم
ان قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين نسخت ما كان قبلها
وقال بعض مشايخنا لعل القائل هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وقوله
اعدل لم يفهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له وانما
رآها من وجه الغلط في الراي وامور الدنيا والاجتهاد في مصالح اهلها
فلم ير ذلك سبا وراه من الاذى الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك
لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود اذا قالوا السام عليكم ليس فيه صريح
سب ولا دعاء الا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر و
قيل بل المراد تسامون دينكم والسام والسامة الملال وهذا دعاء على
سامة الدين ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب
اذا عرض الذمي او غيره بسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يصرح قال
بعض علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب وانما هو تعريض بالاذى قال القاضي
ابو الفضل قد قدمنا ان الاذى والسب في حقه عليه السلام سواء وقال
ابو محمد بن نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في
هذا الحديث هل كان هذا اليهودي من اهل العهد والذمة او الحرب ولا
يترك موجب الادلة للامر المحتمل والاولى في ذلك كله والاظهر من هذه
الوجوه مقصد الاستئلاف والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون ولذلك
ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال الخوارج باب

من ترك قتل الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك
وقررناه قبل وقد صبر لهم عليه السلام على سحره وسمه وهو اعظم من سبه الى
ان نصره الله عليهم واذن له في قتل من حينه منهم وانزلهم من صياصيهم وقذف
في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء واخرجهم من ديارهم وخرب
بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين وكاشفهم بالسب فقال يا اخوة القردة
والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين واجلاهم من جوارهم واورثهم ارضهم
وديارهم واموالهم كلمة الله هي العليا وكلمة الذين السفلى فان قلت فقد
جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام وما انتقم
لنفسه من شيء يؤتى اليه قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم ان هذا
لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه او اذاه او كذبه فان هذه من حرمات الله التي
انتقم منها وانما يكون ما لا ينتقم منه فيما تعلق بسوء ادب او معاملة من القول
والفعل في النفس والمال مما لم يقصد فاعله به اذاه لكن مما جبلت عليه الاعراب
من الجفاء والجهل او جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الاعرابي ازاره حتى
اثر في عنقه وكرفع صوت الاخر عنده وكجحد الاعرابي شراءه منه فرسه التي
شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجته عليه واشباه هذا مما يحسن
الصفح عنه وقد قال بعض علمائنا ان اذى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حرام
لا يجوز بفعل مباح ولا غيره واما غيره من الناس فيجوز بفعل مباح ما
يجوز للانسان فعله وان تأذى به غيره واحتج بعموم قوله ان الذين
يؤذون الله ورسوله وبقوله صلى الله تعالى عليه وسلم انها بضعة مني

مني يؤذيني ما اذاها الا واني لا احرم ما احل الله لكن لا تجتمع ابنة رسول الله
وابنة عدو الله عند رجل ابدا او يكون هذا مما اذاه به كافر بعد ذلك
اسلامه كعفوه عن اليهودي الذي سحره وعن الاعرابي الذي اراد قتله
وعن اليهودية التي سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا مما يبلغه من اذى
اهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء استئلافهم واستئلاف
غيرهم بهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق فصل تقدم الكلام في
قتل القاصد لسبه والازراء به وغمصه باي وجه كان من ممكن
او محال فهذا وجه بين لا اشكال فيه الوجه الثاني لاحق به في البيان
والجلاء وهو ان يكون القائل لما قال في جهته عليه السلام غير
قاصد للسب والازراء ولا معتقد له ولكنه تكلم في جهته عليه السلام
بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا يجوز عليه او
نفي ما يجب له مما هو في حقه عليه السلام نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان
كبيرة او مداهنة في تبليغ الرسالة او في حكم بين الناس او يغض من
مرتبته او شرف نسبه او وفور علمه او زهده او يكذب بما اشتهره
من امور اخبر بها عليه السلام عن قصد لرد خبره او يأتي بسفه من
القول وقبيح من الكلام ونوع من السب في جهته وان ظهر بدليل
حاله انه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه اما لجهالة حملته على ما قاله او لضجر
او سكر اضطره اليه او قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة وتهور في كلامه
فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول القتل دون تلعثم اذ لا يعذر احد في الكفر

بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه اذ كان عقله في فطرته
سليما الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون على ابن حاتم
في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذي قدمناه وقال محمد بن
سحنون في المأسور يسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في ايدي العدو يقتل الا ان
يعلم تنصره او اكراهه وعن ابي محمد بن ابي زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان في
مثل هذا وافتى ابو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في
سكره يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وايضا فانه حد لا
السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه ادخله على نفسه لان من شرب
الخمر على علم من زوال عقله بها واتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون
بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود ولا
يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم وهل انتم الا
عبيد لابي قال فعرف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه ثمل فانصرف لان الخمر كانت
حينئذ غير محرمة فلم يكن في جناياتها اثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما
يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون فصل الوجه الثالث ان يقصد الى
تكذيبه فيما قاله او اتى به او ينفي نبوته او رسالته او وجوده او يكفر به انتقل بقوله
ذلك الى دين آخر غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا
بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول
الآخر لا تسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان كان ذكره
بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره وان كان مستسرا بذلك فحكمه حكم

حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة عندنا كما بينته قال ابو حنيفة
رحمه الله عليه واصحابه من برئ من محمد او كذب به فهو مرتد حلال الدم
الا ان يرجع وقال ابن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبي او لم يرسل
او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء يقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك
من اعلن بتكذيبه فهو كالمرتد ويستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ و
زعم انه يوحى اليه قال اصبغ وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب مع الفرية
على الله وقال اشهب في يهودي تنبأ او زعم انه ارسل الى الناس
وقال بعد نبيكم نبي انه يستتاب ان كان معلنا بذلك فان تاب والا قتل
وذلك لانه مكذب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي
مفتر على الله تعالى في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون
من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عن الله فهو كافر جاحد
وقال من كذب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان حكمه عند الامة القتل
وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم اسود يقتل لم يكن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باسود وقال نحوه ابو
عثمان الحداد قال لو قال انه مات قبل ان يلتحي او انه كان بتاهرت ولم يكن
بتهامة قتل لان هذا نفي قال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر و
المظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة فصل
الوجه الرابع ان يأتي من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او غيره او يتردد في المراد به من سلامته من المكروه
او شره فها هنا متردد النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة
استبراء المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب
حرمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة
الدم ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف ائمتنا في رجل اغضبه
غريمه فقال له صل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له الطالب لا صلى الله
على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او
شتم الملئكة الذين يصلون عليه قال لا اذا كان على ما وصفت من الغضب لانه
لم يكن مضمرا للشتم وقال ابو اسحاق البرقي واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه انما
شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب في شتم النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم لما احتمل الكلام عنده ولم يكن معه قرينة تدل على شتم
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او شتم الملئكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة يحمل
عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده الناس غير هؤلاء لاجل قول الاخر له صل
على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الآن لامر الاخر له
بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبه وذهب
الحارث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل وتوقف ابو الحسن
القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فامر
بشده بالقيود والتضييق عليه حتى يستفهم البينة عن جملة الفاظه وما يدل
على مقصده هل اراد اصحاب الفنادق الآن فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره

امره اخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين
والمتأخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبياء والرسل من اكتسب المال قال و
دم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين وما يرد اليه التأويلات لا بد من اعمال النظر
فيه هذا معنى كلامه وحكي عن ابي محمد بن ابي زيد رحمه الله فيمن قال لعن
الله العرب ولعن الله بني اسرائيل ولعن الله بني ادم وذكر انه لم يرد الانبياء
وانما اردت الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك
افتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لا اعلم من حرمه وفي من لعن حديث
لا يبع حاضر لباد ولعن من جاء به لانه ان كان يعرف بالجهل وعدم معرفة السنن
فعليه الادب الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله ولا سب
رسوله وانما لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون واصحابه في المسئلة
المتقدمة ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض
يا ابن الف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر القول ولا شك انه يدخل
في مثل هذا العدد من ابائه واجداده جماعة من الانبياء ولعل بعض العدد منقطع
الى ادم عليه السلام فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الادب فيه
ولو علم انه قصد سب من في ابائه من الانبياء على علم لقتل وقد يضيق القول في
نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال اردت الظالمين منهم
او قال لرجل من ذرية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قولا قبيحا في ابائه او من نسله او
ولده على علم منه انه من ذرية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسئلتين
تقتضي تخصيص بعض ابائه واخراج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ممن سبه منهم وقد

رايت لابي موسى بن مناس فيمن قال لرجل لعنك الله الى ادم انه ان ثبت
ذلك عليه قتل قال القاضي رحمه الله وقد كان اختلف شيوخنا فيمن
قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال له تتهمني فقال له الاخر الانبياء
يتهمون فكيف انت فكان شيخنا ابو اسحق بن جعفر يرى قتله لبشاعة
ظاهر اللفظ وكان القاضي ابو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال
اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار وافتى فيها قاضي
قرطبة ابو عبد الله بن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده
واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل في
شهادة بعض من شهد عليه وهن ثم اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا
عبد الله محمد بن عيسى ايام قضائه اتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد
الى كلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون قال ذلك
وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب
من يستراب بدينه فلما لم يجد ليقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط و
واطلقه فصل الوجه الخامس ان لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا
سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه او يستشهد ببعض احواله عليه السلام
الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه او لغيره او على
التشبه به او عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته ليس على طريق التاسي
وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او سبيل التمثيل وعدم
التوقير لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم او قصد الهزل والتنذير بقوله كقول

كقول القائل ان قيل في السوء فقد قيل في النبي او ان كذبت فقد كذب الانبياء
او ان اذنبت فقد اذنبوا او انا اسلم من السنة الناس ولم يسلم منهم انبياء الله
ورسله او قد صبرت كما صبر اولو العزم او كصبر ايوب او قد صبر نبي الله من عداه
وحلم عن اكثر مما صبرت وكقول المتنبي انا في امة تداركها الله ∴ غريب
كصالح في ثمود ونحوه من اشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام كقول
المعري ∴ كنت موسى وافته بنت شعيب ∴ غير ان ليس فيكما من فقير على ان اخر
البيت شديد عند تدبره وداخل في باب الازراء والتحقير بالنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله لولا انقطاع الوحي بعد الوحي ∴
قلنا محمد من ابيه بديل ∴ هو مثله في الفضل الا انه ∴ لم ياته برسالة جبريل ∘
فصدر هذا البيت الثاني من هذا الفصل شديد لتشبيهه غير النبي في فضله بالنبي
والعجز محتمل الوجهين احدهما ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح والاخر
استغناؤه عنها وهذه اشد ونحو منه قول الاخر ∘ واذا ما رفعت راياته
∘ صفقت بين جناحي جبريل ∘ وقول الاخر من اهل العصر فر من الخلد و
واستجار بنا ∴ فصبر الله قلب رضوان ∴ وكقول حسان المصيصي من شعراء
الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره ابو بكر بن زيدون كان
ابا بكر ابو بكر الرضى ∘ وحسان حسان وانت محمد ∘ الى امثال هذا وانما اكثرنا
بشواهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف امثلتها ولتساهل كثير من الناس في ولوج
هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه من
الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لا سيما

الشعراء واشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هانئ الاندلسي وبن
سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف والنقص وصريح
الكفر وقد اجبنا عنه وغرضنا الان الكلام في هذا الفصل الذي سقنا
امثلته فان هذه كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضافت الى الملئكة والانبياء
نقصا ولست اعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها ازراء وغضا فما وقر النبوة
ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفا ولا عزز حظوة الكرامة حتى شبه من
شبه في كرامة نالها او معرة قصد الانتفاء منها او ضرب مثل لتطييب مجلسه
او اغلاء في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره والزم
توقيره وبره ونهى عن الجهر بالقول له ورفع الصوت عنده فحق هذا ان
درى عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى
قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله او ندوره وقرينة كلامه او ندمه على ما سبق
منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد انكر الرشيد على ابي
نواس قوله فان يك باقي سحر فرعون فيكم ٥ فان عصى موسى بكف خصيب ٥
وقال له يا ابن اللخناء انت المستهزئ بعصى موسى وامر باخراجه عن عسكره
من ليلته وذكر القتبي ان مما اخذ عليه ايضا وكفر به او قارب قوله في محمد
الامين وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم تنازع الاحمدان الشبه
فاشبها ٥ خلقا وخلقا كما قد الشراكان وقد انكروا ايضا على الاخر قوله
في ممدوحه ٥ وكيف لا يدنيك من امل من رسول الله من نفره ٥ لان
الرسول وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف فالحكم



فالحكم في امثال هذا ما بسطنا في طريق الفتيا وعلى هذا المنهج جاءت فتيا
امام مذهبنا مالك بن انس رضي الله عنه واصحابه ففي النوادر من رواية
ابن ابي مريم عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعى
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم في غير موضعه ارى ان يؤدب قال ولا ينبغي لاهل الذنوب
اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطات الانبياء قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز
لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له قد كان ابو النبي كافرا
فقال جعلت هذا مثلا فعزله فقال لا تكتب لي ابدا وقد كره سحنون ان
يصلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند التعجب الا على طريق الثواب والاحتساب
توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله وسئل القابسي عن رجل قال لرجل
قبيح كانه وجه نكير ولرجل عبوس كانه وجه مالك الغضبان فقال
اي شيء اراد بهذا ونكير احد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي
اراد اروع دخل عليه حين رآه من وجهه ام عاف النظر اليه لدمامة
خلقه فان كان هذا فهو شديد لانه جرى مجرى التحقير والتهوين
فهو اشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك وانما السب
واقع على المخاطب وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء
قال واما ذاكر مالك خازن النار فقد جفا الذي ذكره عندما انكر
من عبوس الاخر الا ان يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه القائل
على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه

في فعله فيقول كانه لله يغضب غضب مالك فيكون لخف وما كان ينبغي له
التعرض لمثل هذا ولو كان اثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك
كان اشد ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد
ذمه لقتل وقال ابو الحسن ايضا في شاب معروف بالخير قال لرجل شيئا
فقال له الرجل اسكت فانك امي فقال الشاب اليس كان النبي اميا
فشنع عليه مقاله وكفره الناس واشفق الشاب مما قال واظهر الندم
عليه فقال ابو الحسن اما اطلاق الكفر عليه فخطاء لكنه مخطي في
استشهاده بصفة النبي صلى الله تعا عليه وسلم وكون النبي صلى الله
تعا عليه وسلم اميا اية له وكون هذا اميا نقيصة فيه وجهالة ومن
جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله تعا عليه وسلم لكنه اذا استغفر
وتاب واعترف ولجا الى الله تعا فيترك لان قوله لا ينتهي الى حد
القتل وما طريقه الادب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه
ونزلت ايضا مسئلة استفتى فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي
ابا محمد بن منصور في رجل تنقصه آخر بشيء فقال له انما تريد نقصي بقولك
وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله تعا عليه وسلم فافتاه
باطالة سجنه وايجاع ادبه اذ لم يقصد السب وكان بعض فقهاء الاندلس
افتى بقتله فصل الوجه السادس ان يقول القائل ذلك حاكيا
عن غيره وآثرا عن سواه فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته و
يختلف الحكم باختلاف ذلك على اربعة وجوه الوجوب والندب والكراهة

والكراهة والتحريم فان كان اخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقائله
والانكار عليه والاعلام بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله
ويحمد فاعله وكذلك ان حكاه في كتاب او في مجلس على طريق الرد له والنقض
على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب
حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه فان كان القائل لذلك ممن تصدى
لان يؤخذ عنه العلم او رواية الحديث او يقطع بحكمه او شهادته او فتياه
في الحقوق وجب على سامعه الاشادة بما سمع منه والتنفير للناس عنه و
الشهادة عليه بما قاله ووجب على من بلغه ذلك من ائمة المسلمين
انكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين وقياما
بحق سيد المرسلين وكذلك ان كان ممن يعظ العامة او يؤدب الصبيان
فان من هذه سريرته لا يؤمن على القاء ذلك في قلوبهم فيتاكد في هؤلاء الا
الايجاب لحق النبي صلى الله تعا عليه وسلم ولحق شريعته وان لم يكن القائل
بهذه السبيل فالقيام بحق النبي صلى الله تعا عليه وسلم واجب وحماية عرضه
متعين ونصرته عن الاذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه اذا قام بهذا
من ظهر به الحق وفصلت به القضية وبان به الامر سقط عن الباقي الفرض
وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة عليه وعضد التحذير منه وقد اجمع اهل
السنة على بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل ابو
محمد بن ابي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعا ايسعه ان لا يؤدي
شهادته قال ان رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك ان علم ان الحاكم

لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه
ذلك واما الاباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا ارى لها
مدخلا في الباب فليس التفكه بعرض النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
والتمضمض بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض شرعي بمباح
واما الاغراض المتقدمة فمتردّدة بين الايجاب والاستحباب وقد
حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى رسله في كتابه على وجه الانكار
لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا
في محكم كتابه وكذلك وقع من امثاله في احاديث النبي صلى الله تعالى عليه و
سلم الصحيحة على الوجوه المتقدمة واجمع السلف والخلف من ائمة الهدى
على حكايات مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبيّنوها
للناس وينقضوا شبهها عليهم وان كان ورد لاحمد بن حنبل انكار لبعض
هذا على الحارث بن اسد فقد صنع احمد مثله في ردّه على الجهمية والقائلين
بالمخلوق وهذه الوجوه السائغة الحكاية عنها فاما ذكرها على غير هذا من
حكاية سبه والازراء بمنصبه على وجه الحكايات والاسمار والطرف و
احاديث الناس ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك المجّان ونوادر
السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه اشد
في المنع والعقوبة من بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد او معرفة
بمقدار ما حكاه او لم تكن عادته او لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر
على حاكيه استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العودة اليه وان

وان قوّم ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان لفظه من البشاعة حيث
هو كان الادب اشدّ وقد حكي ان رجلا سال مالكا عمن يقول القران مخلوق
فقال مالك هو كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن غيري فقال مالك انما
سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ بدليل
انه لم ينفذ قتله وان اتهم هذا الحاكي فيما حكاه انه اختلقه ونسبه الى غيره
او كانت تلك عادة له او ظهر استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله والاستخفاف
به والتحفظ لمثله وطلبه او رواية اشعار هجوه عليه السلام وسبه فحكم
هذا حكم الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا ينفعه نسبته الى غيره فيبادر
بقتله ويعجل الى الهاوية امه وقد قال ابو عبيد القاسم ابن سلام فيمن
حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر
بعض من الف في الاجماع اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم وكتابته وقراءته وتركه متى وجد دون محو ورحم
الله اسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم فقد اسقطوا من احاديث المغازي
والسير ما كان هذا سبيله وتركوا روايته الا اشياء ذكروها
يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول ليروا نقمة الله من قائلها
واخذه المفتري عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله قد
تحرى فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجي اشعار العرب في كتبه فكنى
عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم احد
بروايته او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر صلى الله تعالى عليه وسلم

فصل الوجه السابع ان يذكر ما يجوز على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او
يختلف في جوازه عليه وما يطرا من الامور البشرية وتمكن اضافتها
اليه او يذكر ما امتحن به وصبر في ذات الله على شدته من مقاساة
اعدائه واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بوس
زمنه ومر عليه من معاناة عيشته وكل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة
العلم ومعرفة ما صحت به العصمة للانبياء وما يجوز عليهم فهذا فن خارج
عن هذه الفنون الستة اذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف
ولا في مقصد اللفظ لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء
طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده ويجنب ذلك من
عساه لا يفقه او يخشى به فتنة فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة
يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن
وادراكهن فقد قال عليه السلام مخبرا عن نفسه باستيجاره لرعاية
الغنم في ابتداء حاله وقال ما من نبي الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله بذلك
عن موسى عليه السلام وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على
وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت عادة جميع العرب
نعم في ذلك للانبياء حكمة بالغة وتدريج الله تعالى لهم الى كرامته وتدريب
برعايتها السياسة اممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الازل و
متقدم العلم وكذلك قد ذكر الله يتمه وعيلته في القران على طريق المنة
عليه والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر

وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته قال القاضي ابو عبد
الله البرتكاني والقاضي ابو عبد الله التستري من ائمة العراقيين من
اصحابنا [illegible]
قوله في اعادة الصلوة خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب
القدري واكثر اقوال السلف تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة
وابن لهيعة روي عنهم ذلك فيمن قال بخلق القران وقاله ابن المبارك
والاوزاعي ووكيع وحفص بن غياث وابو اسحق الفزاري وهشيم وعلي
بن عاصم في اخرين وهو قول اكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي
الخوارج والقدرية واهل الاهواء المضلة واصحاب البدع المتاولين
وهو قول احمد بن حنبل وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة في هذه
الاصول وممن روي عنه معنى القول الاخير بترك تكفيرهم علي ابن ابي طالب
رضي الله عنه وابن عمر والحسن البصري وهو راي جماعة من الفقهاء
النظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثة اهل
حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجري
احكام الاسلام عليهم قال اسمعيل القاضي وانما قال مالك في القدرية
وسائر اهل البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في
الارض كما قال في المحارب ان راى الامام قتله وان لم يقتل قتله وفساد
المحارب انما هو في الاموال ومصالح الدنيا وان كان قد يدخل ايضا في
امر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع [illegible] الدين قد

الماجشون وقول سحنون في جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك في
الموطا وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم في القدرية
[illegible] يستتابون فان تابوا والا قتلوا وقال سحنون عن ابن القاسم في اهل الاهواء
من الاباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل البدع
والتحريف لتاويل كتاب الله يستتابون اظهروا ذلك او اسروه
فان تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القاسم
في كتاب محمد في اهل القدر وغيرهم قال واستتابهم ان يقال لهم اتركوا ما
انتم عليه ومثله له في المبسوط في الاباضية والقدرية وساير اهل البدع
قال وهم مسلمون وانما قتلوا لرايهم السوء قال وبهذا عمل عمر بن عبد
العزيز قال ابن القاسم من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما استتيب
فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير
امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة وقد روى ايضا عن سحنون مثله
فيمن قال ليس لله كلام انه كافر واختلفت الروايات عن مالك فاطلق في
رواية الشاميين ابي مسهر ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد
شوور في رواج القدري فقال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مؤمن
خير من مشرك وروى عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار وقال من
وصف شيا من ذات الله تعالى واشار الى شيء من جسده بيدا وسمع او
بصر قطع ذلك منه لانه شبهه بنفسه وقال فيمن قال القران مخلوق كافر
فاقتلوه [illegible] في رواية بن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب

والخبر عن سيداته والتعجب من منح الله قبله وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة
بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته اذ اظهره الله بعد هذا على صناديد
العرب ومن ناواه من اشرافهم شيئا فشيئا ونمى امره حتى قهرهم
وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الامم غيرهم باظهار
الله تعالى له وتاييده بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم وامداده
بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك او ذا اشياع متقدمين لحسب
كثير من الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل
حين سال ابا سفيان عنه هل في ابائه من ملك ثم قال ولو كان في ابائه
ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه واذ اليتم من صفته واحدى علاماته في
الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب ارمياء
وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب وبحيرا لابي طالب وكذلك اذ
وصف بانه امي كما وصفه الله به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة
معجزة اذ معجزته العظمى من القران العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف
والعلوم مع ما منح به صلى الله تعالى عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمنا
في القسم الاول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرا ولم يكتب ولم يدارس
ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة
اذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة وانما هي آلة لها وواسطة موصلة
اليها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب استغني عن
الواسطة والسبب والامية في غيره نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان

الماجشون وقول سحنون في جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك في
الموطا وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم في القدرية
يستتابوا فان تابوا والا قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم في اهل الاهواء
من الاباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من اهل البدع
والتحريف لتاويل كتاب الله يستتابوا ان اظهروا ذلك او استتبه
فان تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القاسم
في كتاب محمد في اهل القدر وغيرهم قال واستتابهم ان يقال لهم اتركوا ما
انتم عليه ومثله له في المبسوط في الاباضية والقدرية وسائر اهل البدع
قال وهم مسلمون وانما قتلوا لرايهم السوء قال وبهذا عمل عمر بن عبد
العزيز قال ابن القاسم من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما استتيب
فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير
امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة وقد روى ايضا عن سحنون مثله
فيمن قال ليس لله كلام انه كافر واختلفت الروايات عن مالك فاطلق في
رواية الشاميين ابي مسهر ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد
شوور في زواج القدري فقال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مؤمن
خير من مشرك وروى عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار وقال من
وصف شيا من ذات الله تعالى واشار الى شيء من جسده بيد او سمع او
بصر قطع ذلك منه لانه شبه بنفسه وقال فيمن قال القران مخلوق كافر
فاقتلوه وقال
في رواية بن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب

والخبر عن مبتداه والتعجب من منح الله قبله وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة
بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته اذ اظهره الله بعد هذا على صناديد
العرب ومن ناواه من اشرافهم شيئا فشيئا ونمى امره حتى قهرهم
وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الامم غيرهم باظهار
الله تعالى له وتاييده بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم وامداده
بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك او ذا اشياع متقدمين لحسب
كثير من الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل
حين سئل ابا سفيان عنه هل في ابائه من ملك ثم قال ولو كان في ابائه
ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه واذ اليتيم من صفته واحدى علاماته في
الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب ارمياء
وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب وبحيرا لابي طالب وكذلك اذ
وصف بانه امي كما وصفه الله به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة
معجزة اذ معجزته العظمى من القران العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف
والعلوم مع ما منح به صلى الله تعالى عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمنا
في القسم الاول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرا ولم يكتب ولم يدارس
ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة
اذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة وانما هي آلة لها وواسطة موصلة
اليها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب استغني عن
الواسطة والسبب والامية في غيره نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان

الغباوة فسبحان من باين امره من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه مخطة سواه
وحياته فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه واخراج حشوته كان تمام
حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه
وختم موته وفنائه وهلم جرا الى سائر ما روى من اخباره وسيره وتقلله
من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في
اموره وخدمة بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسوية بين حقيرها و
خطيرها لسرعة فناء امورها وتقلب احوالها كل هذا من فضائله و
مآثره وشرفه كما ذكرناه فمن اورد شيئا منها موردة وقصد بها مقصده
كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء ...
لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من اخباره واخبار سائر
الانبياء عليهم السلام في احاديث مما في ظاهره اشكال يقتضي امورا
لا تليق بهم بحال ويحتاج الى تأويل وتردد احتمال فلا يجب ان يحدث
منها الا المعلوم الثابت ورحم الله مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك
من الاحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى وقال ما يدعو الناس
الى التحدث بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان يحدث بها فقال لم يكن
من الفقهاء وليت الناس وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوه على
طيها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على
الجملة انهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم اوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه و

وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وايجازه فلم تكن
في حقها مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الامية فلا يكاد
يفهم من مقاصد العرب الا نصها وصريحها ولا يتحقق اشاراتها الى غرض
الايجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تأويلها وحملها على
ظاهرها شذر مذر فمنهم من آمن ومنهم من كفر فاما ما لا يصح من
هذه الاحاديث فواجب ان لا يذكر منها شيء في حق الله تعالى ولا في حق
انبيائه ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها
وترك الشغل بها الا ان تذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة المعاني
واهية الاسناد وقد انكر الاشياخ على ابي بكر بن فورك تكلفه في
مشكله الكلام على احاديث ضعيفة موضوعة لا اصل لها او منقولة
عن اهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه
عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها اذ المقصود بالكلام على مشكل
ما فيها ازالة اللبس بها واجتثاثها من اصلها وطرحها اكشف للبس و
اشفى للنفس فصل ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي وما لا يجوز
والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة
والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره عليه السلام وذكر تلك الاحوال
الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه
علامات الادب عند ذكره فاذا ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر عليه
الاشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبي صلى

الله تعالى عليه وسلم لو قدر عليه و التصرف له لو امكنته واذا اخذ في ابواب
العصمة وتكلم على مجاري اعماله واقواله عليه السلام تحرى احسن اللفظ
وادب العبارة ما امكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة
كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم في الاقوال [illegible]
عليه الخلف في القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا او غلطا ونحوه
من العبارة ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال هل
يجوز الا ما علم وهل يمكن الا يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى
اليه ولا يقول بجهل لقبح اللفظ وبشاعته واذا تكلم في الافعال قال هل
يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي ومواقعة بعض الصغائر
فهو ادب واولى من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا
من انواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه السلام وما يجب له من تعزير
واعظام وقد رايت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم استصوب
عبارته فيه **ووجدت** بعض الجائرين قد قوله لاجل ترك تحفظه في العبارة
ما لم يقله وشنع عليه بما ياباه ويكفر قائله واذا كان مثل هذا من الناس
مستعملا في ادابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في حقه
عليه السلام اوجب والتزامه اكد فجودة العبارة تقبح الشيء او تحسنه
وتحريرها وتهذيبها يعظم الامر او يهونه ولهذا قال عليه السلام ان
من البيان لسحرا واما ما اورده على جهة النفي عنه والتنزيه له فلا حرج
في تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا اتيان

ولا اتيان الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب
ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل
هذا [illegible] السلف تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره كما
[illegible] في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة
اي من القران حكى الله فيها مقال عداه ومن كفر باياته وافترى عليه
الكذب فكان يخفض بها صوته اعظاما **الباب الثاني في حكم سابه** بلغ
وشانئه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته
قد قدمنا ما هو سب واذى في حقه عليه السلام وذكرنا اجماع العلماء
على قتل فاعل ذلك وقائله او تخيير الامام في قتله او صلبه على ما ذكرناه وقررنا
الحجج عليه **وبعد فاعلم** ان مشهور مذهب مالك واصحابه وقول السلف
وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا ان اظهر التوبة منه ولهذا لا يقبل عندهم
توبته ولا تنفعه استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق و
مسر الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه
والشهادة على قوله او جاء تائبا من قبل نفسه لانه حد وجب لا تسقطه
التوبة كسائر الحدود وقال الشيخ ابو الحسن القابسي اذا اقر بالسب وتاب منه
واظهر التوبة قتل بالسب لانه هو حده وقال ابو محمد بن ابي زيد في مثله
واما ما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون من شتم النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه
القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق اذا جاء تائبا فحكى القاضي ابو

الحسن بن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا من قال اقتله باقراره لانه
كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا انه خشي الظهور عليه فبادر لذلك
ومنهم من قال اقبل توبته لاني استدل على صحتها بمجيئه فكاننا وقفنا على
باطنه بخلاف من اسرته البينة قال القاضي ابو الفضل وهذا قول اصبغ
ومسئلة ساب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اقوى لا يتصور فيها الخلاف
على الاصل المتقدم لانه حق متعلق للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته بسبب
بسببه لا تسقطه التوبة كسائر الحقوق الادميين والزنديق اذا تاب
بعد القدرة عليه فعند مالك والليث واسحاق واحمد لا تقبل توبته
وعند الشافعي تقبل واختلف فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف رحمهما الله تعالى
وحكى ابن المنذر عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه يستتاب قال محمد
بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه صلى الله تعالى عليه وسلم
لانه لم ينتقل من دين الى غيره وانما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو
فيه لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال القاضي ابو محمد
بن نصر محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى
على مشهور القول باستتابته ان النبي بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة
الا من اكرمه الله تعالى بنبوته والبارئ تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا
وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه عليه السلام كالارتداد
المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من
الادميين فقبلت توبته ومن سب النبي تعلق فيه لا حق لادمي فكان

فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف فان توبته لا تسقط عنه حد القتل
والقذف وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنا
وسرقة وغيرها ولم يقتل ساب النبي لكفره لكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته
وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه التوبة قال القاضي ابو الفضل رحمه
الله يريد والله اعلم لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء
والاستخفاف او لان بتوبته واظهار انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا
والله بسريرته وبقي حكم السب عليه وقال ابو عمران القابسي من سب
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم يستتب لان
السب من حقوق الادميين التي لا تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا هؤلاء
مبني على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل واما على رواية
الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال
به من اهل العلم جماعة فقد صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب منها فان
تاب نكل وان ابى قتل فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه
الاول اشهر واظهر لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره
ردة فهو يوجب القتل فيه حدا وانما نقول ذلك مع فصلين اما مع انكاره
ما شهد عليه به واظهاره الاقلاع والتوبة عنه فقتله حدا لثبات
كلمة الكفر عليه في حق النبي وتحقيره ما عظم الله من حقه واجرينا
حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر او تاب فان
قيل فكيف تثبتون عليه الكفر ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون

عليه بحكم من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وان اثبتنا له حكم الكافر
في القتل فلا نقطع عليه بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد
به عليه او زعم ان ذلك كان منه وهلا ومعصية وانه مقلع عن ذلك نادم
عليه ولا يمتنع اثبات بعض احكام الكفر على بعض الاشخاص وان لم تثبت له خصائصه
كقتل تارك الصلوة واما من علم منه انه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك
في كفره بذلك وكذلك ان كان سبه في نفسه كفرا كتكذيبه او تكفيره
ونحوه فهذا مما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب منه لانا لا نقبل توبته و
نقتله بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره وامره بعد الى الله المطلع على صحة اقلاعه
العالم بسره وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا
كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله وحرمة نبيه يقتل كافرا بلا خلاف
فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج
عليها واجر اختلافهم في الموارثة وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم
ان شاء الله فصل اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف على الاختلاف
في توبة المرتد اذ لا فرق وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها
فذهب جمهور اهل العلم الى ان المرتد يستتاب وحكى ابن القصار انه
اجماع من الصحابة على تصويب قول عمر في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم
وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم وبه قال عطا ابن ابي
رباح والنخعي والثوري ومالك واصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد
واسحاق واصحاب الرأي وذهب طاوس وعبيد بن عمير والحسن في احدى

الروايتين عنه انه لا يستتاب وقاله عبد العزيز بن ابي سلمة
وذكره عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن ابي
يوسف وهو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله ولكن
لا يدرأ القتل عنه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه
وحكى ايضا عن عطاء ان كان ممن ولد في الاسلام لم يستتب ويستتاب
الاسلامي وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة في ذلك سواء و
روي عن علي لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطاء وقتادة وروي
عن ابن عباس لا تقتل النساء في الردة وبه قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى
قال مالك والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك سواء واما مدتها
فمذهب الجمهور وروي عن عمر انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها وقد
اختلف فيه عن عمر رضي الله عنه وهو احد قولي الشافعي وقول احمد
واسحاق واستحسنه مالك وقال لا يأتي الاستظهار الا بخير و
ليس عليه جماعة الناس قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد يريد في الاستيناء
ثلاثا وقال مالك ايضا الذي اخذ به في المرتد قول عمر يحبس ثلاثة ايام
ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا قتل وقال ابو الحسن بن القصار في
تأخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك واجب او مستحب واستحسن
الاستتابة ثلاثا اصحاب الرأي وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
انه استتاب امرأة فلم تتب فقتلها وقال الشافعي مرة فقال ان لم يتب
مكانه قتل واستحسنه المزني وقال الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث

مرات فابى قتل وروى عن علي رضي الله عنه يستتاب شهرين وقال النخعي
يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري ما رجيت توبته وحكى ابن القصار عن ابي
حنيفة رحمه الله انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة ايام او ثلاث جمع
كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب محمد عن ابن القاسم يدعى المرتد الى الاسلام
ثلاث مرات فان ابى ضربت عنقه واختلف على هذا هل يشدد او
لا يشدد عليه ايام الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى له من الطعام
بما لا يضره وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه
الاسلام وفي كتاب ابي الحسن الطابثي يوعظ في تلك الايام ويذكر
بالجنة ويخوف بالنار قال اصبغ واي المواضع حبس فيها من السجون مع
الناس او وحده اذا استوثق منه سواء ويوقف مع ذلك ماله اذا خيف
ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع
وارتد وقد استتاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نبهان الذي ارتد اربع
مرات او خمسا قال ابن وهب عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع وهو قول الشافعي
واحمد رحمهما الله وقاله ابن القاسم وابو اسحاق يقتل في الرابعة وقال
اصحاب الرأي ان لم يتب في الرابعة قتل دون استتابة وان تاب ضرب
ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر
ولا نعلم احدا اوجب على المرتد في المرة الاولى ادبا اذا رجع وهو على
مذهب مالك والشافعي والكوفي فصل قال القاضي رحمه الله هذا حكم
من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من اقرار او عدول لم يدفع فيهم فاما من لم

[illegible] الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد او اللفيف من الناس او ثبت
[illegible]ك حتمل ولم يكن صريحا وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته فهذا
يدرأ عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة
الشهادة عليه او ضعفها او كثرة السماع عنه وصورة حاله من التهمة في
الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوي امره اذاقه من شديد النكال من
التضييق في السجن والشد في القيود الى الغاية التي هي منتهى طاقته مما
لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه
القتل لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به لاشكال وعائق اقتضاه
امره وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى
الوليد عن مالك والاوزاعي انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك في العتبية
وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون
وافتى ابو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فشهد عليه شاهدان عدل احدهما بالادب الموجع والتنكيل و
السجن الطويل حتى تظهر توبته وقال القابسي في مثل هذا ومن كان
اقصى امره القتل لم ينبغ ان يطلق فعاق عائق اشكل من السجن ولا
يستطال سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل عليه من
القيد ما يطيق وقال في مثله ممن اشكل امره يشد في القيود شدا
ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه وقال في مسألة اخرى
مثلها ولا تهراق الدماء الا بالامر الواضح وفي الادب بالسوط و

بالسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة فاما ان لم يشهد عليه
سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرحتهما ما اسقطهما عنه
ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم عنه وكانه لم يشهد
عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من اهل التبريز
فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم فيه بشهادتهما فلا يدفع
الظن صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي
الارشاد فصل هذا حكم المسلم فاما الذمي اذا صرح بسبه
او عرض او استخف بقدره او وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا
خلاف عندنا في قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة او علي هذا وهو
قول عامة العلماء الا ابا حنيفة والثوري واتباعهما من اهل الكوفة
فانهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك اعظم ولكن يؤدب ويعزر
واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم
من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم الاية ويستدل ايضا عليه بقتل
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لابن الاشرف واشباهه ولانا لم نعاهد
هم ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم
فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم و
صاروا كفارا يقتلون لكفرهم وايضا فان ذمتهم لا تسقط حدود
الاسلام عنهم من القطع في سرقة اموالهم والقتل لمن قتلوا منهم
وان كان ذلك حلالا عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم

ولم يقتلوا به وورد لاصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف اذا ذكره
الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون
بعد وحكى ابو المصعب الخلاف فيها عن اصحابه المدنيين واختلفوا اذا
سبه ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف
المسلم اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه
بقلبه لكن منعناه من اظهاره فلم يزدنا ما اظهره الا مخالفة للامر ونقضا
للعهد فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله قال تعالى قل للذين
كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان ظننا
بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الان فلم نقبل بعد رجوعه و
لا استامنا الى باطنه اذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه من الاحكام
باقية عليه لم يسقطها شيء وقيل لا يسقط اسلام الذمي الساب قتله لانه
حق للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق
النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقطه عنه كما وجب
عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل واذا كنا لا نقبل توبة
المسلم فان لا نقبل توبة الكافر اولى قال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط
وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا من
اهل الذمة او احدا من الانبياء عليهم السلام قتل الا ان يسلم وقاله ابن
القاسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون وقال سحنون واصبغ لا يقال
له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب

مالك انه قال من سب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او غيره من النبيين
من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وروى لنا عن مالك الا ان يسلم الكافر
وقد روى ابن وهب عن ابن عمر ان راهبا تناول النبي صلى الله عليه
وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه وروى عيسى عن ابن القاسم في الذمي قال
ان محمدا لم يرسل الينا انما ارسل اليكم وانما نبينا موسى او عيسى عليه
السلام ونحو هذا لا شيء عليهم لان الله اقرهم على مثله واما ان سبه
فقال ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قران وانما هو شيء تقوله
او نحو هذا فيقتل قال ابن القاسم واذا قال النصراني ديننا خير من
دينكم انما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح او سمع المؤذن
يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا
الادب الموجع والسجن الطويل قال ان شتم النبي شتما يعرف فانه يقتل
الا ان يسلم قاله مالك غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القاسم ومحمل
قوله عندي ان يسلم طايعا قال ابن سحنون في سؤالات سليمان
بن سالم في اليهودي يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة
الموجعة مع السجن الطويل وفي النوادر من رواية سحنون عنه من شتم
الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه
الا ان يسلم قال محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد
على ذلك ولا على قتلنا واخذ اموالنا فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان

وان كان في دينه استحلاله فكذلك اظهاره لسب نبينا قال سحنون
كما لو بذل لنا اهل الحرب الجزية على اقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك في
[illegible] ينتقض عهد من سبه منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الاسلام
من سبه من القتل كذلك لا يحصنه الذمة قال القاضي ابو الفضل ما ذكره ابن
سحنون عن نفسه وعن ابيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه
مما به كفروا فتامله ويدل على انه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك ما
حكى ابو المصعب الزهري قال اتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى
على محمد فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته او عاش يوما وليلة وامرت من جر
برجله وطرح على مزبلة فاكلته الكلاب وسئل ابو المصعب عن نصراني
قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل وقال ابن القاسم سألنا مالكا عن نصراني
بمصر شهد عليه انه قال مسكين محمد يخبركم انه في الجنة فهو الان في الجنة ماله
لم ينفع نفسه اذ كانت الكلاب تاكل ساقيه لو قتلوه استراح الناس منه
قال مالك ارى ان تضرب عنقه قال ولقد كدت ان لا اتكلم فيها بشيء
ثم رايت انه لا يسعني الصمت قال ابن كنانة في المبسوطة من شتم النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم من اليهود والنصارى فارى للامام ان يحرقه بالنار
وان شاء قتله ثم حرق جثته وان شاء احرقه بالنار حيا اذا تهافتوا في
سبه ولقد كتب الى مالك من مصر وذكر مسألة ابن القاسم المتقدمة قال
فامرني مالك بان يقتل وان يضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا ابا عبد الله
واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك وما اولاه به فكتبته بيدي

بين يديه فما انكره ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق وافتى
عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين بقتل
نصرانية استهلت بنفي الربوبية وبنبوة عيسى وتكذيب محمد
وبقبول اسلامها ودرء القتل عنها به قال غير واحد من المتأخرين
منهم القابسي وابن الكاتب وقال ابو القاسم بن الجلاب
من سب الله ورسوله من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب وحكى
القاضي ابو محمد في الذمي يسب روايتين في درء القتل عنه باسلامه و
قال ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقطه
عن الذمي اسلامه وانما يسقط عنه باسلامه حدود الله فاما حد القذف
فحق للعباد كان ذلك لنبي او غيره فاوجب على الذمي اذا قذف النبي
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم اسلم حد القذف لكن انظر ماذا يجب عليه
هل حد القذف في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره ام هل يسقط القتل باسلامه ويجلد
ثمانين فتأمله فصل في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وغسله والصلوة عليه اختلف العلماء في ميراث من قتل بسبب
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذهب سحنون الى انه لجماعة المسلمين
من قبل ان شتم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كفر يشبه كفر الزنديق
وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين ان كان مستترا بذلك وان
كان مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب

ولا يستتاب قال ابو الحسن القابسي ان قتل وهو منكر للشهادة
فالحكم في ميراثه على ما اظهر من اقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت
[illegible] ليس من الميراث في شيء وكذلك لو اقر بالسب واظهر التوبة
من سبه [illegible] حده وحكمه في ميراثه وسائر احكامه حكم الاسلام
[illegible] السب [illegible] وتمادى عليه وابى التوبة منه فقتل على ذلك
[illegible] وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن وتستر
عورته ويوارى كما يفعل بالكفار وقول الشيخ ابي الحسن في المجاهر المتمادي
بين لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع وهو مثل
[illegible] وكذلك في كتاب محمد بن سحنون في الزنديق يتمادى على قوله
[illegible] لابن القاسم في العتبية ولجماعة من اصحاب مالك في كتاب ابن
حبيب فيمن اعلن كفره مثله قال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد لا ترثه ورثته
من المسلمين ولا من اهل الدين الذي ارتد اليه ولا تجوز وصاياه و
لا عتقه وقاله اصبغ قتل على ذلك او مات عليه وقال ابو محمد بن ابي
زيد وانما يختلف في ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة فلا تقبل
منه فاما المتمادي فلا خلاف انه لا يورث وقال ابو محمد فيمن سب
الله تعالى ثم مات ولم تعدل عليه بينة او لم تقبل انه يصلى عليه وروى
اصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم او اعلن دينا مما يفارق به الاسلام ان ميراثه للمسلمين
وقال بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين ولا يرثه ورثته ربيعة

والشافعي وابو ثور وابن ابي ليلى واختلف فيه عن احمد وذا[...]
بن ابي طالب كرم الله وجهه وابن مسعود وابن المسيب [...] الله
والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والاوزاعي و[...] فاشبه قصد
وابو حنيفة يرثه ورثته من المؤمنين وقيل ذلك فيما [...] المخالفة للاسلام
وما يكسبه في الارتداد فللمسلمين وتفصيل ابي الحسن [...] الاسلام قبل اثمناه
حسن بين وهو على راي اصبغ وخلاف قول سحنون [...] في هذا الحد
قولي مالك في ميراث الزنديق فرقة ورثه ورثته من المسلمين [...]
قامت عليه بينة بذلك فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة [...]
وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد من اصحابه لانه مظاهر [...]
بانكار او توبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول [...] الخلاف
صلى الله تعالى عليه وسلم وروى بن نافع عنه في العتبية وكتاب [...]
ميراثه لجماعة المسلمين لان ماله تبع لدمه وقال ايضا جماعة من اصحابه
وقاله اشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون وذهب
ابن القاسم في العتبية الى انه ان اعترف بما شهد عليه به وتاب وقتل
فلا يورث وان لم يقر حتى قتل او مات ورث قال وكذلك كل من اسر
كفرا فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام وسئل ابو القاسم بن الكاتب
عن النصراني يسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيقتل هل يرثه اهل دينه
ام المسلمون فاجاب انه للمسلمين ليس على جهة الميراث لانه لا توارث
بين اهل ملتين ولكن لانه من فيئهم لنقضه العهد هذا معنى قوله واختصاره

[...]ه الباب الثالث في حكم من سب الله تعالى وملائكته وانبياءه [...]
[...] صلى الله تعالى عليه وسلم وازواجه وصحبه لا خلاف ان
[...]ن المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته
[...] في المبسوط وفي كتاب ابن سحنون ومحمد ورواه ابن
[...] في كتاب اسحاق بن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين
[...] الا ان يكون افتراءه على الله بارتداده الى دين
[...] واظهره فيستتاب وان لم يظهره لم يستتب وقال في المبسوط
[...] عبد الملك مثله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل
[...]ب حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني فان تابوا قبل
[...] لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو
[...] القاضي بن نصر عن المذهب وافتى ابو محمد بن ابي زيد فيما حكي
[...]ه في رجل لعن رجلا ولعن الله فقال انما اردت ان العن الشيطان فزل
[...] لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره واما فيما بينه وبين الله
فمعذور واختلف فقهاء قرطبة في مسئلة هارون بن حبيب اخي عبد الملك
الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات
منها انه قال عند استقلاله من مرض لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر
وعمر رضي الله عنهما لم استوجب هذا كله فافتى ابرهيم بن حسين بن خالد
بقتله وان مضمن قوله تجوير لله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح و
افتى اخوه عبد الملك بن حبيب وابرهيم بن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمان

القاضي بطرح القتل عنه الا ان القاضي رأى عليه التثقيل في الحبس والشدة
في الادب لاحتمال كلامه وصرفه الى التشكي فوجه من قال في ساب الله
بالاستتابة انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله فاشبه قصد
الكفر بغير سب الله واظهار الانتقال الى دين اخر من الاديان المخالفة للاسلام
ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه ذلك بعد اظهار الاسلام قبل اتهمناه
وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل في هذا احد
فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته واذا انتقل من دين الى اخر واظهر
السب بمعنا الارتداد فهذا قد اعلم انه خلع ربقة الاسلام من عنقه بلاف
الاول المتمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب
اكثر العلماء وهو مذهب مالك واصحابه على بيناه قبل وذكرنا الخلاف
في فصوله فصل واما من اضاف الى الله تعالى ما لا يليق به ليس على
طريق السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق التاويل والاجتهاد
والخطاء المفضي الى الهوى والبدعة من تشبيه او نعت بجارحة او نفي صفة
كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده و
اختلف قول مالك واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا
فئة وانهم يستتابون فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد
منهم فاكثر قول مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة
في عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر
رضي الله عنه بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك الماجشون

